الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

معجم المصطلحات الصوتية عند علماء العرب القدامى

–إضاءة لثلاثين مصطلحا–

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان العربي

من إعداد الطالبتين:

- ابتسام عتيم
- هاجر بوالحرت

تحت إشراف الأستاذة:

بدرة كعسيس

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذة/ حياة طكوك.....رئيسا
- الأستاذة/ بدرة كعسيس.....مشرفا ومقررا
- الأستاذ/ راشد شقوفي.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1436 / 1437 هـ – 2015 / 2016 م

* شكر وعرفان *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:105]

-صدق الله العظيم-

أول من نشكره ونحمده سبحانه تعالى على النعم الكثيرة التي أنعم علينا بها وأولها وأعظمها نعمة العقل. لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام، الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كثيرة.

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والعرفان والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم أساتذتنا الأفاضل

"كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

ونحن نخص بالتقدير والشكر الأستاذة المشرفة "بدرة كعسيس"

التي أنارت طريقنا بالإرشادات والتوجيهات القيمة

كما لا ننسى شكر الأستاذ "حناشي نجيم" والأستاذة "طكوك حياة" والأستاذ "راشد شقوفي"

* هاجر ابتسام *

مقدمـــــة

مقدمة:

لقد بذل علماء العرب القدامى جهودا كبيرة في دراسة اللغة العربية، وكان المنطلق الأول لهذه الدراسة هو القرآن الكريم، حيث أصبح منهلا للعلماء في دراسة اللغة من جميع الجوانب الصوتية و الصرفية و النحوية و البلاغية.

وحاز القرآن الكريم على عناية العلماء العرب مما أدى إلى ظهور ما يسمى بعلم التجويد، والذي حافظ على النطق السليم لألفاظ القرآن الكريم، لتتكامل بذلك الجهود الصوتية بين علماء اللغة وعلماء التجويد والقراءات؛ حيث تحدّثوا عن مخارج الحروف ووصفوها وصفا دقيقا، كما تناولوا كل حرف من حيث صفاته المميزة له، ناهيك عما أفرزته هذه الجهود من الحديث عن ظواهر صوتية تميزت بها اللغة العربية.

وقد أهدت لنا هذه الأعمال علما عربيا خالصا إلى جانب العلوم الأخرى المعروفة(النحو والصرف والبلاغة)، ألا وهو علم الأصوات، وذلك بشهادة عدة علماء مستشرقين منهم-"برجستراسر"و"فيرث"- على أصالة هذا العلم العربي.ولهذا قررنا أن التأكيد على هذه الأصالة من خلال تناولنا لمصطلحاته بالدراسة مبينين آراء علماء العرب القدامى فيها من خلال ما حوته كتبهم من مادة صوتية.

لم يحظ الدرس الصوتي بالاهتمام نظرا للكم الهائل من الدراسات اللغوية المتعلقة باللغة العربية على المستوى النحوي الصرفي والدلالي والبلاغي، مما جعلنا نهتم بهذا الجانب أكثر –الجانب الصوتي- بحثا وترصدا لمصطلحاته المختلفة الخاصة بأعضاء النطق، وصفات الأصوات، والتي تكتسب أهمية بالغة في الحفاظ على نطق لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم سليمة صحيحة، وما يعتري هذه اللغة من ظواهر صوتية مختلفة والتي هي المادة الأساس في تجويد القرآن الكريم وتلاوته.

يتمثل الهدف من هذه الدراسة في رصد وتتبع المصطلحات الصوتية التي أثرى بها علماء العرب القدامى علم الأصوات العربي، من أمثال: " الخليل" و"سيبويه" و"الداني" و"ابن الجزري" وغيرهم، بغية التسهيل على الباحثين الحصول على معجم في الموضوع يضم مجموعة من التعاريف لمصطلحات صوتية كما جاءت في كتب علمائنا القدامى، وذلك توفيرا للجهد واختصارا للوقت الذي قد يهدره الباحث في التنقيب عنها في ثنايا المؤلفات القديمة، والتي تكون في بعض الأحيان بعيدة عن متناول الباحث، وتعذر عليه الحصول عليها.

إن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع تتوزع على نوعين: ذاتية وموضوعية؛ فالذاتية هي شغفنا واهتمامنا بهذا العلم – علم الأصوات– وميلنا إلى الكتب التراثية، وأما الموضوعية فنذكر منها: السعي إلى تتبع مسار المصطلحات الصوتية عند القدامى وترصد الاختلاف في تسمية المصطلح الواحد من عالم إلى آخر ،خاصة في ظل غياب معجم يقوم بهذه المهمة، كما أن القدامى هم أول من اهتدى إلى هذه المصطلحات.

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: "معجم المصطلحات الصوتية عند علماء العربية القدامى – إضاءة لثلاثين مصطلحاً–"؛ فهو معجم يختص بالمصطلحات الصوتية المبثوثة في مؤلفات القدامى؛ حيث تناولنا طائفة من هذه المصطلحات بالدراسة من خلال مقالات تتضمن تمهيدا يليه التعريف اللغوي للمصطلح كما جاء في المعاجم اللغوية العربية القديمة، ثم عند علماء اللغة، بعدها عند علماء التجويد والقراءات، وقفينا كل مقالة بمجموعة من الاستنتاجات. وحددت مادة الدراسة بثلاثين مصطلحاً محاولين بذلك الإلمام بأهم المصطلحات المتداولة بين العلماء القدامى وتماشيا مع الفترة الممنوحة لإنجاز هذا البحث مقارنة بالكم الهائل من هذه المصطلحات.

و انطلاقا من هذا نطرح الإشكالية التالية: ما هي أهم المصطلحات الصوتية الكامنة في كتب العلماء العرب القدامى؟ وكيف استعملوها ؟

وتنضوي تحت هذه الإشكالية الرئيسة مجموعة من الإشكاليات الفرعية: هل هناك اتفاق أم اختلاف في وضع المصطلح الصوتي قديما معنى ومبنى؟ وأيهم أسبق في وضع المصطلح الصوتي هل هم علماء اللغة أم علماء التجويد والقراءات؟وهل هناك مصطلحات انفرد بها عالم من العلماء دون غيره؟

وللإجابة على هذه الإشكالية المطروحة تم إتباع خطة منهجية مكونة من مقدمة، وعرض، وخاتمة، وكان العرض مرتبا ترتيبا موضوعاتيا تطرقنا فيه إلى ثلاث مصطلحات رئيسية وهي: مصطلح أعضاء النطق، مصطلح صفات الأصوات وكذلك مصطلح الظواهر الصوتية، تندرج ضمنها مجموعة من المصطلحات الفرعية المرتبة كالأتي:

أعضاء النطق: ومصطلحاته الفرعية هي: الحنجرة، الحلق، اللهاة، الحنك، اللسان، الأسنان، الشفتان، الخيشوم، الجوف،وصفات الأصوات يتفرع عنها: الجهر، الهمس، الشدة، الرخاوة، الإطباق، الانفتاح، الاستعلاء، الاستفال، القلقلة، أما مصطلح الظواهر الصوتية فكانت مصطلحاته الفرعية كالآتي: الإظهار، الإدغام، الإبدال، الإمالة،

الاختلاس، الوقف، الروم، الإشمام، الإسكان؛ وبهذا يكون لدينا ثلاثون مصطلحا بين رئيسي وفرعي فأنهينا بخاتمة تتضمن مجموع النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على منهجين: المنهج التاريخي؛ وهو منهج بحث علمي يقوم بتتبع ظاهرة ما تاريخيا من خلال الوثائق التاريخية قصد الوصول إلى حقيقة ما، وطبق هذا المنهج في هذا البحث من خلال تتبع المصطلح انطلاقا من الاستعمال الأول، وانتقالا إلى كيفية استعماله من طرف من جاء بعده من العلماء مقارنين في الوقت ذاته بين آراء العلماء سواء بين علماء اللغة أنفسهم، أو بين علماء التجويد والقراءات أو بين الاثنين معاً، ليكون بذلك المنهج التاريخي منهجا رئيسا، والمنهج المقارن منهجا مساعدا له.

إن الجدير بالذكر أن هناك دراسات سابقة في هذا المجال نذكر منها: "معجم علم الأصوات" لـ"محمد علي الخولي"؛ وهو معجم حديث يتناول مصطلحات صوتية من ناحية دلالاتها الاصطلاحية فقط، بالإضافة إلى بعض رسائل الماجستير والتي كانت قد تناولت بعضا من جوانب الموضوع من بينها: "الظواهر الصوتية في قراءة حمزة الزيات – دراسة وصفية تطبيقية –" للطالبة "أمينة شنتوف"، ومذكرة: "المصطلح اللغوي بين القراء واللغويين" للطالبة "سوزان محمد عقيل الزبون"، واقتصرت هذين الدراستين على الظواهر الصوتية التي كانت شقا من موضوع دراستنا وحسب، بينما هذا البحث الذي قدمناه فهو متنوع بين مصطلحات أعضاء النطق، وصفات الأصوات، والظواهر الصوتية.

وبغية إثراء الموضوع وإعطائه حقه تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع كانت أغلبها تراثية أهمها: كتاب "العين" لـ"الخليل بن أحمد الفراهيدي"، و"الكتاب"لـ"سيبويه"، و"الرعاية"لـ"مكي بن أبي طالب القيسي"،بالإضافة إلى كتاب "الدراسة الصوتية عند علماء التجويد" لـ"غانم قدوري الحمد"، وكذلك مقالة "آرتور شاده" وعنوانها: "علم الأصوات عند سيبويه وعندنا".

إن طريق أي بحث لا يخلو من المشقة والصعوبة ومما واجهنا في هذه الدراسة من صعوبات: صعوبة التعامل مع محتوى الكتب التراثية لغموض بعض ألفاظها مما يصعب الوصول إلى حقيقة المعنى المقصود.

وفي الختام نتوجه بالشكر الجزيل والعرفان للأستاذة المشرفة التي لم تبخل علينا بإرشاداتها ونصائحها القيمة من بداية البحث إلى نهايته.

أولا-أعضاء النطق

1-الحنجرة

2-الحلق

3-اللسان

4-اللهاة

5-الحنك

6-الأسنان

7-الشفتان

8-الخيشوم

أعضاء النطق:

لقد وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان مجموعة من الأعضاء تؤدي وظائف حيوية مختلفة في جسمه، فمنها ما هو للأكل، ومنها ما هو للتنفس، وهي لا تؤدي هذه الوظائف فقط، بل هناك وظيفة مهمة وهي النطق والكلام، ويشترك في إنتاج هذا مجموعة من الأعضاء مثل: الحنجرة، الحلق، اللسان، الأسنان، الشفتين، وقد فصل علماء العرب القدامى في موضوع النطق ومختلف أعضائه تفصيلا وافيا، وذلك أثناء حديثهم عن مخارج الحروف، وقد تعددت تسمياتهم حول مصطلح" أعضاء النطق"، وفيما يلي تفصيل في ذلك:

أ–مصطلح أعضاء النطق في المعاجم العربية:

جاء في معجم"العين" لـ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" تحت مادة (عضا): «عضو: العُضو والعضو، لغتان، كل عظم وافر من الجسد بلحمه، والعضة: القطعة من الشيء»[1]، وجاء فيه أيضا تحت مادة(نطق): «نَطَقَ: التناطُقُ ينطق، نُطقا، وهو مِنْطِيقٌ: بليغ...وكلام كل شيء: منطقه»[2]، وجاء في معجم "الصحاح" "للجهوري" في مادة عضا: «العُضو والعضو: واحد الأعضاء وعضّيت الشاة إذا جزّأتها أعضاء» [3]، وجاء في المعجم نفسه تحت مادة نطق: «والمنطق الكلام»[4] ؛ومن هنا يمكن أن نقول أن أعضاء النطق هي الأعضاء التي تساهم في إنتاج الكلام.

ب–مصطلح أعضاء النطق عند علماء اللغة القدامى:

يعد "الخليل بن أحمد الفراهيدي "أول من انتبه إلى جهاز النطق، حيث وصف كل جزء من أجزائه شارحا وظيفته، ولكنه لم يطلق عليه تسمية أعضاء النطق أو مصطلح جهاز النطق، وإنما أشار إليه بعبارة: مخرج الكلام، وكذلك تسمية المدرج: «وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج3، مادة: [عضا]، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1424هـ–2003م، ص 180.

[2] المصدر نفسه، مادة: [نطق]،ص 236.

[3] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية5، تح: عبد الغفور عطار، مج5،مادة:[عضا] دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط4، 1990م، ص2430.

[4] المصدر نفسه، مج4 مادة: [نطق]، ص 1559.

الحلق، ولا من مدرج اللهاة»[1]، وكذلك تسمية الحيز:« ثم الخاء والعين في حيز واحد كلهن حلقية...، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد»[2]، إضافة إلى تسمية المبدأ وذلك في قوله:« فالعين والحاء والخاء والغين حلقية لأن مبدأها من الحلق»[3]، وجميع هذه المصطلحات دالة على أعضاء النطق.

أما "سيبويه"فنجده يتطرق إلى هذه الأعضاء في "الكتاب" تحت باب الإدغام، حيث عالج مخارج الحروف قبل معالجته للإدغام: «هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها(....)»[4] وهو يشير إلى أعضاء النطق حيث ذكرها مبتدئا بالحلق ومنتهيا بالخياشيم، بينما نجد "ابن جني" قد تعرض هو الآخر إلى وصف هذا الجهاز مشبها إياه بالآلات الموسيقية حيث يقول: «شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا كما يجري الصوت في الأنف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على حروف الناي المنسوقة ورواح بين عمله، اختلفت الأصوات وسمع لكل حرف من حروفها صوت لا يشبه صاحبهن فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب سماعنا هذه الأصوات المختلفة»[5]؛ فنلاحظ أنه يشبه جهاز النطق الذي حدده بالحلق والفم بآلة الناي الموسيقية كما شبهه أيضا بآلة العود فإذا ضرب الضارب على وتر من أوتار العود وهو مرسل سمعت له صوت فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه سمعت صوتا آخر وهكذا[6]، فنراه مرة يشبهه بآلة الناي ومر أخرى يشبهه بآلة العود.

وقد تحدث "حسام سعيد النعيمي" عن أعضاء النطق عند علماء العرب القدامى بقوله: «وأعضاء النطق عند الخليل وسيبويه على ما جاء في كتاب سيبويه هي : الحلق واللسان والحنك الأعلى والخياشيم والشفتان والأسنان...، وأعضاء النطق الواردة في الكتاب هي نفسها التي وردت عند ابن جني»[7]؛ إن الحلق واللسان والحنك والخياشيم والشفتان والأسنان، هي الأعضاء التي وردت عند كل من "الخليل "و"سيبويه" و"ابن جني".

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ص57.

[2] المصدر نفسه، ص58.

[3] نفسه، ص58.

[4] سيبويه: الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2، 1416هـ-1996م، ص431.

[5] أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق-سورية، 1995م، ص8، 9.

[6] ينظر: المصدر نفسه، ص9.

[7] حسام سعيد النعيمي: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، 1980م، ص 297.

ويقول أيضا: «تبدأ الحروف عند الخليل وسيبويه وعند ابن جني أيضا وبقية علماء العربية من أقصى الحلق وتنتهي بالشفتين، ومعنى ذلك أنهم لم يذكروا في الأصوات الحنجرة والوترين الصوتيين»[1] ؛انطلاقا من هذا يمكن القول أن علماء العرب القدامى تبدأ مخارج الحروف عندهم من أقصى الحلق وتنتهي بالشفتين ويتفرد "الأستراباذي" من الأقدمين بإطلاق اسم على جهاز النطق هو: آل الحروف و آلة الصوت، وذلك في قوله: «فلولا اختلاف أوضاع آلة الحروف –وأعني بآلتها مواضيع تكونها في اللسان والحلق والسن والنطع والشفة وهي المسماة بالمخارج...فالنون وحروف الحلق متساويان في الاحتياج إلى فضل اعتماد وإعمال لآلة الصوت»[2]؛ و يتبين أنه مرة يذكر مصطلح آلة الحروف ومرة أخرى آلة الصوت ويقصد بهما المخارج كما ذكر.

أما "جلال الدين السيوطي" فيذكر مصطلح" مخرج الحرف" في كتابه "همع الهوامع" معرفا إياه قائلا: «مخرج الحرف هو الموضع الذي ينشأ منه الحرف وتقريب معرفته أن يسكن الحرف، ويدخل عليه همزة الوصل ليتوصل إلى النطق به، فيستقر اللسان بذلك في موضعه فيتبين مخرجه، وهذه المخارج هي من آخر الصدر وما يليه من الحلق والفم إلى الشفتين إلى الخيشوم»[3]؛ فالمخارج عنده تبدأ من آخر الصدر وتنتهي عند الخيشوم.

ج– مصطلح أعضاء النطق عند علماء القراءات والتجويد:

واستخدم علماء التجويد والقراءات مصطلحات متعددة للدلالة على أعضاء النطق، نذكر على سبيل المثال "القرطبي" في كتابه"الموضح في التجويد" حيث يقول: «فأما وجوب إظهار النون عند حروف الحلق فلأن حروف الحلق تباعدت عن مخرج النون، وهي محتاجة إلى تمكن آلة النطق بها»[4]، فتطرق إلى هذا المصطلح بمسمى هو: آلة النطق، وذكر "ابن البناء" في كتابه "بيان العيوب" مصطلح آلة المنطق: «ولكنه أدخل بعض حروف

[1] حسام سعيد النعيمي: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، ص297.

[2] رضي الدين الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور حسن وآخرون،ج3، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1402هـ– 1982م، ص271، 272.

[3] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العالي سالم مكرم،ج6، دار البحوث العلمية، الكويت، 1400هـ– 1980م، ص251.

[4] القرطبي: الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان– الأردن، ص178.

المعجم في حروف العرب وحلكة: يذهبون إلى نقصان آلة المنطق»[1]، وكل المصطلحات السالفة الذكر تصب جميعها في مصطلح أعضاء النطق.

ويشيد "غانم قدوري الحمد" بإنجازات علماء التجويد والقراءات إذ يقول: «وينبغي أن نذكر هنا أن علماء العربية منذ الخليل وسيبويه قد أوردوا في أثناء حديثهم عن مخارج الحروف معظم أسماء آلة النطق ولكن علماء التجويد قد تميزوا في دراسة هذا الموضوع عن علماء العربية بنواح هي: وصف أعضاء النطق، الاستعانة بعلم التشريح، تخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق الاستعانة بالرسم التوضيحي»[2]، فعلماء التجويد قد أفردوا أبوابا خاصة في كتبهم للحديث عن مخارج الحروف مستعينين بالتشريح وبالرسوم الموضحة لجهاز النطق وحروفه، بينما علماء اللغة إنما درسوها مرتبطة بظاهرة الإدغام إذ درسوا مخارج الحروف قبل حديثهم عن هذه الظاهرة.

ومما سبق نلاحظ أن علماء العرب قد تطرقوا إلى أعضاء النطق، حيث وصفوها وذكروا الحروف التي تخرج من كل عضو فنجد أنهم بدأوا بأقصى الحلق منتهين بالشفتين، وقد جعل بعضهم آخرها الخيشوم، والملاحظ أنهم قد اختلفوا في تسمياتها، فمنهم من سماها مخرج الكلام، أو المدرج أو الحيز أو المبدأ، ومنهم من قال مخارج الحروف، ومنهم من سماها آلة الحروف أو آلة الصوت، ومنهم من اصطلح عليها آلة النطق، وأيضا آلة المنطق وغيرها، حيث تعددت المصطلحات والمسميات ولكن المقصود واحد،بيد أنهم لم يذكروا مصطلح أعضاء النطق.

[1] أبو علي الحسن أحمد بن البناء: بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1421هـ-2001م، ص58.

[2] غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان- الأردن، ط2، 1428ه- 2007م، ص87.

الحنجرة:

تعد الحنجرة من بين أهم أعضاء النطق، ولها دور في عملية إنتاج الأصوات، تقع في أعلى القصبة الهوائية، ومن بين العلماء العرب القدامى الذين استطاعوا أن يصفوا الحنجرة ويبرزوا مكوناتها الطبيب"ابن سينا" في كتابيه "القانون في الطب" و"رسالة أسباب حدوث الحروف"، وكذلك "الفرخان" من خلال كتابه "المستوفى في النحو" في حين أن من سبقوهم لم يولوا اهتماما كبيرا لهذا العضو، إما لعدم انتباههم لدوره في عملية التصويت أو أنهم كانوا يدمجونه مع الحلق، فهم لم يتوصلوا إلى ما توصل إليه كل من "ابن سينا"، و"الفرخان"، وخاصة "ابن سينا"، بوصفه أول من شرَّح الحنجرة وعدَّد غضاريفها، وأول من أطلق اصطلاحات على كل من غضروف من غضاريفها، وفيما سيأتي تفصيل في ذلك أكثر.

أ-مصطلح الحنجرة في المعاجم العربية:

جاء في معجم"العين" لـ"الخليل بن أحمد الفراهيدي" : «الحَنجرة: جوف الحلقوم، والحُنجور: الحَنجرة في قول العجاج:

فِي شَعْشَعَانِ عُنُقَ يَمْخُورٍ حَابِي الحَيَودِ فَارِضَ الْحُنْجُورِ»[1]

وفي معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" لـ"الجوهري": «الحنجرة والحنجور: الحلقوم»[2].

وجاء في "لسان العرب" لـ"ابن منظور": «الحُنجور: الحلق، والحَنجرة: طبقان من أطباق الحلقوم مما يلي الغلصمة، وقيل: الحنجرة رأس الغلصمة حيث يحدد وقيل: هو جوف الحلقوم، وهو الحنجور، والجمع حنجرٌ...وقوله تعالى: ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ أراد أن الفزع يشخص قلوبهم أي تقلص إلى حناجرهم، وفي حديث القاسم: سُئل عن رجل ضرب حنجرة رجل فذهب صوته، قال عليه الدية.

الحنجرة: رأس الغلصمة حيث تراه ناتئا من خارج الحلق والجمع حناجر، ومنه: ﴿**وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾، أي صعدت عن مواضعها من الخوف إليها، الأزهري قال في الحلقوم والحُنجور: وهو مخرج النفس لا يجري فيه الطعام

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1، مادة: [حنجر]، ص 363، 364.

[2] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، مادة: [حنجر]، ص 624.

والشراب. المريء وتمام الذكاة قطع الحلقوم والمريء والوَدجين»[1]؛ والملاحظ أن مصطلح الحنجرة وارد في المعاجم العربية لكن لم يشر إلى دوره في عملية إنتاج الأصوات، فقد تحدث "الخليل" و"سيبويه" و"ابن جني" وغيرهم عن أعضاء النطق (الحلق واللسان والحنك الأعلى والخياشيم والشفتان والأسنان) ولم يذكروا الحنجرة ويشرح"حسام سعيد النعيمي" في كتابه"الدراسات اللهجي والصوتية عند ابن جني": «المراد بلفظ الحلق عند القدامى أوسع مما يراد به عند المحدثين حيث تدخل فيه الحنجرة والوتران»[2].

ونرى المستشرق "شاده shaade" يلتمس العذر لـ"سيبويه" في عدم ذكره الحنجرة بقوله: «فإن سيبويه وإن قسم الحلق إلى: أقصى الحلق وأوسط الحلق وأدنى الحلق لم يكن يعرف الحنجرة وأجزاءها كالمزمار والأوتار الصوتية، وسبب هذا الاختلاف واضح فإن الأسنان مكشوفة للرؤية، وأما الحنجرة وأجزاؤها وعملها فتقتضي ملاحظتها إلى التشريح، وما أظن سيبويه يجترئ عليه أو إلى بعض الآلات الفنية كمنظار الحنجرة، أو الأشعة المجهولة ولم يكن مثل هذه الآلات بين يديه وكفى بذلك عذرا يعتذر به سيبويه لعدم معرفته بالحنجرة وعملها.»[3]؛ بمعنى أن سبب عدم معرفة "سيبويه" بالحنجرة هو عدم توفر الوسائل اللازمة بين يديه، كون الحنجرة تقع في منطقة خفية غير مرئية للعين وليس كالأسنان فهي واضحة ترى بالعين المجردة، حيث كان يعتمد على ذوقه الخاص في اكتشاف الأعضاء المسببة للصوت.

ب–الحنجرة عند ابن سينا:

وعلى خلاف "الخليل" و"سيبويه" و"ابن جني" هناك من استطاع أن يكتشف دور الحنجرة في إنتاج الصوت وأنها عضو مستقل كبقية الأعضاء الأخرى وليست مدمجة مع الحلق، وإذا تتبعنا مسار هذا المصطلح سنلاحظ أن "ابن سينا" هو أول من عرَّف الحنجرة وشرّحها وأشار إلى دورها في إنتاج الأصوات حيث يقول: «الحنجرة عضو غضروفي خلق آلة للصوت»[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون،مج2، مادة: [حنجر]، دار المعارف، القاهرة–مصر، ص 1019.

[2] حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 297.

[3] آرتور شاده: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ع58، 1432هـ–2010م، ص 19، 20.

[4] ابن سينا: القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1420هـ–1999م، ص 65.

ثم شرع في تقسيمه لها إلى ثلاثة غضاريف وهي: الغضروف الدرقي أو الترسي، الغضروف الذي لا اسم له، والطرجهاري.

– الغضروف الدرقي أو الترسي: ويقول فيه: «أحدهما الغضروف الذي يناله الجس والحس قدام الحلق تحت الذقن ويسمى الدرقي والترسي، إذا كان مقعر الباطن محذب الظهر يشبه الدرقة وبعض الترسة.»[1]، ويقول في رسالته"أسباب حدوث الحروف": «أحدهما موضوع إلى قدام يناله المس في المهازيل جدا عند أعلى العنق تحت الذقن وشكله شكل القصعة حدبته إلى خارج وإلى قدام وتقعيره إلى داخل وإلى الخلف، ويسمى الغضروف الدرقي والترسي»[2]، وهذا الغضروف؛ أي الدرقي يبرز عند النحفاء أكثر من غيرهم، وهو ما يسميه البعض بتفاحة آدم وهو في الرجال أكثر بروزا منه في النساء.

–الغضروف عديم الاسم: ويقول فيه: «والثاني غضروف موضوع خلفه يلي العنق مربوط، به يعرف بأنه الذي لا اسم له.»[3]؛ أي أنه يقع خلف الغضروف الدرقي أو الترسي ويشغل الجزء العلوي من الحنجرة، ويقول أيضا: «والغضروف الثاني: خلفه، مقابل سطحه لسطحه، متصل به بالرباطات يمنة ويسرة ومنفصل عنه إلى فوق ويسمى عديم الاسم.»[4]؛ ومما سبق نستنتج أن "ابن سينا" لم يجد اسما يطلقه على هذا الغضروف فسماه عديم الاسم أو الذي لا اسم له.

ويرى"سمير شريف استيتية" أن "ابن سينا" يقصد بالغضروف الذي لا اسم له "لسان المزمار" حيث يقول: «أما ابن سينا...وصف لسان المزمار epiglotti وصفا دقيقا ولكنه لما لم يجد له اسما نعته بأنه الذي لا اسم له.»[5]، بينما نجد "محمد صالح الضالع" في كتابه"علوم الصوتيات عند ابن سينا" يشير إلى أن "ابن سينا" يقصد به الغضروف الحلقي فيقول: «وقد أطلق ابن سينا على الغضروف الحلقي cricoid الذي لا اسم له أو عديم

[1] ابن سينا: القانون في الطب، ص65.

[2] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق–سوريا، ص 64.

[3] ابن سينا: القانون في الطب، ص 65.

[4] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 65.

[5] سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2003م، ص 54.

الاسم، ويبدو أنه لم يجد اسما له يطلقه عليه آنذاك، أو أنه لم يجد علاقة شبه بينه وبين الخاتم مثلما وجد الأروبيون.»[1]، ويسوّق لذلك أدلة وهي:

«1- الغضروف الذي يلي العنق هو الغضروف الحلقي فكلمة العنق تعني بلا شك القصبة الهوائية والغضروف الذي يلي القصبة الهوائية مركب عليها، ويوجد في الحنجرة هو الغضروف الحلقي cricoid.

2-الضمير في عبارته"مربوط به" يشير إلى العنق (القصبة الهوائية) فالغضروف الحلقي مربوط بالقصبة الهوائية برباط يسمى الحلقي القصبي»[2].

-الطرجهاري (المكبي): ويقول في هذا الغضروف: «وثالث مكبوب عليهما يتصل بالذي لا اسم له ويلاقي الدرقي من غير اتصال وبينه وبين الذي لا اسم له مِفصَل مضاعف بنقرتين فيه تهندم فيهما زائدتان من الذي لا اسم له مربوطتان بهما بروابط ويسمى المكبي أو الطرجهاري»[3].

بمعنى أن الطرجهاري متصل بالذي لا اسم له ولكنه منفصل عن الدرقي، وكلمة الطرجهاري صيغة نسب من الكلمة الفارسية؛ أي كأس للشرب أو فم الإبريق وكلمة المكبي تدل على أنه مقلوب ويرى"ابن سينا" أن هذه الغضاريف لها دور في عملية تضييق وتوسيع الحنجرة حيث يقول: «بانضمام الدرقي إلى الذي لا اسم له ويتباعد إحداهما عن الآخر يكون توسع الحنجرة وضيقها»[4]؛ بمعنى أنه عندما يتلاقى الدرقي بالذي لا اسم له تضيق الحنجر وعندما يتباعدان تتوسع الحنجرة ويقول أيضا: «وبانكباب الطرجهاري على الدرقي ولزومه إياه وبتجافيه عنه يكون انفتاح الحنجرة وانغلاقها»[5]؛ أي أنه عندما يتقارب الطرجهاري من الدرقي يكون انغلاقها وعندما يتباعدا عن بعضهما يكون اتساعها، فعند انغلاقها ينحبس الهواء وعند انفتاحها ينطلق إلى الخارج.

[1] محمد الصالح الضالع: علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، 2002م، ص 52.

[2] المرجع نفسه، ص 53، 54.

[3] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 65.

[4] ابن سينا: القانون في الطب، ص 66.

[5] المصدر نفسه، ص66.

ج- الحنجرة عند الفرخان:

وبالإضافة إلى "ابن سينا" هناك عالم عربي نحوي تطرق هو الآخر إلى الحنجرة وهو"الفرخان" من خلال كتابه "المستوفى في النحو"، وقد قسمها إلى ثلاثة غضاريف وهي:

-الغضروف المقعر: «الذي يحس به من الخارج عند المس وفيه صلابة نقية.»[1]، ويقصد به تفاحة آدم وهي بارزة عند الرجال مرئية للعين.

-الغضروف الملاصق به من الخلف: «خلق ألين منه وهو متوسط بين المسلكين أعني مسلك التنفس هذا ومسلك الطعام والشراب ليمكنه الانقباض عند الابتلاع وأيضا عند تحديد الصوت والانبساط عند التنفس وأيضا عند تثقيل الصوت.»[2]؛ أي أنه لين وليس صلبا كالغضروف المقعر وموقعه بين القصبة الهوائية والبلعوم وله دور في إنتاج الصوت.

-الغضروف المكبوب عليهما من فوق كالسركجة: «وهو متصل بالذي من خلف ينطبق على الذي من قدام فينسد النفس وينفتح عنه فيجري النفس بإجراء التعدد في آلات الزمر»[3]؛ بمعنى أنه مكبوب على الغضروفين السابقين (الغضروف المقعر والغضروف الملاصق له من خلف) فعندما ينطبق على الذي من خلف ينقطع النفس وعندما ينفصل عنه ينطلق النفس عبر القصبة الهوائية إلى الخارج.

والملاحظ على هذا التقسيم لـ"الفرخان" أنه موافق لتقسيم "ابن سينا" للحنجرة والاختلاف بينهما في التسمية فقط بينما المقصود واحد فالغضروف المقعر عند "الفرخان" يقابله الغضروف الدرقي عند "ابن سينا" والغضروف الملاصق له من خلف (أي الملاصق للغضروف المقعر) عند "الفرخان" سماه "ابن سينا"بعديم الاسم أما الغضروف المكبوب عليهما (أي على المقعر والملاصق له من خلف) عند "الفرخان" فيقابله عند "ابن سينا" الغضروف المسمى بالمكبي أو الطرجهاري.

---

[1] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص 600.

[2] المصدر نفسه، ص600.

[3] نفسه، ص600.

د- الحروف التي تخرج من الحنجرة حسب ابن سينا:

والحروف التي مخرجها الحنجرة عند "ابن سينا" كما جاء في كتابه"رسالة أسباب حدوث الحروف" هي: الهمزة والهاء العين والحاء، فيقول في الهمزة والهاء: «ونسبة الباء إلى الفاء عند الشفة، نسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة.»[1]؛ أي أن الهمزة والهاء مخرجهما هو الحنجرة وهو بهذا يخالف "سيبويه" الذي يرجعهما إلى الحلق.

وقد ذكر أن الهمزة: «تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا»[2]؛ فالهمزة حسبه تحدث من دفع قوي للهواء من قبل الحجاب وعضل الصدر ثم حبسه عن طريق الطرجهاري حبسا تاما لزمن قليل ثم إطلاقه.

وأما الهاء: «فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلا إلى الوسط»[3]؛ فالهاء تنشأ عن ذلك الحفز القوي الذي تنشأ عنه الهمزة، مشابه له في الكم والكيف إلا أن حبس الهواء في الأولى لا يكون تاما بينما في الثانية فهو حبس تام.

أما العين والحاء فيشترك في إنتاجهما الطرجهاري والذي لا اسم له والدليل على ذلك ما ذكره بقوله: «وأما العين فيفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالي مطلقا وفتح الذي لا اسم له متوسطا وإرسال الهواء إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أن يكون قبل الحفز خاصا بجانب»[4]؛ فالحبس هنا –حبس الهواء- لا يكون تاما، فالعين تنتج من فتح الطرجهالي فتحا تاما وفتح الغضروف الذي لا اسم له فتحا غير تام، أو متوسطا كما قال ثم دفع الهواء إلى الخارج عبر وسط رطب.

---

[1] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص83.

[2] المصدر نفسه، ص72.

[3] نفسه،ص 73.

[4] نفسه،ص 72، 73.

ويشرح قوله هذا في موضع آخر حيث يقول: «أما العين فإن الحبس غير تام إلا أنه قوي ومندفع إلى أدخل موضع في الحلق عند انفتاح الحنجرة وألينه وأرطبه وألزجه رطوبة.»[1]؛ أما الحاء فيقول فيها: «والحاء مثلها إلا أن فتح الذي لا اسم له أضيق والهواء ليس حفزا بل يميل إلى خارج حتى يقصر الرطوبة ويهزها إلى قدام فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قدام هيئة الحاء»[2]؛ فالحاء مثل العين، يفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهاري فتحا تاما وفتح الذي لا اسم له يكون أضيق في الحاء من العين.

ويقول أيضا: «وأما الحاء وإن شاركت العين فإنها تخالف العين في هيئة المخرج والمحبس وفي القوة وفي جهة تخلص الهواء، فإن الفرجة بين الغضروفين السافلين تكون أضيق والهواء يندفع أميل إلى قدام ويصدم حافة التقعير الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج.»[3]؛ فالعين والحاء يشترك في إنتاجهما الطرجهاري والذي لا اسم له إلا أن الحاء تختلف عنها في كون الذي لا اسم له يكون أضيق، وفي قوة دفع الهواء، وفي جهة تخلص الهواء، ففي الحاء يكون أميل إلى الخارج أما في العين فيكون إرسال الهواء إلى فوق.

إذن يمكننا القول أن علماءنا القدامى قبل "ابن سينا" من أمثال"الخليل" و"سيبويه" و"ابن جني" لم يتطرقوا إلى الحنجرة بعدِّها عضوا فعالا في إنتاج الأصوات وإنما اقتصرت دراستهم على بقية الأعضاء وأن "ابن سينا" هو أول من شرّح الحنجرة وأشار إلى دورها في إنتاج الأصوات، وهو أول من اكتشف أنها تتكون من ثلاثة غضاريف (الترسي أو الدرقي، الذي لا اسم له، الطرجهاري)، ونلاحظ أيضا أن تقسيم "الفرخان" للحنجرة يتوافق مع تقسيم "ابن سينا" لها وإنما الاختلاف بينهما في تسمية الغضاريف.

[1] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص114.

[2] المصدر نفسه، ص72.

[3] نفسه، ص 114.

الحلق:

الحلق من بين أهم أعضاء الجهاز الصوتي وتقع بين الحنجرة وأقصى الفم، ولها وظيفتان أساسيتان، الأولى كونها ممر للطعام والشراب، والثانية أنها تعد مخرجا لعدد من الأصوات اللغوية. وقد استطاع علماؤنا القدامى أن يكتشفوا هذين الوظيفتين، وتمكنوا من تحديد مجموع الأصوات التي تخرج من الحلق، وأول من وضع أبجدية صوتية لحروف العربية مبتدئا بحروف الحلق وهو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في مقدمة معجمه"العين" وقد نسب إلى هذا العضو عددا من الأصوات، ثم جاء بعده تلميذه"سيبويه" و"ابن جني" وغيرهم من علماء اللغة وعلماء التجويد وسنفصل في هذا فيما سيأتي.

أ-مصطلح الحلق في المعاجم العربية:

جاء في معجم"العين"لـــ"الخليل": «الحَلقُ مَساغُ الطَّعامِ والشَّرابِ، ومَخرجُ النَّفسِ من الحُلقومِ، ومَوضِعُ الذَّبحِ مِن الحَلقِ أيضا، ويُجمَعُ على حُلُوقٍ، وحَلَقَ فُلانٌ فُلانًا: ضَرَبَهُ فأَصَابَ حَلْقَهُ»[1].

وجاء في معجم "لسان العرب" لـــــ "ابن منظور": «بَلَعَ الشَّيْءَ بَلْعًا وَابْتَلَعَهُ وتَبَلَّعَهُ سَرَطَهُ سَرْطًا، جَرَعَهُ، والمِبلَعُ والبُلعُمُ والبُلعومُ كلُّه مَجْرَى الطَّعَامِ ومَوضِع الابْتِلَاعِ من الحَلْقِ»[2]، وجاء فيه أيضا تحت مادة حلق: «الحَلْقُ مَساغُ الطَّعام والشَّرابِ في المَرِيءِ، الأَزْهَرِيُّ: مَخْرَجُ النَّفَسِ من الحُلْقُومِ، ومَوْضِعُ الذَّبْحِ هو أيضا من الحُلْقُومِ»[3]؛ إن كل من "الخليل" و"ابن منظور" يتفقان على كون الحلق هي مسرى الطعام والشراب، وكذلك هي مخرج النفس.

أما "ابن دريد" فقد قال في "جمهرته": «والحَلْقُ: حَلْقُ الإِنْسَانِ وغَيْرُهُ: مَعْرُوفٌ»[4]، و لم يزد عن ذلك.

ب-مصطلح الحلق عند علماء اللغة:

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج1، مادة :[حلق]، ص 347.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج2، مادة:[بلع]، 345.

[3] المصدر نفسه، مج2، مادة :[حلق]، ص 975.

[4] ابن دريد: جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي،ج1، مادة:[حلق]،دار العلم للملايين، بيروت-لبنان،ط1، 1987م، ص 558.

يعد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175ه)أول من انتبه إلى دور الحلق في إنتاج الأصوات اللغوية، وقد تحدث عن ذلك في مقدمة معجمه "العين": «فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق.»[1]؛ بمعنى أنه ذاق الحروف جميعها فوجد أنها تخرج من الحلق، فجعل أحقها بالابتداء في الترتيب في الحروف من أقصى الحلق.

كان"الخليل" يتبع طريقة معينة في ذوقه للحروف اكتشفها بذكائه، حيث كان: «يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أب، أت، أث، أح، أع،أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق»[2]، حيث مكنته من تحديد مخارج الحروف والعين عند"الخليل" تخرج من أقصى الحلق ويقول فيها وفي مثيلاتها: «فأقصى الحروف كلها العين، ثم الحاء ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجهما من مخرج العين، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء..لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء فهذه ثلاثة أحرف من حيز واحد بعضها أرفع من بعض»[3]؛ فالعين تخرج من أقصى الحلق، ثم تليها الحاء وبعد الحاء الهاء، وهذه الأحرف تتقارب في المخرج وهي من حيز واحد بعضها أرفع من بعض فالعين أو لا ثم الحاء بعدها الهاء.

وينقل "الزبيدي" قول "الخليل" هذا في كتابه "تاج العروس" فيقول: «قال الخليل: الحاء حرف مخرجه من الحلق ولولا بحة فيه لأشبه العين قال: وبعد الحاء الهاء، و لم يأتلفا في كلمة واحدة أصلية الحروف وقبح ذلك ألسنة العرب لقرب مخرجيهما»[4]؛ والبحة هي صفة في صوت الحاء تميزه عن صوت العين وتجعله يختلف عنه، ولولا هذه الصفة لتشابه صوت الحاء مع صوت العين وذلك لقرب مخرجيهما، والبحة يقصد بها صفة الهمس، أما الهتة فصفة في صوت الهاء تميزه عن صوت الحاء، ولولا هذه الصفة لاشتبهت الهاء مع الحاء لتقاربهما في المخرج، والهتة هي ضعف يعتري صوت الهاء.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص47.

[2] المصدر نفسه، ص47.

[3] نفسه، ص 57، 58.

[4] الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي هلالي،ج6، مطبعة حكومة الكويت، 1392ه- 1972م، ص 292.

ومن حروف الحلق عنده الخاء والغين يقول: «ثم الخاء والغين في حيز واحد من الحلق»[1]؛ وإذا قمنا بتقسيم الحلق حسب "الخليل ابن أحمد الفراهيدي" وترتيب الحروف التي تخرج منها ستكون كالآتي:

الحيز الأول: يخرج منه صوت العين والحاء والهاء، والعين عنده من هذا الحيز تخرج من أقصى الحلق وكذلك الهمزة، فيقول: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق»[2]، ولكنه أهملها لأنها هوائية فيقول: «والهمزة في الهواء، لم يكن لها حيز تنسب إليه»[3]، والحيز الثاني:جعله مخرجا للخاء والغين والخاء عنده أدخل من الغين.

فـــــ"الخليل" لم يصطلح على وسط وأدنى الحلق بهذا الاصطلاح وإنما قال أن العين والحاء والهاء من حيز واحد، والخاء والغين من حيز واحد واكتفى بذكر مصطلح أقصى الحلق وجعله مخرجا لصوت العين.

ونجد "سيبويه" تلميذ"الخليل" قد خالف معلمه في تقسيمه للحلق وفي ترتيبه للحروف التي تخرج من هذه الأقسام فيقول في "الكتاب": «فللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف،ومن وسط الحلق مخرج: العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم: الغين والخاء»[4]؛ فـ"سيبويه" قسم الحلق إلى ثلاثة أقسام أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق، فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء والألف ومن وسطه مخرج العين والحاء، ومن أدناه مخرج الغين والخاء.

والملاحظ على ترتيب كل من "الخليل" وتلميذه "سيبويه" للحروف أنه مختلف بينهما وكذلك اختلافهما في تقسيم الحلق، فـــــ"الخليل" قسمها إلى حيزين أما "سيبويه" فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام، أقصى ووسط وأدنى الحلق، أما من ناحية ترتيبهما للحروف فـــــــ ـــ"الخليل" يجعل العين والحاء والهاء من حيز واحد ولكن العين عنده تخرج من أقصى الحلق.

أما "سيبويه" فيجعل لأقصى الحلق الهمزة والهاء والألف بينما لوسط الحلق العين والحاء وعند "الخليل" الخاء والغين من حيز واحد، ويبدو أنه يقصد بهذا الحيز أدنى الحلق، وهو ما ذهب إليه "سيبويه"، فيجعل لأدنى الحلق الغين والخاء، فهما يتفقان في كون الغين والخاء تخرجان من مخرج واحد من الحلق ولكن "الخليل" يجعل

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص 52.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي:كتاب العين،تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج1،ص58

[3] المصدر نفسه، ص 58.

[4] سيبويه، الكتاب،ج4، ص 433.

الخاء أدخل من الغين بينما "سيبويه" يجعل الغين أدخل من الخاء، وبهذا يعد "سيبويه" أول من أطلق اصطلاح وسط وأدنى وأقصى، على اعتبار أن أقصى الحلق ورد عند معلمه"الخليل".

ج- مصطلح الحلق عند علماء القراءات والتجويد:

ونجد معظم علماء التجويد يتبعون تقسيم "سيبويه "للحلق من أمثال"الشاطبي" و"الداني" و"أحمد بن خلف الأنصاري" وغيرهم، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل، فهذا "الداني" يقول: «للحلق منها ثلاثة مخارج وسبعة أحرف، فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء...وأوسطها العين والحاء..وأدناها إلى الفم الغين والخاء»[1]؛ فـــــــــــ"الداني يتفق مع "سيبويه" في كون حروف الحلق هي سبعة أحرف، ولكنه يختلف معه في كون الألف مخرجها قبل مخرج الهاء.

ونجد كذلك "الشاطبي" يذهب إلى ما ذهب إليه"سيبويه" وذلك في منظومته المشهورة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع" حيث يقول فيها:

ثَلَاثٌ بِأَقْصَى الحَلْقِ واثْنَانِ وَسَطَهُ وحَرْفَانِ مِنْهَا أَوَّلُ الحَلْقِ جُمِّلَا[2]

ففي الحلق ثلاثة مخارج أقصاه ويخرج منه ثلاثة أحرف: الهمزة والهاء والألف ووسطه، ويخرج منه حرفان العين والحاء، وأوله، أي أدناه مما يلي الفم ويخرج منه العين والخاء[3].

وكذلك نجد "أحمد بن خلف الأنصاري" يتبع"سيبويه" إتباعا صريحا، حيث ينقل عنه تقسيمه للحلق فيقول: «مخارج الحروف"سيبويه" ستة عشر مخرجا للحلق ثلاثة: فأقصاها مخرجا الهمزة والهاء والألف

[1] أبو عمرو الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان-الأردن، ط1، 1421ه- 2000م، ص 102.

[2] الشاطبي: متن الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مطبعة الغوثاني، دمشق-سورية، ط5، 1431ه-2010م، ص 91.

[3] ينظر: عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادي، جدة-السعودية، ط5، 1420ه-1999م، ص 388.

والأوسط: العين والحاء، والأدنى من الفم الغين والخاء»[1]؛ وهؤلاء من علماء التجويد الذين تتبعوا "سيبويه" في تقسيمه للحلق وعدوا أحرف الحلق سبعة أحرف وهي: الهمزة والهاء والألف والعين والحاء، الغين والخاء.

ولكن هناك من خالفه في عدد حروف الحلق وعدها ستة أحرف وذلك بإسقاطهم للألف ومنهم"مكي بن أبي طالب" و"ابن الجزري". فهذا "مكي بن أبي طالب" يقول: «الحروف الحلقية وهي ستة: العين والحاء والهاء والخاء والغين والهمزة، فهذه الحروف تخرج من الحلق»[2]، وهذا ما ذهب إليه "ابن الجزري" في كتابه"طيبة النشر في القراءات العشر" فيقول:

وقُلْ لِأَقْصَى الحَلْقِ هَمْزَةٌ هَاءُ ثمَّ لِوَسَطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ

أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا والقَافُ أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقَ ثمَّ الكَافُ[3]

إذ يجعل "ابن الجزري" أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء، ووسطه مخرج العين والحاء، وأدنى الحلق إلى الفم مخرج الغين والخاء.

وهذا ما ذهب إليه "ابن دريد" قبلهما في مقدمة "الجمهرة"، حيث عدَّ حروف الحلق ستة أحرف مرتبة من أقصى الحلق إلى أدناه فيقول: «فمن المصمتة الصحاح حروف الحلق وهي: الهمزة والهاء والحاء والعين والغين والخاء مأخذهن من أقصى الحلق إلى أدناه»[4]، فحروف الحلق عنده هي: الهمزة والهاء والحاء والعين والغين والخاء، ثم قام بترتيبها على مدارج الحلق من الأقصى إلى الأدنى فيقول: «فأما الهمزة فمن مخرج أقصى الأصوات والهاء تليها وهي موضع النفس، والحاء أرفع وهي أقرب حرف يليها، ألا ترى أنها في كلام كثير من الناس مغلوط بها حتى تصير الهاء حاء والحاء هاء..، والعين تتلو الحاء في المدرج والارتفاع...، والخاء أرفع منها

[1] أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيد، دار المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419ه-1999م، ص106.

[2] مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان-الأردن، ط2، 1417ه-1996م، ص 139.

[3] ابن الجزري: طيبة النشر في القراءات العشر، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة-السعودية، ط1، 1414ه-1994م، ص 35.

[4] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، ص 43.

وهي تلي العين والغين على مدرج الخاء إلا أنها أسفل منها»[1]؛ وحسب قوله هذا فترتيب الحروف يكون كالتالي:

من أقصى الحلق تخرج الهمزة والهاء، ومن وسط الحلق الحاء والعين، فالحاء عنده تلي الهاء وهي أرفع منها في المخرج، ثم تلي الحاء العين، ومن أدنى الحلق الغين والخاء والغين عنده أدخل من الخاء.

أما قوله: «ألا ترى أنها في كلام كثير من الناس مغلوط بها"، إشارة إلى ترتيب "الخليل بن أحمد" لهذه الحروف فقد وصفه"ابن دريد" بأنه مغلوط لأنه تتداخل فيه الهاء مع الحاء والحاء مع الهاء فتصيران حرفا واحدا، فيقول الخليل في ترتيبه:"ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء»[2]؛ فـــــ "ابن دريد" لم يذكر الألف ضمن حروف الحلق مثلما فعل"سيبويه" ومن تبعه في ذلك، ولكنه لم يذكر في "جمهرته" سبب عدم ذكره ضمنها، ولهذا يختلف عدد حروف الحلق بين"الخليل" و"سيبويه" و"ابن دريد"، فهي عند "الخليل" خمسة أحرف،بينما عند "سيبويه" فهي سبعة أحرف، أما عند "ابن دريد" فهي ستة أحرف.

ومن المحدثين من أشار إلى صحة ما ذهب إليه "ابن دريد" ومنتقدا في الوقت ذاته مذهب كل من "الخليل "و"سيبويه "فيها يقول: «فعمل الخليل بحذفه الهمزة من أصوات الحلق يشبه عمل سيبويه بإضافته الألف إلى أصوات الحلق، كلاهما لم يجانب الصواب، فالهمزة من الوترين الصوتيين وهو مخرج الهاء أيضا، أما الألف فهو حركة طويلة لا شأن للحلق بإخراجها، وإنما يشترك في إخراجها اللسان والحنك...، فإن الأصوات الحلقية الصحيحة هي الستة التي ذكرها ابن دريد»[3]؛ فهو هنا ينتقد "الخليل" لحذفه الهمزة من أصوات الحلق، ويخطئ "سيبويه" لإضافة الألف إلى أصوات الحلق، لأن الهمزة مخرجها من أقصى الحلق*، أما حرف الألف فهو حركة طويلة لا تتدخل الحلق في إخراجها.

وممن تحدثوا أيضا عن الحلق"ابن جني"(ت 392ه) فيقول: «واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق: فأولها من أسفله وأقصاه مخرجا الهمزة والألف والهاء، وهكذا يقول سيبويه(..)ومن وسط

[1] المصدر نفسه، ج1، ص 43، 44.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج1،ص 57.

[3] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2000م، ص 59.

* أقصى الحلق عند القدامى تقابله الحنجرة عند المحدثين والوتران الصوتيان موجودان ضمن الحنجرة.

الحلق مخرج العين والحاء، وما فوق ذلك يقول مع أول الفم مخرج الغين والخاء»[1]، وهو بهذا يتبع تقسيم"سيبويه" للحلق وفي ترتيب الحروف على مدارجها من الأقصى إلى الأدنى، إلا الألف فإنه يجعل مخرجها قبل مخرج الهاء.

ونجد "المبرد" أيضا يتبع ذلك في كتابه"المقتضب" يقول: «فمنها للحلق ثلاثة مخارج: فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف ويليها في البعد مخرج الهاء، والألف هاوية هناك، والمخرج الثاني من الحلق مخرج الحاء والعين، والمخرج الثالث الذي هو أدنى حروف الحلق إلى الفم مما يلي الحلق مخرج الخاء والعين»[2]، وهو بهذا يوافق "سيبويه" فلم يخالفه في شيء، فالهمزة والهاء والألف من أقصى الحلق، والحاء والعين من وسطه، والخاء والغين من أدناه.

أما "الفرخان" فنجده قد استغنى عن مصطلح الحلق فسماه باصطلاح آخر وهو"ما دون اللهاة" فقال فيه:"وأما العين والحاء فينشئهما اندفاع الهواء المذكور مع انفتاح من الغضروف الفوقاني تام يفضي الهواء إلى هناك من الرطوبات التي دون اللهاة»[3] وهذا ما يؤكده خميس" عبد الله التميمي" بقوله:«وهو اصطلاح انفرد به الفرغاني، ويريد به المنطقة المحصورة بين الحنجرة واللهاة والتي سماها القدامى وسط الحلق وهي عند المحدثين الحلق، وتمثل الفراغ الواقع بين الحنجرة والفم، و لم يذكر الفرغاني هذا المصطلح مع آلات النطق ولكنه ذكره في المخارج وعده المخرج الثاني بعد الحنجرة إذ يتكون عنده صوتا العين والحاء»[4]، وهو بهذا يختلف عن سابقيه فهو يسمي الحلق ما دون اللهاة أي المنطقة الواقعة بين الحنجرة واللهاة وينسب إليها صوتي العين والحاء.

ونجد"ابن عصفور" في كتابه"المقرب" يقسم الحلق إلى أقصى و وسط وأدنى ويعد أحرف الحلق سبعة أحرف فيقول: «فللحق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا الهمز والألف والهاء فالمتوسط منها العي والحاء وأدناها إلى

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ص 57.

[2] المبرد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيم، ج1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة-مصر، 1415ه-1994م، ص323.

[3] الفرخان :المستوفى في النحو،ج2،ص607

[4] خميس عبد الله التميمي:الأصوات اللغوية في كتاب المستوفى في النحو ،منتدى المعارف،ص45

اللسان الغين فالخاء»[1]، فهو هنا يتوافق في ترتيبه للحروف مع "الداني" فهما يقدمان الألف على الهاء أي أن مخرجهما قبل مخرج الهاء.

ويقول"عبد القاهر الجرجاني" في كتابه"العمد": «فمن الحلق ما هو أقصاها مخرجا وهي ثلاثة: الهاء والهمزة والألف وأوسطها مخرج العين الحاء، وأدنى حروف الحلق من الفم مخرج الغين والخاء» [2]، إن "عبد القاهر الجرجاني" يختلف عن سابقيه في ترتيب حروف أقصى الحلق: فالهاء عنده أولا ثم الهمزة ثم الألف ويتفق معهم في البقية.

ونستنتج مما سبق أن الحلق مثل اصطلاحات "الخليل" خصه لأصوات خمسة هي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، وقد أقصى الهمزة من حروف الحلق لأنها في رأيه هوائية تخرج مع الهواء، فهو لم يعرف الحلق من حيث هي عضو من أعضاء النطق أو يشرحه لمعرفة كيفية حدوث الصوت وإنما كان يعتمد على ذوقه الخاص في معرفة مخارج الأصوات، وقد أطلق مصطلح الحلق على منطقة واسعة تسع لمخرج الحروف الخمس المذكورة سابقا، وقد قسمهما إلى حيزين وأقصى الحلق عنده كائن ضمن الحيز الأول، ونلاحظ أيضا"سيبويه" هو أول من قسم الحلق إلى ثلاثة أقسام أقصى ووسط وأدنى، وهو أول من أطلق اصطلاح وسط وأدنى الحلق على اعتبار أن مصطلح أقصى الحلق ورد عند معلمه "الخليل"، وحروف الحلق عنده سبعة أحرف هي: الهمزة والهاء والألف، العين والحاء، والغين والخاء.

إن معظم علماء التجويد تتبعوا "سيبويه" في عدد حروف الحلق أمثال: "الشاطبي" و"الداني" و"أحمد بن خلف الأنصاري" وغيرهم وخالفه في ذلك بعضهم "مكي بن أبي طالب" و"ابن الجزري"، وممن سار على نهجه أيضا نجد علماء اللغة وذلك أمثال:"ابن جني"، "المبرد" و"ابن عصفور الإشبيلي" حيث عدوها سبعة أحرف، ولكن هذا الأخير يختلف معه في ترتيب حروف أقصى الحلق، حيث يجعل الهمزة أولا ثم الألف ثانيا ثم الهاء، أما"الفرخان" فهو الوحيد الذي خالف سابقيه في تسمية هذا العضو بـــــــــــــ "ما دون اللهاة"، وجعل له صوتين فقط هما العين والحاء، ثم إن مصطلح الحلق يختلف بين القدامى والمحدثين، فهو عند القدامى أوسع منه عند المحدثين حيث يشمل الحنجرة والوترين الصوتيين.

---

[1] ابن عصفور الإشبيلي: المقرب، تح:أحمد عبد الستار الجوادي وعبد الله جبوري،ج2، ط1، 1392ه-1972م، ص5.

[2] عبد القاهر الجرجاني: العمد، تح: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، 1995م، ص 140.

اللسان:

اللسان عضو نطق متحرك، مرن موجود داخل الفم، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم، ولكن بمعنى اللغة كما قوله تعالى:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[إبراهيم: 4]، وقوله أيضا:" ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾، [الشعراء: 195]، وقال أيضا: ﴿**وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [النحل: 103]؛ ومعنى لسان هنا اللغة. وتداوله القدامى بهذا المعنى أيضا كما استخدمه العلامة"ابن خلدون" في تاريخه ونجده يكثر من استعمال كلمة لسان بدلا من لغة، فقد جعل عنوان الفصل الخامس والأربعين"في علوم اللسان العربي"* ونرى"ابن منظور" أيضا قد سمى معجمه الموسوعي "لسان العرب"، وقد استخدم القدامى مصطلح اللسان بمعنيين، معنى مجازي وقد سبق ذكره-اللغة- أما الثاني فهو المعنى الحقيقي أي العضو، حيث أدركوا دور هذا الأخير في إنتاج الأصوات اللغوية، وأرجعوا إليه طائفة كبيرة منها.

أ-مصطلح اللسان في المعاجم العربية:

لقد ورد مصطلح اللسان في المعاجم العربية بمعنى الكلام وذكروا أن الجمع منه يذكر على ألسنة ويؤنث على ألسن، فمثلا نجد في معجم "العين" تحت مادة(لسن): «اللسان ما ينطق، ويذكر ويؤنث والألسن بيان التأنيث في عدده، والألسنة في التذكير، ولسن فلان يلسنه أي أخذه بلسانه وقال طرفة:

وإِذَا تَلْسُنِّي أَلْسُنُهَا إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ.

ورجل لَسِنٌ: بين اللَّسن وشيء مُلَسَّنٌ: جعل طرفه كطرف اللسان، ولُسِنَ الرجُل، أي قطع طرف لسانه، فهو ملسون، واللسان: الكلام»[1].

وجاء في "لسان العرب": «اللسان: جارحة الكلام، وقد يكنّى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ قال أعشى باهلة:

---

* للاطلاع أكثر ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحاذة، وسهيل زكار،ج1، دار الفكر، بيروت- لبنان، 1421ه-2000م، ص753.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي:كتاب العين،تح: عبد الحميد هنداوي، ج7، مادة: [لسن]، ص 256.

إنّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبَ وَلَا سَخَرْ.

والإلسان: إبلاغ الرسالة، واللّسن: الكلام واللغة، ولاسنه: ناطقه»[1]، وتحدث أيضا "ابن دريد " في "جمهرته" فقال: «لسن: اللسن مصدر قولهم رجل لسن: بيّن اللَّسَنِ، إذا كان حديد اللسان ولسن الرجل لسنا إذا تناولته بلسانك: قال الشاعر:

وإِذَا تَلْسُنِّي أَلْسُنُهُا إِنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ.

واللسان معروف يذكّر ويؤنث فمن أنث جمع ألسن....ومن ذكّر قال: لسان وألسنة»[2].

ونجد أيضا"ابن فارس" في معجمه" مقاييس اللغة" يذكر اللسان تحت مادة (لسن) في باب: اللام والسين وما يثلثهما حيث يقول: «لسن: اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف بين في عضو أو غيره، من ذلك اللسان، معروف، وهو مذكر والجمع ألسن فإذا كثر فهي ألسنة، ويقال لسنته، إذا أخذته بلسانك»[3]؛ فاللسان عند علماء المعاجم يحمل معنيين الأول أنه عضو نطق كما هو مبين في تعريف"الخليل" و"ابن فارس" والثاني أنه يعني الكلام واللغة كما هو مبين في تعريف "ابن منظور"، ويجمعونه على ألسن وألسنة.

ب-مصطلح اللسان عند علماء اللغة القدامى:

لم نلحظ من علماء اللغة وعلماء التجويد والقراءات من عرّفوا اللسان، ولكنهم قسموه إلى أربعة أقسام:أقصى اللسان، وسط اللسان، أدنى اللسان وطرف اللسان، ثم إن أقصى اللسان يحتوي على مخرجين: المخرج الأول: أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى ويخرج منه صوت القاف، والثاني أقصى اللسان وما يليه من الحنك الأعلى ولكن من أسفل من موضع القاف قليلا وهو لمخرج الكاف.

أما وسط اللسان فقد جعلوا له مخرجا واحدا وثلاثة أحرف وهي الجيم والشين والياء، وبالنسبة لحافة اللسان فقد جعلوا لها مخرجين الأول: من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس وهو مخرج الضاد والثاني

[1] ابن منظور : لسان العرب، مج5، مادة: [لسن]، ص 4029، 4030.
[2] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، مادة: [س، ل، ن]، ص860.
[3] أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون،ج5، مادة: [لسن]، دار الفكر، 1399ه- 1979م، ص246.

أدنى حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، مشتركا مع الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج صوت اللام، وأما طرف اللسان فله خمسة مخارج وأحد عشر ة حرفا: الأول: من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا، وهو مخرج النون، والثاني من مخرج النون، أي من طرف اللسان ولكنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام وهو مخرج الراء، والثالث: طرف اللسان وأصول الثنايا وتخرج منه أصوات الطاء، الدال، التاء، والرابع: طرف اللسان وفويق الثنايا وهو مخرج: الزاي والسين والصاد، والخامس: فهو ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا وهو مخرج الضاد والذال والثاء.

هذه مخارج اللسان كما وردت عند علماء اللغة من نحويين وصرفيين وبلاغيين ومن علماء التجويد والقراءات، وفيما سيأتي تفصيل لبعض آراء هؤلاء العلماء.

إنّ من بين علماء العرب الذين قسموا هذا التقسيم"سيبويه" إذ ذكرأن اللسان أربعة أقسام: «أقصى ووسط وحافة وطرف»[1]، يقول في أقصى اللسان: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف»[2]، فاللسان يشترك مع اللسان الحنك الأعلى في إنتاج صوت القاف، أما صوت الكاف فيجعله: «من أسفل من موضع من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[3]؛ فالكاف عنده يكون مخرجها أدخل قليلا في اللسان من موضع القاف، وبهذا يكون أقصى اللسان مخرجا للقاف والكاف.

وأما عن وسط اللسان فيقول: «فعندما يلامس وسط اللسان وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[4]؛ فوسط اللسان له ثلاثة أصوات هي: الجيم والشين والياء، وأما حافة اللسان فهي مخرج الضاد، وهو صوت ينتج عندما يلامس أول حافة اللسان مع الأضراس وهذا هو المخرج الأول من اللسان، والثاني: «من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[5]، فاللام يشترك في إخراجها اللسان مع الحنك الأعلى والضاحك والناب والرباعية والثنية وأما طرف اللسان فله عند "سيبويه" خمسة مخارج فمن: «طرف اللسان بينه وبين ما فوق

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ض 433.

[2] المصدر نفسه، ص433.

[3] نفسه، ص433.

[4] نفسه، ص433.

[5] نفسه، ص433.

الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج، الطاء والدال والتاء، وما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد، وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[1]، والملاحظ أن أغلبية أصوات اللسان تخرج من طرف اللسان وهي النون والراء والطاء والدال والتاء، والزاي والسين والصاد والظاء والذال والثاء.

ونجد أن جل علماء اللغة تتبعوا "سيبويه" في تقسيمهم للسان وفي حروفه أيضا ومنهم"ابن جني" في كتابه"سر صناعة الإعراب"[2]، حيث نجده لا يخرج عما قاله "سيبويه" البتة، وكذلك "ابن عصفور" في كتابه"المقرب"[3]، و"ابن الدهان" في كتابه "الفصول في العربية"[4]، وذلك تحت عنوان مخارج الحروف، ونلاحظ أنه لم يخرج عما جاء به "سيبويه" فيما يخص اللسان. بالإضافة إلى هؤلاء نجد" عبد القاهر الجرجاني" وذلك في كتابه المسمى"العمد في التصريف"[5]، وكذلك " المبرد" في كتابه "المقتضب" في باب مخارج الحروف وذلك ضمن أبواب الإدغام.

أما" الخليل بن أحمد الفراهيدي" فنجده يختلف عمن جاء بعده من العلماء في تقسيم اللسان وحروفه، فهو يجعل له مخرجين هما أسلة اللسان وذلق اللسان، فمن أسلة اللسان تخرج أصوات الصاد والسين والزاي يقول فيها: «والصاد والزاي أسلية لأن مبدأهما من أسلة اللسان وهي مستدقة من طرف اللسان»[6]، ومن ذلق اللسان طرفه تنتج أصوات الراء واللام والنون إذ يقول فيها: «والراء واللام والنون ذلقية لأن مبدأهما من ذلق وهو تحديد طرفي ذلق اللسان»[7]، وهو بهذا يختلف عمن جاءوا من العلماء فحروف اللسان عنده ستة أحرف هي: ص، س، ز،،ر،ل،ن.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص433.

[2] ابن جني: سر صناعة الإعراب،ج1، ص 47، 48.

[3] ابن عصفور: المقرب، ج2، ص5.

[4] ابن الدهان: الفصول في العربية، تح: فائز فارس،دار الأمل، اربد-الأردن، ط1، 1009ه- 1988م، ص 158.

[5] عبد القاهر الجرجاني: العمد في التصريف: ص 140، 141.

[6] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ص 58.

[7] المصدر نفسه،ص58.

ونجد"ابن دريد"قد خالف هؤلاء جميعا في تسمية أقسام اللسان وفي الأصوات الناتجة عنها منها فسمى: أقصى الفم من أسفل اللسان وجعله مخرجا لأصوات القاف والكاف ثم الجيم ثم الشين ثم جنس حروف وسط اللسان مما هو منخفض وهو مخرج السين والزاي والصاد ومن جنس حروف أدنى الفم خرج التاء والطاء والدال، ومن أدنى الفم إلى ما يليه من الغار الأعلى مخرج الظاء والثاء والذال والضاد[1]، وهو يختلف عن"سيبويه" حيث جعل وسط اللسان مخرجا لأصوات الجيم والشين والياء بينما عنده السين والزاي والصاد.

ومن بين علماء العرب أيضا الذين ذكروا اللسان نجد الطبيب "ابن سينا" حيث تحدث عنه في كتابيه "القانون في الطب" و"ورسالة أسباب حدوث الحروف"، فيقول: «وأما اللسان فيحركه عند التحقيق ثمان عضلات منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الآذان يمنة ويسرة وتتصلان بجانبي اللسان فإذا تشنجتا عرّضتاه، ومنها عضلتان تأتيان من أعلى العظم شبيهة باللام وتنفذان في وسط اللسان فإذا تشنجتا جبتا جملة إلى قدام فتبعهما جرم اللسان وامتد وطال، ومنها عضلتان تأتيان ن الضلعين السافلين من أضلاع هذا العظم تنفذان بين المعرضتين والمطوّلتين ويحدث عنهما ترتيب اللسان ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين إذا تشنجتا بطحتا اللسان وأما تمييله إلى فوق وداخل فمن فعل المعرضة والمروبة»[2]، فنلاحظ أن اللسان عند"ابن سينا" تحركه ثمان عضلات، واكتفى بوصف عضل اللسان و لم يهتم بتشريحه مثلما شرح الحنجرة.

وهذا ما يؤكده الباحث"محمد صالح الضالع" في كتابه "علوم الصوتيات عند ابن سينا" حيث يقول: «لم يهتم ابن سينا بتشريح اللسان مثل اهتمامه بتشريح الحنجرة، وحتى بالنسبة لعضل اللسان لم يوفق في وصفها مثلما وفق في وصف عضل الحنجرة»[3] ،وأما الحديث عن تقسيم اللسان عنده فنجد أن طرف اللسان يتدخل في إنتاج جميع الأصوات التي تخرج من هذا العضو، فعندما يتصل طرف اللسان مع الأسنان نسمع صوت الذال والثاء والظاء وعندما يتصل طرف اللسان باللثة والأسنان تخرج منه مجموعة من الأصوات هي: السين والصاد والدال والضاد والتاء والطاء والزاي والاختلاف بينهما يكون في حبس الهواء[3] فيقول: «أما

[1] ينظر:ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، ص 44.

[2] ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 70، 71.

[3] ينظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص75، 82.

الصاد فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين»[1]، فحبس الهواء في الصاد يكون غير تام أما الدال فيكون الحبس فيها تاما، وكذلك في الضاد والطاء يكون تاما وهكذا.

ج- مصطلح اللسان عند علماء القراءات والتجويد:

أما بالنسبة لعلماء التجويد والقراءات فقد ذكروا أيضا اللسان أثناء وصفهم لمخارج الحروف من أمثال "ابن الجزري" في كتابه "النشر في القراءات العشر"، حيث تحدث عن اللسان والحروف التي تخرج منه فجعل له أربعة مخارج-وهذا مذهب "سيبويه"- فيقول مثلا: «المخرج الخامس أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك وهو القاف»[2]، فنلاحظ أن أقصى اللسان مع الحنك هو لمخرج القاف.

وكذلك"الشاطبي" في منظومته الشهيرة "الشاطبية" حيث تحدث عن اللسان وتقسيماته فيقول مثلا في أقصى اللسان وحروفه:

وحَرْفٌ لَهُ أَقْصَى اللِّسَانِ وفَوْقَهُ مِنَ الحَنَكِ أَحْفَظَهُ وحَرْفٌ أَسْفَلَا [3]

ويشرح هذا البيت "عبد الفتاح عبد الغني القاضي" فيقول: «يخرج حرف القاف من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى ويخرج حرف الكاف من أقصى اللسان أيضا ولكن مخرجه أسفل من مخرج القاف مع ما يليه من الحنك الأعلى»[4].

وعلى درب "سيبويه" أيضا سار "الداني" في كتابه " الإدغام الكبير" تحت باب ذكر حروف اللسان حيث يقول: «أعلم أن حروف اللسان ثمانية عشر حرفا، لها عشرة مخارج وينقسم جميعها على أربعة أقسام: أقصى اللسان، ووسطه، وطرفه، وحافته»[5]؛ إذ قسّم اللسان إلى أقصى ووسط وطرف وحافة مثل سابقيه.

---

[1] المصدر نفسه، ص77.

[2] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص199.

[3] الشاطبي: متن الشاطبية، ص 91.

[4] عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية، ص 388، 389.

[5] الداني: الإدغام الكبير، تح: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 1424ه، ص 120.

وممن تبعهم أيضا هناك عالم آخر وهو "أحمد بن خلف الأنصاري" في كتابه "الإقناع في القراءات السبع"، فيقول مثلا عن اللسان: «أقصى اللسان وما فوقه من الحنك القاف(...)وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الجيم والشين والياء(...)ومن بين حافة اللسان وما يليها من الأضراس الضاد(...)النون وهو من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا...»[1]، وبهذا نلاحظ أن علماء التجويد والقراءات أيضا ساروا على طريق علماء اللغة في تقسيمهم للسان والحروف التي تنتج عنه.

من خلال ما سبق نستشف أن اللسان عضو نطق لا يعمل بمفرده، وإنما يشترك معه مجموعة من الأعضاء الأخرى، كالحنك والأسنان واللثة في إنتاج مجموعة من الأصوات اللغوية، وقد اهتم علماء العرب بهذا العضو وجعلوا له عشرة مخارج وثمانية عشرة حرفا، وهذا مذهب "سيبويه" ومن تبعه من علماء اللغة والتجويد والقراءات، وبهذا فهم يخالفون "الخليل" والذي جعله مخرجا لستة حروف.

[1] أحمد ابن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، ص107، 108.

اللهاة:

اللهاة عضو لحمي صغير مرن، موقعه أقصى الحنك، بين الفراغ الحلقي والفراغ الفموي، ولها دوران أساسيان إذ تعمل على سد مجرى النفس عند بلع الطعام، كما تساهم في إنتاج بعض الأصوات اللغوية، ومثلها مثل سائر أعضاء الجهاز النطقي لم يغفل القدامى دورها في عملية التصويت، وقد اصطلح على الصوت الناشئ عن هذا المخرج الصوت اللهوي، والشائع أن مخرج اللهاة يكون لصوت القاف وهناك من جعله لصوتين هما القاف والكاف.

أ–مصطلح اللهاة في المعاجم العربية القديمة:

جاء في معجم "العين": «اللَّهَاةُ: أَقْصَى الفَمِ، وهي لَحْمَةٌ مُشْرِفَةٌ على الحَلْقِ...ويُقَالُ: لِكُلِّ ذِي حَلْقٍ لَهَاةٌ والجَميع لَهَا ولَهَوَاتٌ»[1]، وجاء في معجم"لسان العرب" لـ "ابن منظور": «اللَّهَاةُ: لَحْمَةٌ حَمْرَاءُ فِي الحَنَكِ مُعَلَّقَةٌ على عُكْدَةِ اللِّسان، والجمع لَهَيَاتٌ، غيره: اللَّهَاةُ الهَنَةُ المِطْبَقَةُ فِي أَقْصَى سَقْفِ الفَمِ، ابن سيدة: واللَّهَاةُ مِنْ كُلِّ ذي حَلْقٍ: اللَّحْمَةُ المُشْرِفَةُ على الحلقِ وقِيلَ ما بين مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِّسَانِ إلى مُنْقَطَعِ القَلْبِ من أَعْلَى الفَمِ والجَمْع لَهَوَاتٌ ولَهَيَاتٌ»[2]، وجاء في "الصحاح" لـ"لجوهري": «اللَّهاة: الهَنَةُ المطبقة في أقصى سقف الفم، والجمع اللّها واللّهوات واللّهيات أيضا»[3]؛ إذا فاللهاة عند أصحاب المعاجم هي تلك اللحمة الحمراء الواقعة في أقصى سقف الفم بمحاذاة الحنك الأعلى.

ب– مصطلح اللهاة عند علماء اللغة القدامى:

لقد تحدث بعض اللغويين القدامى عن اللهاة بصفتها جزء من الحنك الأعلى، وبالنسبة لهذا المصطلح فقد ذكر "الخليل" مصطلح اللهاة إذ يقول: «القاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة»[4]، وكذلك عبارة مدرج اللهاة وقد تحدث عنها في معرض حديثه عن حروف الجوف: «فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، ج4: [اللهاة]، 107.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج5، مادة: [لها]، ص 4091.

[3] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مج6، مادة: [لها]، ص 2487.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص58.

مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة»[1]، فالخليل يجعل حرفي القاف والكاف من مخرج اللهاة ووصفهما بأنهما حرفان لهويان لأنهما ينشآن عن هذا المخرج.

أما "سيبويه" فلم يذكر مصطلح اللهاة وإنما عبر عن هذا المخرج بقوله: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف»[2]، وظاهر قوله هذا أنه يقصد بعبارة ما فوقه من الحنك الأعلى موضع اللهاة، إذ يشترك أقصى اللسان مع اللهاة في إنتاج صوت القاف، وممن ذكر هذا المصطلح إلى جانب "سيبويه" مجموعة من علماء العرب نذكر منهم "ابن يعيش" في "شرح المفصل"[3]، و"الجرجاني" في "العمد في التصريف"[4]، و"ابن الدهان" في "الفصول في العربية"[5]، وهؤلاء رددوا عبارة "سيبويه" ولم يذكروا مصطلح اللهاة، ونلحظ أن "ابن جني" قد استغنى عن المصطلحين السابقين واكتفى بذكر أقصى اللسان: «و مما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف»[6]، فلم يرد مصطلح اللهاة في كتابه، وهذا على خلاف "الفرخان" في مصنفه"المستوفى في النحو" الذي نلقيه يذكر عضو اللهاة ولكن من غير أن يورد تعريفا له :«أما الخاء والغين فمخرجهما ما بين اللهاة إلى الحنك»[7]، فهي عنده تعد مخرجا لصوتي الخاء والغين.

بينما "ابن سينا" فقد عرّف اللهاة بأنها جوهر لحمي إذ يقول: «أما اللهاة فهي جوهر لحمي معلق على أعلى الحنجرة كالحجاب...، ومنفعته تدريج الهواء لئلا يقرع ببرده الرئة فجأة..وليكون مقرعة للصوت، يقوى بها ويعظم كأنه باب موصد على مخرج الصوت بقدره ولذلك يضر قطعها بالصوت»[8]، وفي هذا إشارة إلى أهمية اللهاة في عملية إخراج الصوت، إذ يضر قطعها به، ويذكر في رسالته "أسباب حدوث الحروف" الحروف التي تعمل اللهاة في إنتاجها فيقول: «وأما الخاء فإنها تحدث من ضغط الهواء إلى الحد المشترك بين اللهاة والحنك ضغطا قويا مع إطلاق يهتز فيما بين ذلك يعنف عليها التحريك إلى قدام، فكلما كادت أن تحبس الهواء زوحمت وفسرت إلى

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج1، ص57.

[2] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 431.

[3] ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص6.

[4] الجرجاني: العمد في التصريف، ص 140.

[5] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص 156.

[6] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج2، ص 814.

[7] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص 606.

[8] ابن سينا: القانون في الطب، ج2، ص 285.

خارج ذلك الموضع بقوة»[1]؛ فقد وصف في هذا كيفية حدوث صوت"الخاء" قد حدده بأنه بين اللهاة والحنك، أما«القاف تحدث حين تحدث الخاء ولكن بحبس تام»[2].

ج- مصطلح اللهاة عند علماء التجويد والقراءات:

إن علماء التجويد والقراءات من اتبع "الخليل" في ذكر هذا المخرج وفي الحروف الناشئة منه من أمثال "ابن أبي مريم" إذ يقول معرفا اللهاة: «اللهاة وهي اللحمة المسترخية التي هي كالزنمة في أقصى الفم عند أدنى الحلق وهي حيز القاف والكاف فهما لهويتان»[3].أما "المرعشي" في "جهد المقل" فلم يذكر اللهاة وإنما قال: «ما بين أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه القاف...، ما بين أقصى اللسان بعد مخرج القاف وما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه الكاف وكذا صرحوا به...»[4]، فقد اصطلح على موضع اللهاة أقصى اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، إذ يشترك ها الموضع مع اللسان في إخراج صوتي القاف والكاف، ومن علماء التجويد ممن لم يذكروا اللهاة أين نجد: "المهدوي" في "شرح الهداية"[5]، فالملاحظ أن علماء التجويد والقراءات منهم من ذكر اللهاة ومنهم من اصطلح عليها اصطلاحات أخرى مثل: عبارة"ما يحاذيه من الحنك"، و"ما فوقه من الحنك".

ومما سبق نستنتج أن"الخليل بن أحمد" هو أول من أشار إلى دور اللهاة في إنتاج صوتي القاف والكاف، وسمى الصوت الناتج عنها الصوت اللهوي، أما "سيبويه " فهو لم يطلق عليها هذا الاصطلاح وإنما اكتفى بالإشارة إلى موضعها وهو من الحنك الأعلى مما يحاذي أقصى اللسان، وهذا نفس ما ذهب إليه علماء اللغة الآخرين فمنهم من ذكرها وعرفها ومنهم من أشار إليها بعبارة أخرى أو باصطلاح آخر، وعلى هذا المنوال سار علماء التجويد والقراءات، فمنهم من عرفها مثل"ابن أبي مريم" ومنهم من أشار إلى موضعها فقط من أمثال: "المرعشي" "والمهدوي" وغيرهما.

---

[1] ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 73.

[2] المصدر نفسه، ص 74.

[3] ابن أبي مريم: الموضع في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، ج1، جماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة –السعودية، ط1، 1414هـ-1414هـ-1993م، ص 182.

[4] المرعشي: جهد المقل، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان-الأردن، ط2، 1429هـ، 2008م، ص 128.

[5] المهدوي: شرح الهداية، تح: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، 1411هـ، ص76.

الحنك:

الحنك هو جزء مهم من أجزاء الجهاز النطقي، وهو الجزء العلوي من الفم ويتصف بالثبات ويتصل به اللسان في أماكن عديدة لإنتاج الأصوات اللغوية، وتتصل به اللهاة في أقصاه، وقد ورد تعريف مصطلح الحنك في المعاجم العربية، وفي مؤلفات علماء اللغة وعلماء التجويد والقراءات.

أ-مصطلح الحنك في المعاجم العربية:

جاء في "المحكم" لـــــ "ابن سيدة" : «الحَنَكُ من الإِنْسَانِ والدَّابَةِ بَاطِنُ وأَعْلَى الفَمِ من دَاخِل، وقِيلَ: هو الأَسْفَلُ في طَرَفِ مُقدَّم اللَّحْيَيْنِ من أَسْفَلِهِمَا، والجَمْعُ أَحناكٌ، لا يُكسَّر على غير ذلك»[1]، وهذا ما جاء أيضا في "الجمهرة " لـــــــــــ "ابن دريد" تحت مادة (ح ك ن): «الحَنَكُ من الإِنْسانِ والدّابةِ بَاطِنُ وهو أَعْلَى بَاطِنِ الفَمِ...وحنّكْتَ المولودَ إذا أدخلتَ إِصْبعكَ في باطن فيه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم: يَحْنِّكُ أَوْلَادَ الأَنْصَارِ بالتَّمْرِ»[2].

ورد أيضا مصطلح الحنك في معجم "مقاييس اللغة " لـــــــ "ابن فارس" حيث يقول: «الحاءُ والنونُ والكافُ أصلٌ واحدٌ وهو عضوٌ من الأعضاءِ، ثم يُحمَلُ عليه ما يُقارِبُهُ من طريقة الاشتقاق، فأصل الحنَكِ حنَكُ الإنسانِ، أقْصَى فَمِهِ»[3]، وقال صاحب "اللسان" فيه: «الحَنَكُ من الإنسان والدَّابة باطنُ أعلى الفَمِ من داخل وهو الأسفل في طرف مُقَدَّمِ اللَّحْيَيْنِ من أسفلهما والجمع أحْنَاكٌ...والحَنَكَانِ الأَعْلَى والأَسْفَلُ»[4].

ب- مصطلح الحنك عند علماء اللغة القدامى:

يعد"الخليل" أول من انتبه إلى دور الحنك في إنتاج الصوت اللغوي، ولكنه لم يطلق عليه هذا الاصطلاح وإنما استعمل مسميات أخرى فذكر شجر الفم قائلا:« والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر

---

[1] ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم، مادة: [حنك]، تح: عبد الستار أحمد فراج، ج3، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مصر، ط1، 1377ه- 1985م، ص31.

[2] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، مادة: [حنك]، ص564.

[3] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج2، مادة: [حنك]، ص111.

[4] ابن منظور: لسان العرب: مج2، مادة: [حنك]، ص1027.

الفم أي مفرج الفم»[1]؛ إذ جعله مخرجا لثلاثة أصوات وأطلق تسمية الشجرية نسبة إلى شجر الفم شارحا إياه بمفرج الفم وذكر أيضا مصطلح أقصى الفم بقوله: « وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم»[2]، وهو يقصد به المكان المجاور للهاة، كما ذكر أيضا مصطلح نطع الغار الأعلى أثناء ذكره الحروف النطعية قائلا: «والطاء والتاء والدال نطعي لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»[3]، وذكر الغار الأعلى قائلا: «وأما سائر الحروف إنما ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وظهر اللسان»[4]؛ ويقصد "الخليل" من هذه المصطلحات-شجر الفم-، مخرج الفم، أقسى الفم، نطع الغار الأعلى الغار الأعلى-مخرج الحنك.

أما "سيبويه" فقد ذكر من الحنك أعلاه ووسطه قائلا: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف...ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[5]، نلاحظ أنّ "سيبويه" عرف من أجزاء الحنك وسطه وأعلاه.

ج- مصطلح الحنك عند علماء القراءات والتجويد:

أما علماء القراءات والتجويد فنجدهم قد انتبهوا إلى الحنك ودوره في عملية التصويت، حيث ذكروه في ثنايا كتبهم أثناء حديثهم عن مخارج الحروف، فيقول "السيوطي" في كتابه" الإتقان في علوم القرآن": «أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحنك للقاف»[6]، وذكر أيضا وسط الحنك في المخرج السابع محددا الحروف التي تخرج منه:"وسطه، بينه وبين وسط الحنك للجيم والشين والياء»[7]، وذكر الحنك الأعلى: «اللام

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،تح:مهدي المخزومي وإبيراهيم السامرائي، ج1، ص58.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] نفسه، ص58.

[4] نفسه، ص 52.

[5] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 433.

[6] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مج1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص 284.

[7] المصدر نفسه، ص284.

من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى»[1]، ويقول أيضا: «المخرج الثالث عشر للطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا مصعدا إلى جهة الحنك»[2].

ونجد "المهدوي" في "شرح الهداية" يذكر الحنك ومقدم الحنك فيقول: «المخرج التاسع: مخرج الراء من طرف اللسان بينه وبين مقدم الحنك»[3]، ويعلّق "عبد البديع النيرابي" على هذا القول قائلا: «وذكر المهدوي مقدم الحنك وجعله مخرج الراء ولعله أراد به أصول الثنايا العليا»[4].

وبالإضافة إلى "المهدوي" هنالك "ابن أبي مريم" الذي تحدث بدوره عن دور الحنك في عملية إنتاج الأصوات اللغوية، ولكنه لم يطلق عليه مصطلح الحنك وإنما أطلق على تسمية شجر الفم، فيقول: «ومنها شجر الفم وهو مفرجه وهو حيز الجيم والشين والياء وسمى هذه الحوف شجرية»[5]، ويذكر أيضا مصطلح نطع الغار الغار الأعلى ويعرّفه بأنه سقف الفم فيقول: «ومنها نطع الغر الأعلى وهو سقف الفم، فهو حيز الطاء والدال والتاء فيقال لها نطعية، لأن مبدأها من النطع» [6].

إن كل من "السيوطي" و"المهدوي" و"ابن أبي مريم" أطلقوا على الحنك مصطلحات عديدة وهي الحنك والحنك الأعلى، وسط الحنك، شجر الفم، نطع الغار الأعلى، ويذكر "عبد البديع النيرابي" سبب عدم اهتمام علماء التجويد والقراءات بذكر أقسام الحنك قائلا: «جاء الحنك عطلا موصوفا بالأعلى...ولم يعنوا ببيان أجزائه لانصرافهم إلى بيان أجزاء قرينه وهو اللسان غير أنّ ابن أبي مريم ذكر منه نطع الغار الأعلى وهو سقف الفم»[7]، وهذا هو سبب عد اهتمامهم ببيان كل أقسام الحنك.

---

[1] جلال الدين السيوطي:الإتقان في علوم القرآن،مج1، ص284.

[2] المصدر نفسه، ص284.

[3] المهدوي: شرح الهداية، ص77.

[4] المصدر نفسه، ص77.

[5] ابن أبي مريم: الموضح، ص 182.

[6] المصدر نفسه،ص182.

[7] عبد البديع النيرابي: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج والقراءات، دار الغوثاني، دمشق- سوريا، ط1، 1427ه-2006م، ص49.

ومما سبق يمكننا أن نستشف جملة من النتائج تمكن في أن العرب القدامى عرفوا الحنك ودوره في إنتاج الأصوات اللغوية، ويعد "الخليل" أول من انتبه إلى هذا الدور ، وتسمى الأصوات التي تخرج منه-حسب القدامى-بالنطعية، الشجرية،إلا أن هناك منهم من أطلق عليه هذا المصطلح ومنهم من اكتفى بالإشارة إلى موضعه وحسب

الأسنان:

الأسنان عضو موجود داخل الفم وهي مجموعة من العظام متعددة الوظائف فهي للهضم، إذ تقوم بطحن الطعام وتقطيعه كما لها وظيفة صوتية مهمة، إذ تساعد على إخراج مجموعة من الأصوات اللغوية، وتبرز هذه الأهمية عندما نسمع مثلا كلام إنسان فقد بعض أسنانه، إذ نلاحظ أن الأصوات التي تخرج من فمه مشوهة، وقد أدرك علماء العرب القدامى هذه الأهمية في إنتاج الأصوات، وهي تنقسم إلى الثنايا، الرباعية الأضراس والأنياب والضواحك، ويستحسن على دارس الأصوات اللغوية معرفتها حتى يتمكن من تحديد مخارج الأصوات التي تشترك الأسنان في إنتاجها.

أ-مصطلح الأسنان في المعاجم العربية:

جاء في معجم"العين" تحت مادة (سنن): «السِّنُّ وَاحِدَةٌ مِنَ الأَسْنَانِ»[1]، وجاء في "لسان العرب" تحت مادة(سنن): «السِّنُّ: واحدةُ الأسنانِ، ابن سيدة، السِّنُّ الضِّرْسُ...وروي عن الفراء السِّنُّ الأَكْلُ الشَّدِيدُ، وقال أبو عُبَيْدَةَ في الأَسِنَّةِ أَنّهَا جَمْعُ الأَسْنَانِ والأَسْنَانُ جَمْعُ السِّنِّ وهو الأَكِلُ والرَّعْيُ»[2]؛ فعلماء المعاجم بحسب هذه التعريفات لم يفصلوا في تقسيمات الأسنان واكتفوا بذكر أن السن جمعها أسنان.

ب- مصطلح الأسنان عند علماء اللغة القدامى:

لقد نال هذا المخرج-الأسنان-دراسة وافية عند اللغويين العرب القدامى، فقد درسوا الأسنان بتوسع ووقفوا على دورها في إنتاج الصوت ومن مصطلحات "الخليل" في تقسيمات الأسنان نجد أنه ذكر: «باطن الثنايا»[3].

ونجد"سيبويه" قد تحدث عن هذا المخرج-الأسنان- بقدر كبير من التوسعة والدقة صار مثلا يتبع عند من جاء من بعده من اللغويين حيث ذكر الأضراس: «ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [سنن]، ص 285.

[2] ابن منظور: لسان العرب: مج3، مادة: [سنن]، ص 2121.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص 52.

الضاد»[1]، وذكر ما فويق الثنايا حيث يقول: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون»[2]، وتحدث أيضا عن أصول الثنايا حيث يقول: «ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء»[3]، وكذلك ذكر فويق الثنايا إذ يقول: «ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد»[4]، بالإضافة إلى أطراف الثنايا فيقول فيها: «ومما سبق من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا الظاء والدال والثاء»[5]، وذكر مصطلح الثنايا العلى حيث يقول: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء»[6]؛ "فسيبويه" ذكر من تقسيمات الأسنان الأضراس وفويق الثنايا وأصولها وأطرافها، وأطراف الثنايا العلى.

ونجد أن "ابن جني" قد تفرد بذكر تفصيلات أخرى للأسنان مثل الضاحك والناب والرباعية، وقد تحدث عن هذا المخرج قائلا: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[7]، وكذلك مخرج ما بين الثنايا حيث حيث يقول: «ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين»[8]، وبهذا فـ"ابن جني" قد زاد على مصطلحات "الخليل" و"سيبويه" في تقسيمات الأسنان الضاحك والناب والرباعية.

ونجد أنّ "رضي الدين الأستربادي" قد فصّل في تقسيمات الأسنان تفصيلا شاملا ودقيقا إذ يقول: «اعلم أنّ الأسنان اثنتان وثلاثون سنا ست عشرة في الفك الأعلى ومثلها في الفك الأسفل فمنها الثنايا وهي أربع من قدام: اثنتان من فوق ومثلها في الأسفل، ثم الرباعيات وهي أربع: رباعيتان من فوق يمنة ويسرة وملها في أسفل، وخلفها الأنياب الأربع نابان من فوق يمنة ويسرة ومثلها من أسفل وخلف الضواحك الأضراس وهي ست عشرة، ثمان من فوق أربع يمنة وأربع يسرة، ومثلها من أسفل، ومن الناس من ينبت له خلف

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص433.

[2] سيبويه:الكتاب،ج4،ص433.

[3] المصدر نفسه،ص433.

[4] نفسه،ص433.

[5] نفسه،ص433.

[6] نفسه،ص433.

[7] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 47.

[8] المصدر نفسه، ص47.

الأضراس النواجد، وهي أربع من كل جانب: ثنتان فوق وثنتان أسفل، فيصير ست وثلاثين سِنا»[1]، ونلاحظ أنّ "الأستربادي" قسم الأسنان إلى اثنين وثلاثين سنا فمنها ستة عشر في الفك الأعلى وستة عشر في الفك الأسفل ثم استثنى فئة من الناس لها ستا وثلاثين سنا وهم من ينبت لهم خلف الأضراس النواجد.

وهذا التقسيم نجده عند "ابن سينا" في كتابه "القانون في الطب" حيث يقول: «أما الأسنان فهي اثنان وثلاثون سنا وربما عدمت النواجد منها في بعض الناس، وهي الأربعة الطرفانية فكانت ثمانية وعشرين سنا، فمن الأسنان ثنيتان ورباعيتان من فوق ومثلها من أصل القطع، ونابان من فوق، ونابان من تحت للكسر وأضراس للطحن من كل جانب فوقاني وسفلاني أربعة وخمسة فجملة ذلك اثنان وثلاثون أو ثمانية وعشرون»[2]، فنلاحظ أن تقسيمات "ابن سينا" للأسنان تشبه إلى حد كبير تقسيمات "الأستراباذي" حيث جعلها اثنان وثلاثون سنا باستثناء من كانت لهم النواجد وهي أربعة فتصبح ستا وثلاثين سنا.

ج- مصطلح الأسنان عند علماء القراءات والتجويد:

وقد تحدث علماء التجويد والقراءات عن الأسنان ودورها في إنتاج الأصوات اللغوية فذكروا في مؤلفاتهم أقسامها كالثنايا والرباعية والضواحك والأنياب ونذكر على سبيل المثال"ابن أبي مريم" في كتابه "الموضح في وجوه القراءات وعللها" بقوله: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنيتين مخرج اللام»[3]، وكذلك "المهدوي" في كتابه "شرح الهداية" فيقول: «وبينه وبين ما يليه من الحنك مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية»[4]، وهو وهو ما ذهب إليه "أبو بكر الزبيدي الإشبيلي" في كتابه "الواضح": «ما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام»[5]، وهو مذهب "المرعشي" أيضا في كتابه "جهد المقل" فالأسنان عندهم تنقسم إلى الضواحك والأنياب والرباعية والثنايا وهي عضو مهم من أعضاء النطق وذهب: "أبو العلاء الهمداني" إلى أن تحقيق القراءة

[1] رضي الدين الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 252.

[2] ابن سينا: القانون في الطب، ج1، ص46-47.

[3] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، ص 164.

[4] المهدوي: شرح الهداية، ج1، ص 76.

[5] أبو بكر الزبيدي الإشبيلي: الواضح، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، عمان-الأردن، ط2، 2011م، ص294.

الجيدة يتطلب: «المواظبة على القراءة ورياضة اللسان والأخذ من أفواه أولي العلم والإتقان وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت وجودة الفك ودراية اللسان وصحة الأسنان كان الكمال»[1]، وفي هذا إشارة إلى أهمية الأسنان في عملية النطق الصحيح للأصوات.

كما يقول "عبد البديع النيرابي" شارحا تقسيمات علماء القراءات والتجويد: «الأسنان جاء منها الثنية وردت مفردة ومثناة ومجموعة وهي عليا وسفلى، وميزوا في العليا أصولها وأطرافها وفي السفلى فويقها والرباعية والناب والضاحك والأضراس»[2]، وهذا ما نجده بالتحديد عند علماء التجويد والقراءات، فالثنايا وردت مفردة في كتاب" الهداية"[3]، ومثناة في كتاب "الموضح"[4]، ومجموعة في "الكشف"[5].

مما سبق نستخلص أن الأسنان عضو نطقي مهم في جهاز التصويت إذ تساعد اللسان على إخراج مجموعة من الأصوات اللغوية وأول من انتبه إلى دورها في هذه العملية هو "الخليل" حيث تحدث عن"باطن الثنايا" وهو المصطلح الوحيد عنده، وقد أضاف عليه"سيبويه" بشيء من التفصيل وزاد"ابن جني" عليهما الناب والرباعية، ونلاحظ أيضا أن عددها اثنان وثلاثون سنا وتصل عند البعض إلى ست وثلاثين.

[1] الهمذاني التمهيد في معرفة التجويد،تح:جمال الدين محمد شرق،دار الصحابة،1426ه-2005،ص189

[2] عبد البديع النيرابي: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج والقراءات، ص51.

[3] المهدوي: شرح الهداية، ج1، ص 76.

[4] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص164.

[5] مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات وعللها، ج1، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط5، 1418ه- 1997م، ص176.

الشفتان:

الشفتان عبارة عن عضلتين موجودتين في مقدم الفم، ولهما القدرة على الحركة في جميع الاتجاهات، إذ تتخذان أوضاعا مختلفة أثناء النطق، فلو بقيت الشفتان منغلقتان لما حدث الكلام، وبالتالي تستحيل الممارسة اللغوية، وهما تؤثران في تكوين بعض الأصوات اللغوية، ويسمى الصوت الناتج عنهما الصوت الشفوي أو الشفهي، و لم يغفل دورهما في هذا أيا من اللغويين القدامى عند دراستهم لمخارج الحروف، وهما الخرج الأخير الذي تخرج منه الأصوات، ودور الشفة السفلى أهم بكثير من الشفة العليا، كون الشفة السفلى مرتبطة بالفك السفلي وهو متحرك يمنحها القدرة على التحرك، بينما العليا فتتصل بالفك العلوي وهو ثابت، وحروف الشفة حسب علماء العرب القدامى (علماء اللغة والتجويد) هي: الفاء والباء والميم والواو ولكن مع وجود بعض الاختلاف وسنبين ذلك فيما سيأتي.

أ-مصطلح الشفتان عند علماء المعاجم:

جاء في معجم"العين": «شَفَهَ، الشَّفة منها الهاء، وتصغيرها شُفَيهة، والجميع: الشّفاه، وإذا تَثَلثُوا قَالُوا: شَفَهَاتٌ وشَفَوَاتٌ، والهَاءُ أَقْيَسُ، والواو أعم، المشافهة بالكلام: المواجهة من فِيكَ إلى فِيهِ، والشفة نقصانها واو، نقول: شفة وثلاث شفوات وإذا أردت الهاء قلت: شفاه»[1]، وجاء في "لسان العرب" لـــــــــ "ابن منظور":«شفه: الشفتان من الإنسان: طبقا الفم، الواحدة شفة منقوصة لام الفعل ولامها هاء، والشفة أصلها شفهة لأنّ تصغيرها " شُفيهة" والجمع "شفاه...، ورجل أشفى: إذا كان لا تنضم شفتاه، ورجل شُفَاهيٌّ: عظيم الشفة»[2]،وهذا بالتقريب ما ذكره"الفيروز أبادي" في قاموسه: «وشفتا الإنسان: طبقا فيه، الواحدة شَفَة...، وشَافَهَهُ: أدنى شفته من شفته...، وبنت شفة: الكلمة»[3]؛ فالشفة في "اللسان"و"القاموس" هما طبقا الفم.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [شفه]، ص343.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة: [شفه]،ص2293.

[3] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ج4، مادة: [شفه]،مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط2، 1426ه- 2005م، ص281.

ب- مصطلح الشفتان عند علماء اللغة القدامى:

ذكر علماء اللغة الشفتين أثناء حديثهم عن مخارج الأصوات ويعد "الخليل بن أحمد الفراهيدي" أول من تحدث عن الأصوات التي تخرج من الشفتين، ولكنه لم يعرفهما كعضو بل اكتفى بذكر دورها في إنتاج صوت الفاء والباء والميم، حيث يقول في مقدمته: «وثلاثة شفوية، ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط»[1]؛ فالشفتان عنده لا تعمل سوى في حروف الفاء والباء والميم ولا عمل لها في بقية الحروف الصحاح.

وتتبع رأيه هذا طائفة من العلماء من أمثال "ابن دريد" في "جمهرة اللغة"، إذ يقول: «جنس الشفة وهي الفاء والميم والباء لا عمل للسان في هذه الحروف الثلاثة وإنما عملهن في التقاء الشفتين»[2]، فاللسان عنده لا يعمل في الحروف الشفوية وهو بهذا لم يخرج عما جاء به "الخليل"، إذ يعتبر "ابن دريد" جنس حروف الشفة ثلاثة فقط، و"الرضي" في "شرح الشافية" حيث يقول: «والفاء والباء والميم شفوية أو شفهية»[3]، ونلاحظ أن "الخليل" وأتباعه قد جعلوا للشفة ثلاثة حروف هي : الفاء والباء والميم، وأهملوا الواو لأنها كما قال "الخليل" هوائية: «والياء والواو والهمزة هوائية»[4]، ولهذا لم يعدوها حروف الشفة.

أما "سيبويه" وهو تلميذ "الخليل" فقد جعل للشفتين مخرجين الأول: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا حيث يقول: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء..»[5]، والثاني من بين الشفتين: «ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو»[6]، إذ نجده يخالف "الخليل" في مخرج الفاء إذ يجعلها من بين الشفتين وكذلك في الواو فقد أضافها "سيبويه" إلى الحروف الشفوية وجعل مخرجها من بين الشفتين وقد تابعه هو أيضا كوكبة من العلماء من أمثال:"المبرد" إذ يقول: «من الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص 51.

[2] ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص45.

[3] الأستراباذي: شرح الشافية، ج3، ص250.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص 58.

[5] سيبويه: الكتاب، ج4، ص431.

[6] المصدر نفسه، ص431.

الفاء، ومن الشفة مخرج الواو والباء والميم»[1]، وكذلك "ابن سنان الخفاجي" في قوله: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ومن بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو»[2]، وأيضا "الزمخشري" في كتابه"المفصل" و"السيوطي" في مصنفه"همم الهوامع" و"ابن يعيش" في "شرح المفصل"[3]، وغيرهم من علماء اللغة إذ لم يخرجوا عما جاء به"سيبويه" وكرروا نفس عبارة"سيبويه" فلم يزيدوا عنها شيئا، ومما سبق نستنتج أن فريقا من العلماء اتبع "الخليل" في الحروف الشفوية،إذ جعلوا لها ثلاثة أحرف ومخرج واحد وهؤلاء قلة مقارنة بمن تتبعوا "سيبويه"، إذ نجد معظم علماء اللغة على مذهبه في نسبة هذه الحروف إلى هذا المخرج.

كما نجد "ابن سينا" قد تحدث في كتابه "القانون في الطب" عن الشفتين إذ يقول: «أما الشفة...هي عضل أربع: زوج منها يأتيهما من فوق سمت الوجنتين ويتصل بقرب طرفها، واثنان من أسفل، وفي هذه الأربع كفاية في تحريك الشفة وحدها...إذ كانت الشفة عضوا لينا لحميا لا عظم فيه»، فالشفة عند "ابن سينا" تحركها أربع عضلات اثنان بالقرب من طرف الوجنتين واثنان تتصلان بهما من أسفل وهو يعرف الشفة في موضع آخر من "القانون" إذ يقول: «الشفتان خلقتا غطاء للفم والأسنان وحبسا للعاب ومعينا في الناس على الكلام، وقد خلقتا من لحم وعصب»[4]، وهو في هذا التعريف يذكر وظائف للشفتين وهما عضوان لحميان خاليان من أي عظم.

والحروف الشفوية عنده كما جاء في رسالته "أسباب حدوث الحروف" هي: الفاء والباء والميم والواو، ففي الفاء يقول: «وإذا كان حبس الهواء بأجزاء لينة من الشفة وتسريبه في أجزاء لينة من غير حبس تام، حدث الفاء»[5]، فالفاء تحدث عن حبس غير تام للهواء بأجزاء لينة من الشفة، وفي الباء يقول: «فإن كان في ذلك الموضع بعينه مع حبس تام والإطلاق في تلك الجهة بعينها حدث الباء»[6]؛ فالباء تحدث عن حبس تام للهواء بأجزاء الشفة ثم إطلاقه، وفي الميم يقول: «وأما إذا كان حبس تام غير قوي وكان ليس الحبس كله عند

[1] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ص289.

[2] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص 30.

[3] الزمخشري: المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط2، 397.

[4] ابن سينا: القانون في الطب، ج1، ص 63.

[5] ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 82.

[6] المصدر نفسه، ص 83.

المخرج بين الشفتين...حدث الميم»[1]، وأما الواو فيقول فيها:«وأما الواو الصامتة فإنها تحدث حيث تحدث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمنعه في انضغاطه سطح الشفة»[2]، فالواو الصامتة-غير المدية- كالفاء تخرج من الشفتين ولكن ضغط الهواء وحفزه يكون ضعيفا.

ج- مصطلح الشفتان عند علماء القراءات والتجويد:

أما بالنسبة لعلماء القراءات والتجويد فنجد أنهم اتبعوا "سيبويه" سواء في مخرج الفاء أو في مخرج حروف الباء والميم والواو، فجعلوا باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرجا للفاء، وهذا ما أكده "غانم قدوري الحمد" في قوله: «ولم تتغير عبارة سيبويه في تحديد مخرج الفاء لا عند علماء العربية ولا عند علماء التجويد»[3]، بمعنى أنهم وافقوه في مخرج صوت الفاء كما جعلوا ما بين الشفتين مخرجا للباء والميم والواو، وهذا ما أشار إليه أيضا "غانم قدوري الحمد" بقوله: «وقدر بعض علماء التجويد عبارة سيبويه وحاول بعضهم توضيح حالة الشفتين مع كل حرف من الحروف الثلاثة»[4]، ومن هؤلاء نذكر"مكي بن أبي طالب"، إذ يقول: «أما حروف حروف الشفتين فأربعة: الفاء المفردة، ثم الباء والميم والواو وأخوات»[5]. ويقول "أحمد بن خلف الأنصاري": «الرابع عشر: من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا الأعلى مخرجا للفاء، الخامس عشر: ما بين الشفتين، الباء والميم والواو»[6].

وهذا نفسه ما ذكره "الرازي" في كتابه"الإيجاز في دراية الإعجاز"، وهو ما ذهب إليه "المرعشلي" في مؤلفه "جهد المقل" ولكننا نجده يشرح كيفية حدوث الحروف الشفوية فيقول بعد أن ذكر مخرج كل منها: «ولعل وجه الترتيب هنا أن لكل من الشفتين طرفين طرف منه يلي داخل الفم، والمنظم في الواو يلي البشرة، فالمنطبق في الباء طرفاها اللذان يليان داخل الفم، والمنضم في الواو طرفاها اللذان يليان البشرة، والمنطبق الميم

---

[1] ابن سينا:رسالة أسباب حدوث الحروف،ص83.

[2] غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 186.

[3] نفسه، ص186.

[4] مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط5، 1418ه-1997م، ص 139.

[5] أحمد بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، ص 107.

[6] فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، القاهرة-مصر، ص24.

وسطهما فآخر المخارج ما يلي البشرة من الشفتين»[1]، ومن هنا يعطي وصفا دقيقا لكيفية حدوث حروف المخرج الثاني من الشفتين وهو بينهما، فالباء تحدث عن تطابق الجزء الداخلي منهما، أما الواو فتنتج عن انضمام الجزء منهما، والميم تحدث عن تطابق وسطها، ونجد أنه ميّز في الشفتين أربعة أطراف، طرفان يليان داخل الفم وطرفان يليان البشرة.

وممن فصلوا أيضا في الشفتين "الداني" في مصنفه "التحديد" إذ يقول: «وللشفة مخرجان وأربعة أحرف وهي الفاء والباء والواو والميم : فالفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا والباء والواو والميم من مخرج واحد، وهو ما بين الشفتين غير أنّ الشفتين تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الاو بل تنفصلان»[2]، وبهذا يوضح حالة الشفتين فهما تنطبقان في صوتي الباء والميم وتنفصلان في صوت الميم، وبهذا نلحظ أن علماء التجويد والقراءات على مذهب سيبويه الحروف الشفوية إلا أن بعضهم فصّل في وضعية الشفتين أثناء النطق بهذه الأحرف.

إن الشفتين لهما دور فعال في عملية نطق الأصوات، ويعد "الخليل بن أحمد الفراهيدي "أول من انتبه إلى دورهما هذا وعد أصوات الشفة، الفاء والباء والميم وقد اختلف معه في هذا تلميذه "سيبويه" إذ عدها أربعة أحرف، فالفاء من مخرج والباء والميم والواو من مخرج، وقد تتبع "سيبويه" في هذا جل علماء العربية.

[1] المرعشي: جهد المقل، ص 136، 137.

[2] الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص 104.

الأنف (الخيشوم):

يعد الأنف من بين أهم أعضاء النطق لدى الإنسان، وهو واحد من بين أحد الممرين اللذين يمر فيهما تيار النفس أثناء النطق، فقد يمر التيار من التجويف الفموي، أو من التجويف الأنفي أو من كليهما في آن واحد، وقد ذكر علماء العرب القدمى هذا العضو ضمن آلات النطق وجعلوه مخرج لبعض الأصوات، فما يلي تفصيل في ذلك:

أ-مصطلح الأنف (الخيشوم) في المعاجم العربية:

جاء في معجم"لسان العرب" لـــــ "ابن منظور : «الأنف" المنخر معروف والجمع آنف آناف وأنوف، أنشد ابن الأعرابي:

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ في كُلِّ نَائِبَةٍ عِزَازُ الآنُفِ.

...وآنفه يأنفه ويأنفه أَنْفا: أصاب أنفه»[1].

وقد ورد في "جمهرة اللغة": «الخيشوم: الأنف، والجمع الخياشيم، هكذا قال قوم، وقال الأصمعي: الخياشيم: العظام الرقاق فيما بين أعلى الأنف إلى الرأس والواحد خيشوم...، ورجل خشّام: عظيم الأنف»[2]، وجاء في "المحكم والمحيط الأعظم": «والخيشوم من الأنف: ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم رأسه، وقيل الخياشيم: غضاريف في أقصى الأنف، بينه وبين الدماغ، وقيل: هي عروق في باطن الأنف»[3]، وهذا التعريف أدق من التعريفين السابقين، فالخيشوم في "الجمهرة "هو الأنف بينما في"المحكم" هو غضاريف أو عروق.

ب- مصطلح الخيشوم عند علماء اللغة:

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج1، مادة: [أنف]، ص 1525.

[2] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، مادة: [خشم]، ص 601.

[3] بن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم، ج5، مادة: [خ ش م]، ص22.

ذكر"سيبويه" مصطلح الخيشوم وذلك أثناء حديثه عن مخارج الحروف وذلك في قوله: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة»[1]، فهو بهذا يجعل للخياشيم مخرجا واحدا لصوت واحد وهو النون الخفيفة. ويقصد بها النون الساكنة وليست المتحركة-وقد تم ذكر مخرجها عنده في مقالة اللسان- وبهذا فهناك فرق بينهما وليستا صوت واحد، كما استخدم كلمة الأنف في حديثه عن الميم والنون[2].

وسار على طريقه في هذا بقية علماء اللغة من أمثال "ابن جني" فهو يجعل أيضا الخياشيم مخرجا للنون الخفيفة إذ يقول: «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة، أي الساكنة»[3]، وذكر الأنف والخياشيم في موضع شرحه لكيفية حدوث النون الساكنة: «ويدلك على أن النون الساكنة، إنما هي من الأنف والخياشيم، أنك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلة، وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلا أنّ فيها بعض الغنة من الأنف»[4]، فجعلهما —الأنف والخياشيم-مخرجا للنون الساكنة- وأما النون المتحركة فهي من مخرج الفم.

وقد ترددت عبارة "سيبويه" عند معظم اللغويين، فلم يزيدوا عنها شيئا من أمثال"ابن السراج" في كتابه"الأصول في النحو": «ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة»[5]، و"الزبيدي" في كتابه "الواضح"[6]، و"ابن الدهان"[7] في كتابه"الفصول في العربية"[8]، و"ابن سنان الخفاجي" في "سر الفصاحة"[9].

كما تحدث في الخيشوم أيضا"الفرخان": «فأما النون الخفيفة فمخالفة لغير الخفية في المخرج لأن هذه يشعب الصوت بها شعبة أكثرها إلى ناحية الخيشوم والآخر إلى الفم»[10]، وقد ذكره"السيوطي" في "همع

---

[1] سيبويه: الكتاب،ج4، ص 432.

[2] ينظر: سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

[3] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 48.

[4] المصدر نفسه، ص 48.

[5] ابن السراج: الأصول في النحو، ج3، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ص401.

[6] أحمد بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، ص 107.

[7] الزبيدي: الواضح، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، الأردن، ط2، 2011، ص294.

[8] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص158.

[9] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص30.

[10] الفرخان: المستوفى في النحو، ج1، ص 608.

الهوامع" أثناء حديثه في الغنة: «والغنة فرع النون والخيشوم الذي تخرج منه هذه الغنة هو المركب فوق غر الحلق الأعلى فهي صوت يخرج من ذلك الموضع تابع لكل نون ساكنة، ولكل ميم ساكنة، فإنك لو أمسكت بأنفك لم تتمكن من الخروج»[1]، فهو يذكر أن موضع الخيشوم هو الموجود فوق غار الحلق الأعلى وهو للغنة والنون الساكنة والميم الساكنة.

أما "ابن سينا" فإنه يذكر الأنف باعتباره عضوا له وظيفته بارزة عن نطق بعض الأصوات وهي الميم والنون في اللغة العربية فيقول في هذين الصوتين: «وأما إذا كان حبس تام غير قوي، وكان ليس الحبس كله عند المخرج بين الشفتين، ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يحدث الهواء عند اجتيازه للخيشوم والفضاء الذي في داخله دويا حدث الميم»[2]، وقوله أيضا: «وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يسرب أكثره إلى ناحية الخيشوم كانت النون"[3]؛ ولكن "ابن سينا" هنا يقصد بالنون والميم المتحركتين وليستا الساكنتين لأن الهواء فيهما يخرج بعضه من الفم وبعضه من الخيشوم(الأنف).

ويصف دور الأنف في إنتاج الأصوات اللغوية في "القانون": «وأما الأنف فمنافعه ظاهرة...فإنه يعين على تقطيع الحروف وتسهيل إخراجها في التقطيع لأن لا يزدحم الهواء كله عند المواضع بمقدار»[4]؛ ومن هنا نلاحظ أن "ابن سينا" استخدم ثلاثة ألفاظ للإشارة إلى هذا العضو فقد استخدم لفظة أنف في كتابه الطبي"القانون" واستخدم خيشوم في "أسباب حدوث الحروف" واستخدم مصطلح آخر: «والميم والنون قد يكون منهما ما يقتصر على الدوي الحادث من الهواء في تجويف آخر المنخر»[5]، فالمنخر هنا حسب "ابن سينا" هو الخيشوم والأنف.

[1] السيوطي: همع الهوامع، ج6، 294.

[2] ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 83.

[3] المصدر نفسه، ص 83.

[4] ابن سينا: القانون في الطب، ج1، ص 46.

[5] ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، ص 92.

ج- مصطلح الخيشوم عند علماء القراءات والتجويد:

إن علماء التجويد والقراءات لم يخرجوا عما جاء به "سيبويه" في الخيشوم حيث عدوه مخرجا للنون الخفيفة وهو مذهب "ابن الجزري" في كتابه "النشر في القراءات العشر": «الخيشوم للغنة وهي تكون في النون والميم»[1]؛ فقد جعل الخيشوم لأحرف الغنة وهي النون والميم الساكنتين في حالة الإخفاء والإدغام بالغنة فالغنة تخرج الساكنتين حالة الإخفاء أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة فإن مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة عن مخرجها الأصلي من الخيشوم.

ويقول "الداني" في "التحديد": «والخيشوم الخرق المنجذب إلى داخل الفم»[2]، ويقول "مكي" في "الرعاية" أثناء حديثه في الغنة: «الغنة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشيم...ومخرجه هو المخرج الثالث عشر من مخارج الفم»[3]، ويقول "المرعشي "في مؤلفه"جهد المقل": «المخرج السابع عشر: الخيشوم وهو أقصى الأنف كما قال: يخرج منه النون المخفاة»[4]، والملاحظ على هذه الأقوال أنها تجعل الخيشوم مخرجا للنون الخفيفة أو المخفاة كما قالوا.

إلا أن "الشاطبي" يضيف عليهم غنة التنوين:

وَغُنةُ تَنوينٍ ونونٌ وميمٌ إن سَكنَّ ولا إظهارَ في الأنفِ يُجتلَى.

فبيّن أولا الحروف التي تصحبها الغنة بأنّ أضاف الغنة إليها وهي التنوين والنون والميم لأنّ التنوين نون حقيقية في المخرج والصفة وأما سيبويه وأتباعه فلم يذكروا وإلا النون والميم"[5]. وعلق على "سيبويه" وأتباعه في ذكرهم النون والميم وعدم إشارتهم إلى غنة التنوين.

---

[1] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر،ج1، ص 201.

[2] الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص 109.

[3] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص240.

[4] المرعشي: جهد المقل، ص137.

[5] أبو شامة الدمشقي: إبراز المعاني من حرز الأماني، تح: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص 749، 750.

ونستخلص مما سبق أن الخيشوم من مصطلحات "سيبويه" حيث جعله مخرجا للنون الخفيفة والميم الساكنة، وتبعه في هذا العلماء العرب القدامى باستثناء "الشاطبي" الذي أضاف إلى الحروف التي تخرج من الخيشوم غنة التنوين، وقد جعلوه المخرج الأخير من مخارج الحروف كما أطلقوا عليه مصطلحات متعددة: (الأنف، المنخر، الخيشوم).

الجوف:

الجوف هو الباطن من كل شيء، ومخرج الجوف من بين مخارج الأصوات وعدّه البعض من علماء العرب القدامى مخرجا لأصوات المد واللين، وتسمى الحروف التي تخرج منه بالحروف الجوفية أو الهوائية، ويختلف مفهومه بين العلماء اللغة والقرارات والتجويد، و لم يجعل كل العلماء الجوف مخرجا إلا القليل منهم من أمثال "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، "ابن الجزري" وغيرهم وفيما يلي تفصيل في ذلك.

أ- مصطلح الجوف عند علماء المعاجم:

جاء في معجم" العين": «الجَوفُ معروفٌ، وجَمعُهُ أجْوافٌ وأَهلُ الحِجَازِ يُسَمون فَسَاطِيطَ عُمالِهِم: الأَجْوِاف والجَائِفَةُ: الطعنةُ تَدْخُلُ الجَوْفَ، والجَوفُ، خَلَاءُ الجَوفِ كَالقَصَبَةِ الجَوْفَاءِ والجُوفَانُ:جَماعَةُ الأَجْوَاف، واجتاف الثور الكناس إذا دخل جوفه»[1]، وذهب "ابن منظور" في معجم "اللسان" أن: «الجَوْفَ: المُطْمَئِنُّ مِن الأَرْضِ وجَوْفُ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، مَعْرُوفٌ ابن سيده: الجوف بَاطِنُ البَطْنِ والجَوْفُ مَا انطَبَقَتْ عَلَيهِ الكَتِفَانِ وَالعَضُدَانِ والأَضْلَاعُ والصقْلَانِ، وجَمْعُهَا أَجْوَافٌ. وجَافَهُ جَوفًا أَصَابَ جَوْفَهُ....وَجَوْفُ كُلِّ شَيءٍ دَاخِلُهُ»[2]، أما "ابن فارس" فذكره قائلا تحت مادة جوف: «الجيم والواو والفاء كلمة واحة وهي جوف الشيء. يقال هذا جوف الإنسان، وجوف كل شيء، وطعنة جائفة إذا وصلت إلى الجوف. وقدر جوفاء واسعة الجوف»[3]؛ فالملاحظ على هذه التعاريف اللغوية أن القصد من جوف الشيء باطنه وداخله.

ب- مصطلح الجوف عند علماء اللغة القدامى:

إن "الخليل " هو أول من تحدث عن الجوف إذ يعود هذا المصطلح إليه بصفة خاصة ويؤكد هذا ما جاء في"مقدمة العين" حيث يقول: «قَالَ الليثُ قَالَ الخَلِيلُ.... وَأَربْعَةُ أَحْرُفٍ جُوفٌ وهي: الوُاوُ واليَاءُ والأَلِفُ اللينةُ. والهَمزَةُ وسُميت جوفًا لأَنَهَا تَخْرُجُ مِنَ الجَوْفِ. فَلَا تَقَعُ فِي مَدْرجٍ مِن مَدَارِجِ اللسانِ،ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف وكان يقول

---

[1] الخليل بن أحد الفراهيدي:كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، ج1، مادة: [جوف]، ص 273.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج1، مادة: [جوف]، ص 728.

[3] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج1، مادة: [جوف]، ص 495.

كثيرا الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء»[1]، فـــــــ "الخليل" ذكر مصطلح " الجوف ونسب إليها حروف الواو والياء والألف اللينة والهمزة،كما أنه ذكر "الهواء" وهو عنده فراغ لا يحدد بمخرج.

ويؤكد هذا "غَالب فاضل المطلبي" بقوله: «لَقَدْ تَكَلمَ الخَلِيلُ في أَثْنَاءِ الحَديثِ عن الأَصواتِ اللغَوِيةِ العَربيةِ على طَائِفةٍ منها مَيزها من غيرها، أَطلقَ عَليهَا مُصْطلحَ الحُروفِ الهَوائِيةِ أو الحُروفُ الجُوفُ، وهذه الأَصْواتُ هي الأَلف والوَاو والَياء»[2].

أما "سيبويه" فقد ذكر مصطلح الهواء حيث يقول: «اللينة وهي الواو والياء لأنَّ مَخْرجهَا يتسعُ لِهَواءِ الصوتِ، أَشَدَّ من اتساعِ غَيرهمَا كقولك: وَأْيٌ، والواو، وإن شِئْتَ أَجْرَيتَ الصوتَ ومَدَدْتَ، ومنها الهَاوِي وهو حرفٌ اتسعَ لِهواءِ الصوتِ مُخرجهُ أَشدَّ من اتساعِ مُخرَجِ الياء والواو، لأنكَ قَدْ تَضُمُّ شفتيكَ في الواو وترْفعُ في الياء لِسانكَ قِبَلَ الحنَكِ وهي الألف»[3]؛ فهو لم يذكر مصطلح الجوف وإنما قال الهواء والهاوي للدلالة على الأحرف التي تخرج من الجوف.

وهذا ما أثبته "عبد العزيز الصيغ" حيث يقول: «ولم يذكر سيبويه الجوف مخرجا، وإنما عدّ أصواتَ المدّ ذَاتَ مَخارجَ أُخرَى، وقد تبعه في ذلك أكثرُ العُلماءِ»[4]؛ فهو حتى وإن أشار إلى الألف والواو والياء الهوائية فهو لم يعد الجوف مخرجا لها، فلكل حرف مخرجه الخاص، بينما جعل "ابن جني" مخرج هذه الحروف من الصدر ذَاكرًا هذا المصطلح بقوله: «فَلما اختَلفتْ أشكالُ الحَلقِ والفَمِ والشفتَينِ مع هذه الأَحْرُفِ الثلاثة اختلف الصدَى المنْبعِثُ من الصدرِ وذلك قولك في الألف أَأْ وفي الياء إِيْ وفي الواو أُوْ»[5]؛ فحتى وإن اختلفت مخارجها فإن الصدى المنبعث معها أو الصوت يخرج من الصدر، فتتخذ الحلق والفم والشفتين أوضاعًا مختلفةً، وهي المتحكمة في الصوتِ المنبعثِ من الصدرِ وهذا الأخيرُ يعني الجوفُ.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج1، ص 41.

[2] غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ـــــــــــــــ العراق، ص 70.

[3] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435، 436.

[4] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 209.

[5] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 08.

أما "الزمخشري " فقد أورد مصطلح "الخليل" ألا وهو الجوف حين قال: «وحروف المدّ والين جوفاء»[1]؛ بمعنى أنها تخرج من الجوف وهي الألف والواو والياء، وأسقط الهمزة التي عدّها "الخليل" جوفية، في حين ذكر"الأستراباذي" مصطلح هوائية و لم يستخدم مصطلح الجوف: «والواو والياء والألف والهمزة هوائية إذ هي من الهواء لا يتعلق بها شيء»[2]، وهو بهذا على درب "الخليل "الذي قال: «والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلق بها شيء»[3]؛ فالأحرف الهوائية حسبهما" الأستراباذي" و "الخليل" هي الواو والألف والياء والهمزة.

ج- مصطلح الجوف عند علماء القراءات والتجويد:

تعرض"مكي بن أبي طالب " لهذا المصطلح أثناء حديثه عن الحروف الجوفية: «الحروفُ الجَوفيةُ: ويقال الحروف الجُوفُ ـــــــــــ جمع أجوف ـــــــــــ وهن ثلاث الألف والواو والياء، وهي حُروفُ المدِّ واللينِ ..... سمّاهن الخليلُ بذلك لأنه نسبهنّ إلى آخر انقطاعِ مُخرجِهن وهو الجَوْفُ، وزاد غيره مَعَهُنَّ الهمزة، لأن مُخرجها من أقصَى الحلقِ وهو يتصلُ بالجوفِ»[4]؛ كما تحدث عن مصطلح الهوائية في قوله: «الحروفُ الهوائِيةُ وهنّ الُجوفُ»[5] ؛ فيتبين لنا أنه استعمل مصطلحي الجوف والهوائية للدلالة على حروف المدّ.

المدّ.

وقال"المرعشي" في مصطلح الجوف: «وبالجُملةِ أنَّ حروفَ المدّ لما لم تَنقطعْ أَصواتُها في موضعٍ لم يكن لها مُخرجٌ محقق، فإن المخرج المحقق هو الذِي انْقَطَع الصوتُ فيه،بل قدّروا له جوفَ الحلْقِ والفَمِ مخرجًا.»[6]؛ فـــ"المرعشي"اتبع "الخليل" في ذكر مصطلح الجوف وجعله مخرجا لحروف المدّ، وذلك لأن الصوت جارٍ معها أثناء النطق بها كونها لا تعتمد على مخرج معين ومحقق، وهدا الأخير حسبه هو الذي لا يجري فيه الصوت وينقطع في أحد المخارج، مثل الحلق والشفتين.

---

[1] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص 399.

[2] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 254.

[3] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص 58.

[4] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص 142.

[5] المصدر نفسه، ص 142.

أما تعريف المخرج المقدّر فقد قال فيه: «فالمخرج المقدر هو الذي لا يَنْضَغِطُ فيه الصوتُ انضغَاطًا ينقطع به الصوت.»[1]؛ فهذا المخرج إذن افتراضي وليس محقق كباقي المخارج، التي تبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين، فالنفس ينقطع فيها بينما المقدّر فإن النفس جار فيه.

بينما ذهب "ملا علي القاري" إلى ذكر مصطلح الجوف ضمن مخارج الحروف العربية فقال: «وهذه الحروفُ تنتهي إلى هواءِ الفمِ من غيرِ اعتمادٍ على جُزءٍ من أجزائهِ لِذَا يقالُ لِهذهِ الحُروفِ جَوفيةٌ وهَوائيةٌ»[2]؛ وهذه الأحرف المقصودة هنا هي حروف المدّ واللين المعروفة (الألف والواو والياء) وسبب تسميتها بالحروف الجوفية والهوائية هو أنها تخرج مع هواء الجوف سَلِسَةً من دونِ ضغطٍ على أَحدِ المخَارجِ.

ونجد أن "ابن الجزري" قد جعل الجوف هو المخرج الأول من بين مخارج الحروف حين قال: «المخرجُ الأولُ- الجَوْفُ- وهو للألفِ والواوِ الساكنةِ المضْمومِ ما قَبلهَا والياءِ الساكنةِ الكسورِ مَا قَبلها وهذه الحروفُ تسمى حروفَ المدّ واللينِ.»[3]؛ فاشترط أن تكون الواو في هدا المخرج ساكنة وما قبلها مضموم مثل قولك: ذَهَبُوا والياء أيضا ساكنة وما قبلها مكسور مثل قولك: أَبِي وذكر" ابن الجزري"هذا مصطلح في بيت شعري في "طيبة النشر":

فَالجَوفُ لِلْهَاوِي وَأُخْتَيْهِ وَهِيَ حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي[4]

وقد تطرّق العلماء العرب القدامى إلى سبب تسمية هذه الحروف بحروف المدّ فيقول "المرعشي": «سمّيت حروف المدّ حروف المدّ واللين لأنها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان، لاتساع مخرجها فإن المخرج إذا اتسع انتشر فيه الصوت وامتدّ ولان، وإذا ضاف الضغط فيه الصوت وصلب.»[5]؛ فيتبين لنا هذا السبب لأنها تخرج من غير أن ينضغط الصوت في أحد المخارج فتتسع لها هذه المواضع فتخرج لينة سهلة النطق.

---

[1] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص 125.

[2] ملّا علي القاري: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح: أسامة عطايا، دار الغوثاني، دمشق – سورية، ط2، 2012م، ص77.

[3] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص .199

[4] ابن الجزري: طيبة النشر في القراءات العشر، ص 35.

[5] المرعشي: جهد المقل، ص 125، 126.

إن أول من جعل الجوف مخرجا للحروف هو"الخليل بن أحمد الفراهيدي"، فسمى حروفه بالحروف الجوفية أو الهوائية وهي الألف والواو والياء والهمزة، ومن سار على نهجه "مكي بن أبي طالب القيسي" غير أنه جعله مخرجا لحروف المدّ واللين مقصيا بذلك الهمزة، وتعدّدت تسميات هذا المصطلح بين العلماء القدامى، فمنهم من سمّاه الجوف ومنهم من سمّاه الصّدر، ومنهم من أشار إلى الحروف الهوائية فقط من غير أن يذكر أن مخرجها هو الجوف.

ثانيا–صفات الأصوات

1–الجهر

2–الهمس

3–الشدة

4–الرخاوة

5–الإطباق

6–الانفتاح

7الاستعلاء

8–الاستفال

9–القلقلة

صفات الأصوات:

تعد الصفات من أهم الخصائص الصوتية في تمييز الأصوات بعضها عن بعض عن بعض، لأنه من خلالها يمكن تحديد الصوت الإنساني، فلا يعرف الصوت إلا بواسطة هذه المجموعة من الصفات، وقد تطرّق علماء العرب القدامى إلى هذه الصفات تحت باب صفات الحروف للدلالة على مجموعة من السمات الصوتية التي يتميز بها كل حرف ومنهم من لم يستعملها وإنما اكتفى بذكرها في معرض حديثه عن الحروف، وسيأتي تفصيلها فيما يلي:

أ- مصطلح صفات الأصوات عند علماء المعاجم:

جاء في معجم"العين" لـــــــ"الخليل بن أحمد الفراهيدي" تحت مادة (وصف): «الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته. ويقال للمهر إذا توجه لشيء من حسن السّيرة: قد وصف، معناه: أنه قد وصف المشي»[1]، وجاء فيه أيضا مادة (صوت): «صوّت فلان بفلان تصويتا أي دعاه وصات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح، كل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات، ورجل صائت حسن الصوت شديدة، رجل صيّت حسن الصوت»[2]، ولا يخرج عن المعنى السالف ذكره ما جاء به "الجوهري" في"الصحاح" حيث يقول: «وصفت الشيء وصفا وصفة..... وتوصفوا الشيء من الوصف، واتصف الشيء، أي صار متواصفا قال "طرفة بن العبد":

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرٍ هَمَمْتُ جَارٌ كَجَارِ الْحُذَافِيِّ الذي اتَّصَفَا

أي صار موصوفا بحسن الجوار.»[3] ؛ ومن هنا فإن صفات الأصوات هي مجموع الصفات التي تميز صوتا عن آخر فتجعله مختلفا عنه.

ب- مصطلح صفات الأصوات عند علماء اللغة القدامى:

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي،ج4، مادة: [وصف]، ص 376.

[2] المصدر نفسه، ج2، مادة: [صوت]، ص421.

[3] الجوهري: الصحاح، مج4، مادة: [وصف]، ص1438،1439.

هناك من علماء العرب القدامى ممن تحدثوا عن صفات الأصوات وأفردوا لها أبوابا، ومنهم من تحدث عنها في معرض حديثهم عن الحروف من أمثال "سيبويه"إذ يقول: «هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها و مهموسها و مجهورها وأحوال مجهورها ومجهورها واختلافها»[1]، ثمّ ذكر سبب تعرّضه لهذه الصفات قائلا: «وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما تحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه ذلك وما لا يجوز فيه و ما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك»[2]؛ فهو لم يفرد بابا خاصا بصفات الحروف، و لم يدرسها لأجل ذاتها وإنما ليتمكن من معرفة الحروف التي يجب أن تدغم أو تبدل أو تخفى

أما "ابن جني" فلم يذكر مصطلح صفات الحروف وإنما سماها أجناس الحروف في قوله: «اعلم لأن للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات نحن نذكرها»[3] ؛ فالأجناس عنده هي الصفات، ثم قسمها إلى: «مجهورة ومهموسة، الشدّة والرخاوة، الإطباق والانفتاح، الاستعلاء والانخفاض، الصحة والاعتلال، السكون والحركة، الأصل والزيادة، المنحرفة المكرّر، المشربة، المهتوتة، الذلاقة، الحروف المصمتة»[4] ؛ فعدد الصفات الأجناس عنده عشرون صفة. منها ما لها ضدّ مثل الجهر والهمس، ومنها ما هي مفردة مثل صفة المكرّر.

وقد ذكر"الزمخشري" هذه الصفات تحت باب الإدغام وقسمها إلى: «المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمطبّقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة وحروف الصفير وحروف الذلاقة والمصمتة واللينة وإلى المنحرف والمكرّر والهاوي والمهتوت»[5]؛ فجعلها ثمانية عشر صفة و لم يذكر مصطلح صفات الأصوات في معرض حديثه عنها، أما "العكبري" فاستعمل عبارة صفات الحروف وأجناسها للدلالة على هدا المصطلح: «فصل في صفات الحروف وأجناسها وهي أحد عشر جنسا وهي: المجهورة، والمهموسة، والشديدة، والرخوة،والمنحرفة، والشديدة التي يخرج معها الصوت، والمكررة، واللينة، والهاوية، والمطبقة، والمنفتحة»[6] ؛ فقد جمع "العكبري "بين المصطلحين الصفات والأجناس، وجعلها أحد عشر صفة.

---

[1] سيبويه:الكتاب، ج4، ص434.

[2] المصدر نفسه، ص334.

[3] ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص60.

[4] المصدر نفسه، ص60.

[5] الزمخشري: المفصل، ص394.

[6] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، تح: عبد الإله بنهان، ج2، دار الفكر، دمشق-سورية، ط1، 1995م، ص4064.

وقد استعمل" ابن الدهان" مصطلح أصناف الحروف إشارة لهذه الصفات قائلا: «أصناف هذه الحروف سبعة عشر صنفا: مجهورة، ومهموسة، وشديدة ورخوة، وبينهما، ومنحرف، وشديد يخرج معه الصوت، ومكرر، ولينة، وهاو، ومطبقة، ومنفتحة، ومتفش، وأغن، ومستطيل، ومستعلية، وصفير»[1] ؛ فيجعلها تحت عنوان أصناف الحروف، وجعلها سبعة عشر صنفا كما هو مذكور.

إضافة إلى "ابن عصفور الاشبيلي" والذي جعلها تحت عنوان: "ذكر تقسيمها بالنظر إلى صفاتها"؛ أي تقسيم الحروف بحسب صفة كل حرف وعلل سبب تعرضه لها إذ يقول: «وإنما ذكرت صفات الحروف لأن إدغام المتقاربين يبنى عليها أو على أكثرها.....فينبغي أن نرجع إلى تبيين حكم إدغام المتقاربان في المخارج أو في الصفات»[2]؛ فكل حرفين متقاربين من حيث الصفات يجب إدغامهما وذلك لسبب التخفيف.

ج- مصطلح صفات الأصوات عند علماء التجويد والقراءات:

ونجد علماء القراءات والمنشغلين بعلوم القرآن هم أيضا تطرقوا إلى صفات الأصوات، يقول "مكي بن أبي طالب" في كتابه "الرعاية" تحت عنوان باب صفات الحروف وألقابها وعللها: «وربما اجتمع للحروف صفتان وثلاث وأكثر، فالحروف تشترك في بعض الصفات وتفترق في بعض والمخرج واحد وتتفق في الصفات والمخرج مختلف ولا تجد أحرفا اتفقت في الصفات والمخرج واحد، لأن ذلك يوجب اشتراكها في السمع فتصير بلفظ واحد فلا يفهم الخطاب منها، وهذه الصفات والألقاب إنما هي طبائع في الحروف خلقها الله عز وجل على ذلك»[3]؛ حسب"مكي" الحروف قد تتفق في الصفات ويكون المخرج مختلف، وقد تختلف ويكون المخرج متفق ومشترك بينهما، وقد ذكر أنها أربعة وأربعون صفة.

بينما "عبد الدائم الأزهري" فقد جعل لها تقسيما مختلفا تمثل فيما يلي: «صفات الحروف تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قوية وضعيفة، وبين القوية والضعيفة فالقوية كالجهر والشدّة والاستعلاء والإطباق والقلقلة والصفير والتفشي والاستطالة والانحراف والتكرار والضعيفة كالهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح، والذي بين القوية

[1] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص158.

[2] ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1996م، ص430.

[3] مكي: الرعاية، ص115.

والضعيفة»[1]؛ فنلاحظ أن "الأزهري" قسم الصفات إلى ثلاث وهي القوية كالجهر والضعيفة كالهمس والتي بين القوية والضعيفة.

أما "المهدوي" فقد استعمل مصطلح أصناف الحروف قائلا: «أصناف الحروف وهي سبعة عشر صنفا: وهي المهموسة، المجهورة، الشديدة التي لا يخالطها الصوت، الرخو ، المنطبقة، المنفتحة، المستعلية، المستفلة....»[2]؛ فجعل لحروف العربية سبعة عشر صفة، وقد ورد تعريف صفة الحرف في كتابه " الطرازات المعلّمة في شرح المقدمة": «وصفة الحرف قال الجعبري: لفظ يدل على صفة في موصوف ذاتي وفائدتها تمييز الحروف المشتركة بعضها عن بعض إذ لولا ها لا تحدت»[3]؛ فالموصوف هنا هو الحرف، والصفة هي السمة التي تميز الحروف التي هي من مخرج واحد.

بينما جمع "ابن الجزري" صفات الأصوات في منظومته الشهيرة "متن الجزرية في فن التجويد" تحت عنوان باب صفات الحروف.

صِفَاتُهَا:جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلْ مُنْفَتِحٌ مُصْمَتَةٌ والضِّدُّ قُلْ

مَهْمُوسُهَا: فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ شَدِيدُهَا لَفْظُ: أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ

وَبَيْنَ رِخْوٍ والشَّدِيدِ لِمَنْ عُمَرْ وسَبْعُ عُلْوٍ: خَصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ

وصَادُ ضَادٌ طَاءُ ظَاءُ: مُطْبَقَهْ وفَرَّ مِنْ لُبِّ :الحُرُوفُ المُذْلَقَهْ

صَفِيرُهَا صَادٌ وزَايٌ سِينُ قَلْقَلَةٌ: قُطْبُ جَدٍ، واللِّينُ

وَاوٌ ويَاءُ سُكِّنَا، وانْفَتَحَا قَبْلَهُمَا، والانْحِرَافٌ: صُحِّحَا

فِي اللَّامِ والرَّا وبِتَكْرِيرٍ جُعِلْ وللتَّفَشِّي: الشِّينُ، ضَادًا: اسْتَطِلْ[4]

---

[1] عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، تح: عبد الرحمان بدر، دار الصحابة للتراث بطنطا، 2005م، ص49.

[2] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص77،78.

[3] عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، ص 49.

[4] ابن الجزري: متن الجزرية في فن التجويد، تح: أيمن رشدي سويد، مكتبة اقرأ، قسنطينة- الجزائر، ط2، 1433 هـ، 2012م، ص 17.

فجمع الصفات من جهر، ورخو، ومستفل، ومنفتح، ومصمت، ومهموس، وشديد، وبين الرخو والشديد، والمطبق، والمذلقة، والصفير والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشي، في هذه الأبيات الشعرية.

لقد اختلف القدامى في تسمية مصطلح صفات الأصوات فذكروا مصطلحات صفات الحروف وأجناس الحروف وألقاب الحروف وأصناف الحروف لكن مقصودهم من وراء ذلك واحد وهي تلك الصفات التي تميز كل حرف عن الآخر بحيث تجعله يختلف عنه حتى وإن اتفق في المخرج كالجهر، والهمس، والشدة والرخاوة...، كما نلاحظ أنهم اختلفوا في عددها، فهناك من عدها إحدى عشرة صفة، ومنهم من جعلها سبعة عشرة، وآخر ثمانية عشر، أما" مكي بن أبي طالب" فقد وصل بالعدد إلى أربعة وأربعين صفة.

الجهر:

الجهر صفة تطلق على مجموعة من الأصوات اللغوية، وأرجعه العلماء المحدثون إلى اهتزاز الوترين الصوتيين الواقعين في الحنجرة، وقد تفطن علماءنا القدامى إلى هذه الصفة رغم عدم معرفتهم بالوترين الصوتيين ودورهما في إنتاج الصوت المجهور، ونسبوه إلى مجموعة من الأصوات اللغوية، وعكس الصوت المجهور هو الصوت المهموس.

أ- مصطلح الجهر في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" : «جهر بكلامه، وصلاته وقراءته يجهر جهارا، وأجهر بقراءته لغة، وجاهرتهم بالأمر، أي: عالنتهم، واجتهر القوم فلانا أي نظروا إليه عيانا جهار. وكل شيء بدا فقد جهر ورجل جهير إذا كان في الجسم والمنظر مجتهرا وكلام جهير وصوت جهير أي: عال، والفعل: جهر جهارة، قال: ويقصر دونه الصوت الجهير...، والجهور: الصوت العالي»[1].

وفي معجم "الصحاح": «رأيته جهرة، وكلمته جهرة ....وجهر بالقول: رفع به صوته، وجهور، وهو رجل جهوري الصوت، وجهير الصوت وإجهار الكلام: إعلانه، ورجل مجهر بكسر الميم، إذا كان من عادته أن يجهر بكلامه»[2]وهذا نفسه ما جاء في "لسان العرب": « يقال جهر بالقول إذا رفع به صوته وهو جهير، وأجهر فهو مجهر إذا عرف بشدة الصوت...، والحروف المجهورة :ضد المهموسة وهي تسعة عشر حرفا»[3]؛ فالجهر هو رفع الصوت عند الكلام.

ب- مصطلح الجهر عند علماء اللغة القدامى:

الجهر من مصطلحات "سيبويه" (ت 180هـ)، حيث ذكره أثناء حديثه عن صفات الأصوات وعرفه بقوله: «فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1، مادة: [جهر]، ص 269.

[2] الجوهري: الصحاح، مج2، مادة: [جهر]، ص 618.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج2، مادة: [جهر]، ص 710.

غنة، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما»[1]؛ فالمجهور هو الحرف الذي تكون فيه قوة في الضغط في الموضع الذي يخرج منه، فإن حاولت ترديده وتكريره عدة مرات في آن واحد لن تقدر على ذلك، وهذا هو حال الحروف المجهورة التي تخرج من الحلق والفم حيث يتم الاعتماد لها في هذين الموضعين غير أن النون والميم قد تكون قوة الضغط فيهما في الفم والخياشيم، ويؤكد هذا أننا عندما نحاول نطق صوت الميم والنون مع سد مجرى النفس من الخيشوم يحدث خلل في النطق.

وحاول "تمام حسان" أن يشرح تعريف "سيبويه" للجهر ولكن بمفهوم حديث وذلك على النحو التالي: «فإذا أعدنا تعبير سبويه مشروحا على طريقة شراح المتون، أو معبر ا عنه بعبارتنا نحن التي تستعمل مصطلحات حديثة بدت عبارة سبويه السابقة على النحو التالي: فالمجهور صوت شدد الضغط في الحجاب الحاجز معه ولم يسمح للهواء المهموس أن يجري معه حتى ينتهي الضغط عليه، ولكن يجري الصوت أثناء نطقه فهذه حال الأصوات المجهورة في الحلق والفم، إلا النون والميم فقد يتم الاعتماد فيهما على مخرجهما في الفم والخياشم فتصير فيهما غنة أي أثر صوتي أنفي مجهور»[2] ؛ فـ "تمام حسان "عبر على تعريف "سيبويه" للجهر بمصطلحات حديثه، حيث أشار إلى أن قوة الضغط تكون على مستوى الحجاب الحاجز –وهو مصطلح حديث لم يرد عند"سيبويه"– حتى منع النفس من أن يجري معه.

والحروف المجهورة كما حددها "سيبويه" هي: «الهمزة، والألف،والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو. فذلك تسعة عشر حرفا.»[3]، ولم يذكر أستاذه "الخليل" مصطلح الجهر، ولكن أشار إليه بتعبير يدل عليه، وذلك أثناء حديثه عن القاف والعين:«ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرسا.»[4]؛ فكلمة أضخمها جرسا تدل على صفة الجهر، فالقاف والعين مجهوران.

[1] سيبويه: كتاب، ج4، ص 432.

[2] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، 1994م، ص 62.

[3] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 432.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص53.

وقد اتبع "سيبويه" في تعريفه السابق للمجهور أغلب العرب القدامى، حيث رددوا عبارته دون زيادة أو نقصان،أو أي شرح أو تعليق، من أمثال "ابن جني" في "سرّ صناعة الإعراب"[1]، و"ابن السراج" في "الأصول في النحو"[2]، و"ابن سنان الخفاجي" في مصنفه"سر الفصاحة"[3]، وكذلك "العكبري" في كتابه "اللباب في علل البناء والإعراب"،[4] وهذا حال علماء التجويد والقراءات،حيث اقتفوا أثر "سيبويه" في تعريفهم للصوت المجهور ومنهم"مكي بن أبي طالب" في كتابه "الرعاية "[5]، و"الداني" في "التحديد"[6]، وكذلك "ابن الجزري"(ت833هـ) في كتابه الموسوم بـ"النشر في القراءات العشر"[7]

وهذا ما يؤكده "إبراهيم أنيس" في مؤلفه "الأصوات اللغوية" قائلا: «هذا هو التعريف الذي وقف أمامه علماؤنا القدماء حائرين قانعين بترديد ألفاظه بنصها دون شرح واضح أو تعليق ذي قيمة لا يكادون يقربون معه حتى ينقلبوا عنه، كأنما قد تخيلوا في ألفاظه قدسية تحول دون أي تغيير فيها أو تبديل ولو بكلمات مرادفة.»[8] ؛ بمعنى أنهم لم يفصلوا فيه أو يحاولوا شرح معناه وتبيان مواضع الغموض فيه وإنما أعادوه بلفظه ومعناه وكأنه نص مقدس.

لكن هناك من أورد تعريفا آخر للجهر وإن كان موافقا لتعريف"سيبويه"في معناه وهو "الأستربادي": «والمجهور لا اعتبار فيه بعدم جري الصوت، بل الاعتبار فيه بعدم جري النفس عند التصويت، فعلامة المجهور رفع الصوت.»[9] ؛فالنفس لا يجري في الصوت المجهور أثناء النطق به وصفته أن يرفع الصوت به أثناء لفظه ،وكذلك "الفرخان" نجده يقول في الحروف المجهورة: «وهي الحروف التي يرتفع بها الصوت ارتفاعا عاما لقوة الاعتماد في

[1] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص60.

[2] ابن السراج: الأصول في النحو، ج3، ص402.

[3] ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، ص30.

[4] أبو البقاء عبد الله العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص464-465.

[5] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص117.

[6] الداني: التحديد، ص105.

[7] ابن الجزري: النشر قي القراءات العشر، ص202.

[8] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية،مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، ص101.

[9] رضي الدين الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص260.

مواضعها»[1]؛ فهؤلاء العلماء يرجعون الجهر إلى قوة الضغط في المخرج الذي ينشأ منه الحرف وارتفاع الصوت عند النطق بالحرف المجهور، أما "المبرد" فقد خرج عن تعريف "سيبويه" للجهر بقوله: «ومنها حروف إذا رددتها ارتدع الصوت فيها وهي المجهورة.»[2]؛ فهو بهذا لا يرجع الصوت المجهور إلى عدم جري النفس فيه وإنما إلى ارتداع الصوت، ف"سيبويه"يرجعه إلى النفس وقوة الاعتماد، أما "المبرد" فيرجع الجهر إلى الصوت نَفْسِهِ.

وممن خالف "سيبويه" أيضا "ابن دريد" في "الجمهرة" أثناء حديثه عن سبب تسمية الحروف المجهورة: «وسميت مجهورة لأن مخرجها لم يتسع فلم تسمع لها صوتا.»[3] ؛ فالجهر عنده سببه هو عدم اتساع مخرج الحرف أثناء النطق به، إذ نحس ونحن ننطق بالصوت المجهور بضيق مخرجه، ويعبر عن هذا " السكاكي" في "مفتاح العلوم": «وهو أن الجهر انحصار النفس في مخرج الحرف.» .[4] فعندما ينحصر النفس في المخرج فإننا نلاحظ أنه يضيق، وهكذا تحدث صفة الجهر، وهؤلاء وإن اختلفوا مع "سيبويه" في تعريفهم للجهر غير أنهم يتفقون معه في الحروف المجهورة، إلا أن "السكاكي" لا يوافقه فيها جميعا فقد عدها خمسة عشر حرفا، مع جعله الكاف والتاء حرفين مجهورين، وجمعها في عبارة: (قدك أترجم ونطايب)، وأخرج من الحروف المجهورة العين، الغين، الضاد، اللام، الزاي، الظاء، الدال.[5]

ونخلص في نهاية المطاف إلى أن "سيبويه" هو أول من أطلق اصطلاح الجهر على هذه الصفة، ويرجعها إلى قوة الاعتماد الحاصلة في مخرج الحرف، فهو بهذا لم ينتبه إلى أنه ناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتيين كما قال المحدثون، وقد اتبعه لاحقوه في تعريفه للجهر وفي حروفه وعدوها تسعة عشر حرفا، إلا ما ورد عند "السكاكي" في اختلافه عنهم فيها حيث عدها أربعة عشر حرفا، كما اعتبر الكاف والتاء صوتين مجهورين لا مهموسين، بينما عند "سيبويه" فهما مهموسين.

---

[1] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص613.

[2] المبرد: المقتضب،ج1، ص330.

[3] ابن دريد: جمهرة اللغة، ، ص46.

[4] السكاكي: مفتاح العلوم، ص11.

[5] ينظر: المصدر نفسه، ص11.

الهمس:

إن الهمس عند المحدثين هو عدم اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء النطق بالصوت المهموس، وهو عكس الجهر الذي يهتز الوتران الصوتيان، أثناء التلفظ بالحرف المجهور، وقد أدرك القدامى هذه الصفة وخصوها بمجموعة من الأصوات اللغوية،كما عرفوه تعريفا يختلف عن تعريف المحدثين، كونهم لم يكن لهم علم بالوترين الصوتيين، وقد تمكنوا من تحديد الصوت المهموس عن طريق إجراء تجربة بسيطة ، سيتم ذكرها فيما سيأتي.

أ – مصطلح الهمس في المعاجم العربية:

ورد في معجم "العين": «الهمس حسن الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم كالسر، وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت الوطء، وعن ابن عباس رصي الله عنهما": وهن يهوين بنا هميسا...، وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108]، يعني:خفق الأقدام على الأرض»[1]، وهو ليس ببعيد عما ذكره صاحب معجم "الصحاح" في الهمس: «الهمس: الصوت الخفي....، والأسد الهموس: الخفي الوطء»[2]، وجاء في "لسان العرب" لـــ "ابن منظور": «الهمس: الخفي من الصوت والوطء والأكل، وقد همسوا الكلام همسا،.... وفي الحديث فجعل بعضنا يهمس إلى بعض، والهمس الكلام الخفي لا يكاد يفهم»[3]؛ فالهمس إذا حسب ما سبق ذكره هو الكلام الخافت والصوت الخفي الذي لا يكاد يسمع.

ب– مصطلح الهمس عند علماء اللغة القدامى:

لقد عرف علماء العرب القدامى صفة الهمس وعددوا الأصوات المهموسة ثم إن أول من عرف الهمس هو العالم الكبير "سيبويه" وذلك كالتالي: «المهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي:كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج4، مادة: [همس]، ص322.

[2] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مج3، مادة: [همس]، ص991.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج6، مادة: [همس]، ص250.

عليه.»[1] فالهمس إذن هو ضعف في الضغط أثناء النطق بالحرف المهموس، مع مرور النفس معه، وأنت تعرف المهموس إذا رددته عدة مرات وذلك مع النفس الخارج مع الحرف فأمكنك أما إذا أردت ترديده في الحرف المجهور لما أمكن ذلك لأن النفس لا يجري أثناء النطق به، ويتصف المهموس بالضعف، أما المجهور فيتسم بالقوة.

وقد حاول "تمام حسان" أن يبسط تعريف "سيبويه" السالف الذكر بقوله: «وأما المهموس فهو صوت أضعف الضغط في موضع الضغط أثناء نطقه حتى جرى الهواء المهموس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الصوت بنطقه مع جري النفس فإنك لا تسمع له جهرا»[2]؛ فالاعتماد هو الضغط الذي يكون على مستوى المخرج، والنفس هو الهواء الخارج مع الحرف أثناء النطق به ففي المهموس يكون الضغط أضعف منه في المجهور والأول يجري مع التلفظ به النفس، أما الثاني فلا يكون فيه ذلك.

أطلق " سيبويه" هذه الصفة على مجموعة من الأصوات اللغوية وهي كما وردت في كتابه: «وأما المهموسة فالهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء فذلك عشرة أحرف»[3] ؛ فإذا كانت حروف الجهر تسعة عشر حرفا، فحروف الهمس عشرة أحرف لتكتمل الأبجدية العربية بتسعة وعشرين حرفا منقسمة إلى مجهورة ومهموسة.

إن ما تجدر الإشارة إليه أن علماء العرب القدامى قد ساروا على خطى "سيبويه" في تعريفهم لصفة الهمس وفي حروفه أيضا أمثال "ابن جني" في "سر صناعة الإعراب": «وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس، وأنت تعتبر ذلك بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سسس، ككككك، هههه، ولو تكلفت ذلك في المجهور لما أمكنك....، فالمهموسة عشرة أحرف يجمعها قولك: ستشحثك خصفه.»[4]، وهو لم يزد عن "سيبويه" بالكثير سوى أنه أورد أمثلة على كيفية النطق بالحرف المهموس، أما المجهور فلا يمكن تكريره عدة مرّات لأن النفس لا يجري فيه مثلما هو في المهموس.

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص432.

[2] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص62.

[3] سيبويه، الكتاب،ج4 ص432.

[4] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 60.

وممن تتبعوا "سيبويه" أيضا "ابن سنان الخفاجي"[1] في "سرالفصاحة "و"الزمخشري " في "المفصل"[2] و"ابن السراج" في "الأصول في النحو"[3] وغيرهم، إذ رددوا تعريف "سيبويه" من غير زيادة ولا نقصان وأي أدنى شرح أو تفسير.

أما "المبرد" فقد عرّف الحروف المهموسة بأنها: «حروف إذا رددتها في اللسان معها الصوت...، وتعلم أنها مهموسة بأنك تردد الحرف في اللسان بنفسه»[4]؛ فالهمس في نظره هو جريان الصوت أثناء النطق بالحرف المهموس حتى سهل ترديده على اللسان،ونلاحظ أن "المبرد"لم يقل جريان النفس وإنما قال جريان الصوت، وهذا ليس ببعيد عما ذكره "السكاكي" في "مفتاح العلوم" فقال: «الجهر انحصار النفس من مخرج الحرف والهمس جري ذلك فيه.» [5]، فالنفس حسبه يجري مع الصوت المهموس وذلك عكس المجهور والذي يحتبس النفس أثناء النطق به، حتى اعتاص ترديده على اللسان ويعتبر هذا الفرق الجوهري بينهما.

وقد ورد عن "ابن دريد" في "الجمهرة" تعريف يختلف عما ذكرناه سابقا من تعريفات الهمس فقال: «فالحروف المهموسة الهاء والحاء والكاف والخاء والسين والشين والثاء والصاد والتاء والفاء، وإنما سميت مهموسة لـــأنه اتسع لها المخرج.»[6]، فهو هنا لا يرجعه إلى جري النفس، ولا إلى جري الصوت وإنما إلى اتساع المخرج، فعندما تنطق بالحرف المهموس يتسع مخرجه وهذا عكس المجهور الذي يضيق له المخرج عند النطق به، وحروف الهمس عنده هي عشرة أحرف، إلا أن "السكاكي" في "مفتاح العلوم" فإنه يختلف عن كل من سبق ذكرهم في حروف الهمس إذ عدها خمسة عشر حرفا يقول: «والمجهورة عندي: الهمزة والألف والقاف والكاف والجيم والياء والراء والنون والطاء والدال والتاء والباء والميم والواو، والمهموسة ما عداها.»[7] ؛ أي أن الحروف الباقية التي لم يتم ذكرها ضمن هذه الأحرف المجهورة هي مهموسة عنده وهي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، الشين، السين، الصاد، الضاد، الزاي، الظاء، الثاء، الذال، اللام، الهاء، فهناك أحرف عنده

[1] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص 31.

[2] الزمخشري: المفصل، ص 395.

[3] ابن السراج: الأصول في النحو، ج3، ص 402.

[4] المبرد: المقتضب، ج1، ص 332.

[5] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 11.

[6] ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص 46.

[7] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 11.

هي مهموسة بينما عند "سيبويه" مجهورة والعكس، وهذا فيما يخص علماء اللغة اللذين عرفوا الهمس وذكروا حروفه.

ج- مصطلح الهمس عند علماء التجويد والقراءات:

وقد اتبع علماء التجويد والقراءات "سيبويه" في تعريفهم للهمس وفي حروفه ومنهم " مكي بن أبي طالب" في "الرعاية": «الحروف المهموسة عشرة أحرف يجمعها هجاء قولك: ستشحتك خصفه، أو هجاء قولك: سكت فحثه شخص، أو هجاء قولك: سكت شخصه فحث، ومعنى الحرف المهموس أنه حرف جرى معه النفس عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد عليه عند خروجه فهو أضعف من المجهور، وبعض هذه الحروف المهموسة أضعف من بعض فالصاد والخاء أقوى من غيرهما...، وإنما لقب هذا المعنى بالهمس لأن الهمس: هو الحس الخفي الضعيف فلما كانت ضعيفة لقبت بذلك»[1]، فـ "مكي" يعتبر أن حروف الهمس في حد ذاتها بعضها أضعف من بعض، فمثلا الصاد والخاء هما أقوى هذه الحروف، وقد جمعها القدامى في عبارات لتسهيل معرفتها، وتتصف هذه الحروف بالضعف ولذلك سميت مهموسة.

وقال فيه "أبو شامة الدمشقي": «الهمس الضعف فسميت مهموسة لضعف الصوت بها حين جرى النفس معها فلم يقو التصويت بها قوية في الجهر»[2]؛ فالسبب في ضعف الصوت المهموس أن جرى معه النفس أثناء النطق به فلم تسمع له قوة في التصويت مثل ما هو في المجهور، كما ورد مصطلح الهمس في "متن الشاطبية" إذ يقول صاحبها:

فَمَهْمُوسُهَا عَشْرٌ حَثَثْ كَسْفَ شَخْصِهِ أَجَدَّتْ كَقُطْبٍ للشَّدِيدَةِ مُثِّلَا[3]

وقد جمعها في جملة واحدة لتسهيل معرفتها، وهذا ليس ببعيد عما ذكره "المهدوي": «المهموسة عشرة يجمعها قولك سكت فحثه شخص، ومعنى الهمس الإخفاء، وهذه الحروف ضعف الاعتماد عليها فخالطها النفس في مخرجها»[4]، فجعل مصطلح الهمس مرادف لمصطلح الإخفاء.

---

[1] مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 116.

[2] أبو شامة الدمشقي: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 751.

[3] الشاطبي: متن الشاطبية، ص 92.

[4] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص 78.

ومما سبق نلحظ أن علماء العرب القدامى لم يأتوا بشيء جديد عن "سيبويه" في الهمس، وهذا ما أكده "غانم قدوري الحمد" بقوله:« وكان سبويه أول من قدم هذا التعريف للمجهور والمهموس من علماء العربية، وظل له تأثير كبير في موقف الذين درسوا الموضوع من بعده سواء أكانوا من علماء العربية أم علماء تجويد، لم يتمكنوا من الخروج عليه، أو الزيادة فيه إلا في جوانب ضيقة لم تصل إلى حد تقديم تعريف آخر لها يحل محل تعريف سبويه»[1]، وبهذا فقد عجز العلماء من بعد "سيبويه"عن الإتيان بالجديد فيما يخص تعريف هذا المصطلح فما كان عليهم سوى أن يرددوا عباراته بلفظها ومعناها، إلا فيما يخص الحروف فقد خالفه "السكاكي" فيها فجعل بعض الحروف المجهورة عند "سيبويه "مهموسة عنده.

[1] غانم قدوري الحمد: الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، ص 112.

الشدة:

مصطلح الشدة من صفات الأصوات، والتي تعمل فيه الأذن على التمييز بين الصوت الشديد القوي من الصوت الضعيف الخافت، كأن يتحدث الإنسان بصوت مرتفع أو يهمس همسات خفيفة، ويقصد بالشدة غلق ممر الهواء غلقا محكما، فينحبس معها الهواء انحباسا تاما.

أ- مصطلح الشدة في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" لـــ"الخليل" تحت مادة (شدد): «والشدة: الصلابة...ورجل شديد شجاع»[1]، وورد في معجم "لسان العرب" مصطلح الشدة كما يلي: «الشدة: الصلابة وهي نقيض اللين، تكون في الجواهر والأعراض والجمع شدد...وشيء شديد: بين الشدة، وشيء شديد: مشتد قوي...وشدده قواه، والشديد: خلاف التخفيف، وقوله تعالى: ﴿وشددنا ملكه﴾، أي قويناه»[2]، وهذا ما نلحظه في "مختار الصحاح" لـــ "الرازي" فيعرفه قائلا تحت مادة (شدد): «شيء شديد بين الشدّة بالكسر، وقد اشتد وشدّ عضده قواه وشده أوثقه شده ويشده بالضم والكسر شدا فيهما وقوله تعالى: "حتى يبلغ أشده" أي قوته»[3]، نلاحظ من التعاريف السابقة أن مصطلح الشدة يعني القوة والصلابة، ونقيضه هو اللين والتخفيف.

ب- مصطلح الشدّة عند علماء اللغة القدامى:

عرف "سيبويه" مصطلح الشدة بقوله: «ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والياء، وذلك أنك لو قلت ألجح ثم مددت صوتك لم يجر ذلك»[4] ؛ فـــــــ "سيبويه" يحدد الصوت الشديد بأنه الذي لا يجري الصوت فيه أثناء النطق به إذ تحبسه حبسا تاما ثم تطلقه.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، مادة: [شدد]، ص 315.

[2] ابن منظور : لسان العرب، مج: 4مادة: [شدد]، ص 2214.

[3] الرازي: مختار الصحاح، مادة: [شدد]، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ص 140.

[4] سيبويه: الكتاب، ج4، ص434.

وقد ردّد "ابن جني" عبارة "سيبويه" في مؤلفه "سرّ صناعة الإعراب"[1] أثناء تعريفه هو أيضا لمصطلح الشدّة، أما "المبرد" فقد ذكر تعريفا مخالفا لهما في تعربف الحرف الشديد حيث يذكر في ذلك: «ومنها حروف تمنع النفس وهي التي تسمى الشديدة»[2]، ويعلّق على هذا التعريف الباحث "عبد العزيز الصيغ" في قوله: «والمبرد خالف سبويه في تعريف الشديد إلا أن تعريف سبويه أخص فالصوت لا يكون إلا بجري النفس، فعدم جري الصوت يقتضي عدم جري النفس فهما على وفاق في المعنى»[3]؛ فالخلاف بينهما حسبه في تعريف الحرف الشديد يكمن في أن "سيبويه" يخصه بانحباس الصوت أما "المبرد" فيجعله انحباسا للنفس أما "الزمخشري" فقد قال في تعريفها: «والشدّة أن يحصر صوت الحرف في مخرجه»[4]

وكذلك عرفها "السكاكي" بقوله: «إذا تم الانحصار كما في قولك:أجدك قطبت أسميت شديدة»[5] فالملاحظ عل تعريف "الزمخشري" "والسكاكي" أنهما جعلا مصطلح الانحصار لوصف كيفية حدوث الحروف الشديدة، وهناك أيضا من لم يستعمل مصطلح الشدّة ولكنه ذكر مصطلح الأخرس في قوله: «فمن ذلك: أن الفراء سمّى بعض الحروف مصوّتا .... وسمّى بعضها أخرس ...وأراد بالأخرس الحروف الشديدة التي يلزم اللسان فيها مكانه وهي الثمانية الأحرف الشديدة التي يجمعها قولك: أجدك قطبت»[6]؛ فالحروف الشديدة عنده هي الهمزة، والجيم، والدال، والكاف، والقاف، والطاء، والباء، والتاء.

بينما أورد "أبو القاسم المؤدب" في مؤلفه "دقائق التصريف" لفظا آخر وهو الصلبة على خلاف مصطلح الشدّة حيث قال: «فأما الصلبة منها: فالطاء والتاء والجيم والدال والكاف والهمزة والقاف والباء، وسميت صلبة لأنه لا يجوز لك مدّ صوتك بها»[7]؛ واللفظة نفسها وردت في كتاب "العين" لـــــ ـــ"الخليل بن أحمد

---

[1] ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص61.

[2] المبرّد: المقتضب، ج1 ،ص330.

[3] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص، 115،116.

[4] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص395.

[5] السكاكي: مفتاح العلوم، ص11.

[6] أبي سعيد السيرافي: ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح: صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدة-السعودية، ط1،1405ه-1985م،ص59،60.

[7] أبي القاسم المؤدّب: دقائق التصريف، تح: حاتم صالح الضامن، دار الشام، دمشق- سورية، ط1،2004م ،ص225.

الفراهيدي" لما تحدّث عن صفة الطاء فيقول: « (....) لأن الدّال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها(...) »[1]، نلاحظ من التعريفين السابقين أن كلا من "أبي القاسم المؤدب" و"الخليل" قد ذكرا لفظ الصلبة للدلالة على مصطلح الشدّة وهما معنيان متفقان.

يقول "عبد العزيز الصيغ": «نجد أن مصطلح الشدّة عند القدماء أتى تعريفه بعبارتين عبارة سيبويه، وعبارة المبرد.... وأن تعريف المبرد للشدّة يكون أوضح وبعيدا عن اللبس، كما أن تعريف الزمخشري كان أوضح التعاريف، وهو يقترب من تعريف المبرد وإن استعمل عبارة حصر الصوت بدلا من منع النفس التي استعملها المبرد»[2] وهنا يفاضل "عبد العزيز الصيغ" بين تعاريف كل من "سيبويه" و"المبرّد" و"الزمخشري" للشدّة ومقياس المفاضلة عنده هو الوضوح.

ونجد أيضا "الأستربادي" في "شرح شافية ابن الحاجب" يتعرّض لمصطلح الشدّة وحروفها قائلا: «والشديدة: ما ينحصر جري صوته عند إسكانه في مخرجه فلا يجري، ويجمعهما أجدك قطبت»[3]، ويقول أيضا: «ونعني بالشديدة ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجري الصوت»[4]؛ فيصف الصوت الشديد بالذي ينعدم فيه جريان الصوت وهو مذهب "سيبويه". كذلك " ابن الأنباري" تحدث في كتابه "الأسرار العربية" عن معنى الحرف الشديد: «ومعنى الشديدة أنها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت فلذلك سميت شديدة»[5]؛ ويقول في في عدد الحروف الشديدة «والشديدة ثمانية أحرف، ويجمعها: أجدت طبقك»[6]؛قد جمعها لتسهيل معرفتها.

3- مصطلح الشدة عند علماء القراءات والتجويد:

يقول "مكي بن أبي طالب القيسي" في تعريف الحرف الشديد: «ومعنى الحرف الشديد: أنه حرف اشتد لزومه لموضعه وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند اللفظ به والشدّة من علامات قوة الحرف

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص38.

[2] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 117.

[3] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 258.

[4] المصدر نفسه، ص 260.

[5] ابن الأنباري: أسرار العربية، تح :محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ -1997م، ص 2010.

[6] المصدر نفسه، ص 209.

فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوة في الحرف، لأن كل واحدة من هذه الصفات تدل على القوة في الحرف، فإذا اجتمع اثنان من هذه الصفات في الحرف أو أكثر فهي غاية القوة كالطاء»[1]، ثم يقول في سبب تسمية هذا النوع من الصفات بالشدة فيما يلي: «وإنما لقب هذا الصنف بالشدة، لاشتداد الحرف في موضع خروجه، حتى لا يخرج معه صوت، ألا ترى أنك تقول في الحرف الشديد: ألجّ، ألدّ، فلا يجري النفس، مع الجيم والدال، وكذلك أخواتهما فلما اشتد في موضعه، وامتنع الصوت أن يجري معه سمي حرفا شديدا»[2]؛ فالملاحظ من التعريفين أن "مكي بن أبي طالب القيسي" عرف الحرف الشديد مثل سابقيه وهو أنه يكون بامتناع الصوت من الجريان عند النطق به.

أما بالنسبة لـــــــــ "ابن أبي مريم" فهو أيضا تحدث عن مصطلح الشديدة فيقول: «وسميت شديدة لصلابتها ومنعها الصوت من أن يجري فيها، ألا ترى أن قولك: الحقّ والشطّ لو أوردت مدّا في القاف والطاء لامتنع ذلك»[3]، وهو أيضا يسير على نهج سابقيه في تعريفه لهذا المصطلح، بالإضافة إلى "المرعشي" الذي تطرق هو الآخر إلى صفة الشدّة، فعرفها قائلا: «الشدّة في اللغة: القوة... وأما في الاصطلاح على ما ذكره البعض، فالشدّة: احتباس الصوت والنفس لكمال قوة الاعتماد على المخرج وحروفها ثمانية يجمعها أجدك قطبت»[4]، فنجده قد تطرق إلى تعريف مصطلح الشدّة لغة واصطلاحا، وقد اتبع هو أيضا سابقيه في تعريف هذا المصطلح.

إن مصطلح الشّديد عند القدماء مهم جدا لمعرفة صفة بعض الحروف العربية وهي: الهمزة، والجيم، والدال، والكاف، والقاف، والطاء، والباء، والتاء، وقد جمعها أغلبهم في عبارة: أجدك قطبت.

[1] مكي: الرعاية، ص 117، 118.

[2] المصدر نفسه، ص 118.

[3] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص 172.

[4] المرعشي: جهد المقل، ص 143.

الرخاوة:

تعد الرخاوة صفة من صفات الأصوات اللغوية، وتكون بعدم الإعاقة الكاملة للهواء أثناء خروج الصوت، والاكتفاء بتضييق المجرى، بحيث يمر الهواء ، ولكن هذا التضييق للمجرى ينتج عنه احتكاك الهواء بأعضاء النطق بعضها ببعض؛ بحيث يسمع له نوع من الحفيف يتسبب في إنتاج الأصوات الرخوة.

أ- مصطلح الرخاوة عند علماء المعاجم:

ذكر "الخليل بن أحمد" مصطلح **الرخاوة** في معجمه "العين" فقال تحت مادة (رخا): «الرخو والرّخو لغتان، وفيه رخاوة..... واسترخت به حاله أي وقع في حال حسنة بعض الضيق، والمراخاة: أن تراخى رباطا أو زناقا، وأرخيت له الحبل.... والرّخاء من الرّياح: اللينة السريعة التي لا تزعزع »[1]؛ فالرخاوة هنا هي الليونة وجاء في "لسان العرب": «قال ابن سيدة: الرخو والرخو والرخو الهشّ من كل شيء، غيره: وهو الشيء الذي فيه رخاوة.... والحروف الرخوة ثلاثة عشر حرفا وهي: الثاء والحاء والخاء والدال والزاي والظاء والصاد والضاد والعين والفاء والسين والشين، والهاء، والحرف الرخو: هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أنك تقول المسّ والرّشّ والسح ونحو ذلك فتجد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء»[2]؛ نلاحظ أن "ابن منظور" قد أورد تعريف "ابن سيده" في تعريفه لمصطلح الرخاوة، ويعرفه بأنه الذي لا ينحبس فيه الصوت عند النطق به، ويضرب أمثلة في ذلك.

ب- مصطلح الرخاوة عند علماء اللغة القدامى:

استعمل "سيبويه" مصطلح الرخاوة مقابلا لمصطلح الشدة، حيث يقول: «ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه.... ومنها الرخوة وهي: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطّس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت»[3]؛ فـــــ "سيبويه" يعرف الصوت الرخو بأنه الذي لا ينحبس الصوت في مخرجه حبسا

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج2، مادة: [رخا]،ص109.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج:3، مادة: [رخا]، ص 1618.

[3] سيبويه: الكتاب،ج4،ص234،235.

تاما؛ بحيث يضيق مجرى النفس بين عضوي نطق الحرف، دون إغلاقه؛ فيحدث النفس أثناء الخروج صوتا حفيفا مسموعا؛ هو الصوت الرّخو وذلك مثل صوت الهاء، والغين، والصاد، والسين.

وقد تبعه في تعريفه مجموعة من العلماء حيث يقول في ذلك "غانم قدوري الحمد": « وقد تابع علماء التجويد سيبويه وغيره من علماء العربية المتقدمين في تصنيف الحروف إلى شديدة ورخوة، وكانت لهم في هذا الميدان إضافات وتفسيرات ذات شأن، فعالجوا المشكلات التي تتعلق بهذا الموضوع»[1]؛ نلاحظ من هذا القول أن علماء العربية ساروا على نهج "سيبويه".

وذهب أيضا "ابن جني" إلى تعريف الصوت الرّخو بقوله: «الرخو هو الذي يجري فيه الصوت»[2]؛ فقد ذكر وعرّف مصطلح "الرخو" بأنه الذي لا ينحبس فيه الصوت، وهو مذهب "سيبويه".

كذلك نجد "المبرّد" هو الآخر تطرّق إلى هذا المصطلح-الرّخاوة- فقال: «ومن الحروف حروف تجري على النفس وهي التي تسمى الرخوة.... فأما الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد.... فالرخوة كالسين، والشين، والزاي، والصاد، والضاد»[3]؛ ويعلّق على هذا التعريف "عبد العزيز الصيغ": «وهو تعريف أوضح من تعريف سيبويه، الذي قال:يجري فيه الصوت، فقد شمل تعريف المبرد جريان النفس الذي يكون مع انفراج عضوي النطق، وهي ميزة تختص بها الأصوات الرخوة التي يتم نطقها بابتعاد عضوي المخرج والسماح للنفس بالمرور»[4]؛ فالملاحظ أن تعريف "المبرد" للحرف الرخو هو الذي يجري ولا ينحبس النفس بينما تعريف "سيبويه" أنه الذي يجري فيه الصوت ولا ينحبس أثناء النطق به فاستعمل "المبرّد" مصطلح النفس في حين ذكر "سيبويه" لفظ الصوت وقد فضّل "عبد العزيز الصيغ" تعريف المبرّد لأن الصوت لا يخرج إلا إذا خرج النفس فالصوت أخص.

[1] غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص220.

[2] ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1، ص61.

[3] المبرّد: المقتضب،ج1،ص330،331.

[4] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص121،122.

ومن بين علماء العرب هناك "ابن سنان الخفاجي" في كتابه "سر الفصاحة " يتعرّض للحرف الشديد بقوله: «والرخوة الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها»[1]؛ وذهب إلى ذلك أيضا "ابن الأنباري"معرّفا إياه: «ومعنى الرخوة أنها حروف ضعيفة يجري فيها الصوت فلذلك سميت رخوة»[2]؛ وهو مذهب السكاكي أيضا: «وإذ تم الجري في الباقية من ذلك سميت رخوة»[3]؛ فيتبين لنا من خلال قول: "السكاكي" أنه ذكر مصطلح رخوة وكذلك مصطلح الجري وهو يقصد به جري الصوت وعدم انحباسه في حدوث الصوت الرخو.

وممن ذهبوا أيضا إلى تعريف صفة الرخاوة العالم العربي "الأستربادي" أثناء شرحه لـــــــ "شافية ابن الحاجب" فيذكر ذلك بقوله: «والشديدة: ما ينحصر جري صوته عند إسكانه في مخرجه فلا يجري... والرخوة بخلافها»[4]؛ يتبين لنا من خلال أقوال علماء اللغة القدامى الوارد ذكرها سابقا أن تعريف الرخاوة من مصطلحات "سيبويه" وهو أول من تعرض لهذا المصطلح أثناء حديثه عن مخارج الحروف تحت باب الإدغام وقد تبعه في هذا أغلب علماء اللغة العرب.

ج- مصطلح الرخاوة عند علماء القراءات والتجويد:

تحدث "مكي بن أبي طالب القيسي" في مؤلفه "الرعاية" عن مصطلح الرخاوة وقد عرفه قائلا: «ومعنى الحرف الرخو أنه حرف ضعف الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به، فجرى معه الصوت، فهو أضعف من الشديد، ألا ترى أنك تقول الس، الشّ، فيجري النفس والصوت معهما، وكذلك أخواتهما، بخلاف الشديدة»[5]، فتعريفه للحرف الرخو هو نفسه تعريف "سيبويه" للهمس وقد علق على تعريف "مكي" الباحث "عبد العزيز الصيغ "بقوله: «أما مكي فقد استعمل ألفاظ سيبويه التي جاءت في تعريف الجهر والهمس... وهذا التعريف يلتبس بتعريف الهمس»[6]

---

[1] ابن سنان الخفاجي: سرّ الفصاحة، ص30.

[2] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص 210.

[3] السكاكي: مفتاح العلوم، ص 11، 12.

[4] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 258.

[5] مكي: الرعاية، ص 119.

[6] عبد العزيز الصيغ:المصطلح الصوتي في الدراسات العربية،ص122.

ثم يعلل "مكي" سبب تسميتها بالرخوة قائلا: «وإنما سميت بالرخوة لأن الرخاوة: اللين، واللين ضد الشدّة، فسميت بذلك لأنها ضد الشديدة»[1]؛ وتطرق أيضا إلى عددها فذكرها بقوله: «الحروف الرخوة وهي ثلاثة عشر حرفا يجمعها قولك: تخذ ظغش زحف صه ضس وهي: ما عدا الشديدة المذكورة، وماعدا هجاء قولك لم يروعنا»[2]؛ فنلاحظ من خلال القولين السابقين لـــــــــــ"مكي" أنه يصف الرخاوة بالليونة عكس الشدّة والصلبة، ويجعلها ثلاثة عشر حرفا.

وهو مذهب "ابن أبي مريم": «وأما الرخوة فهي ثلاثة عشر حرفا أربعة منها حلقية وهي الهاء والحاء والغين والخاء، وثلاثة أسلية وهي الصاد والسين والزاي، وثلاثة لثوية وهي الظاء والتاء والذال، وثلاثة شجرية وهي الضاد والشين والفاء»[3]؛ وهو أيضا يجعلها ثلاثة عشر حرفا منها ما يخرج من الحلق، ومنها ما يخرج من أسلة اللسان، ومنها ما هو من اللثة وكذلك مخرج شجر الفم ولا يخرج هو أيضا - " ابن أبي مريم" من تعريفات سابقيه في تعريف هذا المصطلح فقال عنه: «وسميت هذه الحروف الثلاثة عشر رخوة لرخاوة الصوت بها، ولأن الصوت يجري فيها كلها فلا يمتنع من ذلك، ألا ترى أنك تقول: المسّ والرشّ والشحّ ونحو ذلك فتجد الصوت يجري ممتدا مع السين والشين والحاء»[4]؛ فإذا امتنع الصوت من الجريان كان الصوت الرخو الرخو ومثاله السين والشين والحاء.

ولا يخرج عن هذا "المرعشي" فيقول: «الرخاوة: جري الصوت لضعف الاعتماد على المخرج مع نفس قليل وحروفها ستة وهي الذال والطاء والغين والضاد المعجمات والزاي والواو والياء مديين أولا والألف المدية وجميع حروف الهمس إلا التاء والكاف، ويكمل هذا الاحتباس والجري عند إسكان الحرف»[5]؛ وهو لا يخرج عن معنى سابقيه في تعريف الحرف الرخو، ولكنه يجعلها ستة عشر بخلاف "مكي" و "ابن أبي مريم" اللذان يجعلاها ثلاثة عشر.

---

[1] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص 119.

[2] المصدر نفسه، ص 118، 119.

[3] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص 172.

[4] المصدر نفسه، ص 173.

[5] المرعشي: جهد المقل، ص 143، 144.

يقول "غانم قدوري الحمد": «أما علماء التجويد فقد كان الأوائل منهم حول تعريف سيبويه يدورون فلا يبتعدون عنه ولا يغيرون في ألفاظه إلا الشيء القليل فكأنهم يشرحونه»[1]؛ فنلاحظ من قول "غانم قدوري الحمد" أن علماء التجويد القدامى ساروا على نهج "سيبويه" في تعريفه للحرف الرخو، ولا يبتعدون عنه.

إن مصطلح الرخو ورد ذكره في المعاجم العربية، وقد تحدث عنه علماء العرب القدامى مقابلا لمصطلح الشدّة، فجعلوا هذا المصطلح صفة لمجموعة من الحروف التي يجري فيها الصوت ولا ينحبس، وأول من تحدث عنه هو "سيبويه" وتبعه علماء اللغة والقراءات والتجويد من بعده.

[1] غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 124.

الإطباق:

الإطباق صفة صوتية تنتج عن تطابق ظهر اللسان مع الحنك الأعلى، حيث يشكل النطق بالصوت المطبق حبسا للهواء بطرق اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ثم إطلاقه، وهذا ليس ببعيد عما ذكره علماؤنا القدامى في ثنايا كتبهم عن الإطباق، حيث عرفوه وخصوا به مجموعة من الأصوات، مشيرين إلى أهميته في التمييز بين بعض الأصوات اللغوية، إذ لولاه لاختلط بعضها ببعض ولخرج البعض الآخر من ضمن الأبجدية العربية.

أ- مصطلح الإطباق في المعاجم العربية:

تناول صاحب معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" تعريفا لغويا للإطباق تحت مادة طبق: «وأطبقوا على الأمر: أي أصفقوا عليه، وأطبقت الشيء أي غطيته وجعلته مطبقا، فتطبّق هو، ومنه قولهم: لو تطبّقت السماء على الأرض ما فعلت كذا، والحروف المطبقة: الصاد والضاد والطاء والظاء»[1]، أما معجم "العين" فقد جاء فيه: «والطّبق كل غطاء لازم، ويقال: أطبقت الحقة وشبهها، ويقال أطبق: الرحيين أي طابق بين حجريهما، ومثله إطباق الحنكين»[2].

بينما نجد "ابن منظور" قد أورد له تعريفا اصطلاحيا في معجمه فقال: « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام »[3]؛ فالملاحظ على هذه التعاريف اللغوية للإطباق أنه جعل شيء ينطبق على شيء آخر كإطباق حجري الرحى على بعضهما، غير أن "ابن منظور" لم يكتف في معجمه بإيراد التعريف اللغوي، وإنما جاوز ذلك إلى تعريفه اصطلاحا مع ذكره حروف الإطباق.

[1] الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، مج 4، مادة :[طبق]، ص 1512، 1513.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، مادة: [طبق]، ص 36.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة:[طبق]، ص 2637.

ب- مصطلح الإطباق عند علماء اللغة القدامى:

إن أول من ذكر مصطلح الإطباق هو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" أثناء حديثه عن الميم: «وكان الخليل يسمى الميم مطبقه، لأنها تطبق الفم إن نطق بها»[1]؛ وهو هنا يقصد بالإطباق انطباق الشفتين أثناء نطق حرف الميم، وهذا على خلاف ما نجده عند تلميذه "سيبويه"، فقد عرفه تعريفا آخر حين قال: « فأما المطبقة فالصاد والضاء والطاء والظاء...، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف...، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، فقد يبين ذلك بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها »[2].

إن مصطلح الإطباق عند "سيبويه" ليس انطباق الفم الذي هو عند "الخليل"، وإنما هو انطباق مخرج الحرف من اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، فينحصر الصوت بين اللسان والحنك إلى مخرج ذلك الحرف، فإذا أردت أن تنطق بالطاء مثلا فإنك تطبق طرف لسانك على ما يحاذيه من الحنك الأعلى مع حبس الصوت بين الحنك واللسان.

وحروف الإطباق كما حددها "سيبويه" أربعة أحرف هي: الطاء والظاء والصاد والضاد، وتكمن أهمية هذه الصفة في تمييز هذه الأحرف عن مثيلاتها في المخرج؛ فلولاها لما كان هناك فرق بين حرف الظاء والذال ولأصبحا حرفا واحدا، ثم إن حرف الضاد لا يشترك معه في مخرجه حرف آخر، وبالتالي لولا هذه الصفة لما كان موجودا أصلا ضمن حروف العربية، فهذه الصفة هي التي أوجدته.

إن من جاؤوا بعد "سيبويه" لم يختلف تعريفهم للإطباق عما ورد في كتابه فهذا "ابن جني" يعرفه كالتالي: «الإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص 58.

[2] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 434.

سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه»[1]؛ فالإطباق عنده أن تلصق ظهر اللسان على الحنك الأعلى، وحروف الإطباق عنده كما هي عند "سيبويه".

وهذا ما نجده عند "ابن عصفور": « فالمطبقة أربعة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد، وباقي الحروف منفتح، والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له»[2]؛ وتكررت العبارة أيضا في كتاب "العكبري" "اللباب":« المطبقة وهي أربعة الصاد والضاد والطاء والظاء، سميت بذلك لشدة التصاق ظهر اللسان بما يلاقيه من أعلى الحنك »[3]؛ فسبب تسمية حروف الإطباق بالمطبقة هو أن ظهر اللسان ينطبق على الحنك ولا ينطبق إلا مع الأحرف الأربعة المذكورة.

ونلاحظ أن "الزمخشري" قد أورد تعريف "سيبويه" بالضبط فيقول: « والإطباق أن تطبق على مخرج الحرف من اللسان وما حاذاه من الحنك»[4]؛ ويختلف "سيبويه" و"الزمخشري" عمن سبق ذكرهم من العلماء في عدهما أن الجزء المنطبق على الحنك الأعلى هو مخرج الحرف من اللسان، وليس ظهره فقط.

ونجد "ابن دريد" في "الجمهرة" يعرف الإطباق كالتالي:«والحروف المطبقة: الصاد والضاد والطاء والظاء، لأنك إذا لفظت بها نطقت عليها حتى تمنع النفس أن يجري معها.»[5]؛ فإذا لفظت بحروف الإطباق فإن النفس ينحبس معها، والملاحظ أن هذا التعريف يختلط بتعريف الشدة، و لم يذكر "ابن دريد" أن هذه الصفة تحدث عن انطباق اللسان مع ما يحاذيه من الحنك، وإنما سببها كما قال منع النفس أن يجري معها.

وهناك من علماء اللغة من لم يذكر تعريفا لهذا المصطلح البتة وإنما اكتفوا بذكر حروفه فقط من أمثال:"ابن الدهان" في كتابه" الفصول في العربية" إذ حدّد حروف الإطباق دون تعريفه فقال: «المطبقة هي

[1] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 61.

[2] ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، ص 427.

[3] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص 466.

[4] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص 395.

[5] ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص46.

أربعة أحرف يجمعها صضطظ »[1]، وهذه الأحرف هي كما حددها "سيبويه"، وممن ذكرها أيضا دون أي تعريف لصفة الإطباق:"الفرخان" في "المستوفى في النحو"[2] و"الزبيدي" في "الواضح"[3]؛ وهذا بالنسبة للمشتغلين بعلوم النحو والصرف والبلاغة ممن تحدّثوا عن صفات الأصوات.

ج- مصطلح الإطباق عند علماء التجويد والقراءات:

ونجد علماء التجويد والقراءات لم تخلو كتبهم من تعريف الإطباق وقد جمع بعضهم حروف الإطباق في جمل وستأتي الإشارة إليها فيما بعد ويقول "مكي" في "الرعاية":«حروف الإطباق: هي أربعة أحرف: الطاء والظاء والصاد والضاد، وإنما سميت بحروف الإطباق لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف. وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بها مع استعلائها في الفم، وبعضها أقوى في الإطباق من بعض، فالطاء، أقواها في الإطباق وأمكنها، لجهرها وشدتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والصّاد والضاد متوسطتان في الإطباق.»[4]؛ فالإطباق عنده هو تطابق جزء من اللسان مع الحنك الأعلى مع انحصار النفس الخارج مع الصوت المطبق بينهما؛ أي بين اللسان والحنك، وتختلف درجة الإطباق في حروفه فالطاء مثلا أقواها كونها مجهورة وشديدة وأضعفها فيه الظاء والسبب في ذلك مخالطة صفتي الرخاوة* الانحراف** لها أما الضاد فهي ليست بشديدة الإطباق ولا بضعيفة فيه وإنما بين بين.

أما "الشاطبي" فقد تحدث عن الإطباق في "متن الشاطبية" في بيت من الشعر وهو كما يلي:

و(قَدْ خَصَّ ضَغْطٍ) سَبْعُ عُلْوٍ ومُطْبَقٌ هُوَ الضَّادُ والظَّاءُ أَعْجَمُهَا وإِنْ أَهْمَلَا[5]

---

[1] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص160.

[2] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص613.

[3] الزبيدي: الواضح، ص 295.

[4] مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية ،ص122،123.

* ينظر: مقالة الرخاوة.

** الانحراف: المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ينظر: سيبويه: الكتاب، ج4، ص 435.

[5] الشاطبي: متن الشاطبية، ص96.

فحروف الإطباق هي: الضاد والظاء المعجمتان والضاد المهملة والظاء المهملة، وهما الطاء والصاد، وهي الحروف نفسها عند "المرعشي" وقد عرّف الإطباق قائلا: « الإطباق في اللغة الإلصاق....، والإطباق في الاصطلاح...، استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك الأعلى وانطباق الحنك على وسط اللسان بحيث ينحصر الصوت بينهما، وحروف الإطباق أربعة هي: الطاء والظاء والصاد والضاد، وهي بعض حروف الاستعلاء أقول: ليس المراد بالإنطباق والانحصار بالكلية لأن ذلك ليس إلا في الطاء المهملة بل المراد الإنطباق والانحصار في جملة»[1]؛ فالمنطقة التي تنطبق من اللسان مع الحنك الأعلى هي وسطه وأقصاه، إذ ينحصر الصوت المطبق في هذه المنطقة، وهذا الانحصار لا يكون تاما إلا مع صوت الطاء، وحروف الإطباق المذكورة لا تتصف بأنها مطبقة فقط بل هي مستعلية أيضا.

أما "أبو شامة" فقد قال في تعريفه للإطباق: « وسميت هذه الأربعة مطبقة لـــأنه انطبق على مخرجها من اللسان مع ما حاذاه من الحنك. »[2] وهذا التعريف نفسه المذكور في كتاب "شرح الهداية" "للمهدوي" :« فأما المنطبقة فأربعة أحرف: وهي الطاء والصاد والظاء والضاد سميت منطبقة لأن اللسان ينطبق فيها مع الحنك »[3]؛ ولم يزد عن ذلك إذ لا يشرح في كتابه كيفية الإطباق وما هو الجزء المنطبق من اللسان على الحنك الأعلى، كما أنه لم يذكر دور انحصار الصوت في عملية إنتاج الصوت المطبق.

بينما نجد "ابن أبي مريم" يورد شيئا من التوضيح لكيفية حدوث الإطباق بقوله: « فالحروف المطبقة هي أربعة وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، وإنما سميت مطبقة لأنك ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له فيصير الصوت بذلك محصورا فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والظاء ذالا والصاد سينا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها، وموضعها موضع الإطباق فإذا عدم الإطباق عدمت الضاد، ولأجل أنه غير مشاركة في المخرج لم توجد أعني الضاد في شيء من كلام الأمم إلا في العربية »[4].

[1] المرعشي: جهد المقل، ص15

[2] أبو شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 752.

[3] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص 78.

[4] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص 173.

وهذا تعريف "سيبويه" إذ ذكره "المهدوي" بحذافيره فلم يزد عنه سوى أن صفة الإطباق لها أهمية بالغة في وجود صوت الضاد في العربية إذ لولاه لانعدمت، هذا هو سبب خلو اللغات الأخرى من هذا الصوت إذ تتفرد اللغة العربية بوجوده فيها بسبب هذه الصفة المميزة له.

والملاحظ مما سبق الإشارة إليه من تعاريف إلى أن تعريف "الخليل" للإطباق يختلف عن تعريف "سيبويه" له، فإذا كان الأول يقصد به انطباق الشفتين أثناء نطق حرف الميم، فإن الثاني يقصد به انطباق اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وقد اتبع "سيبويه" في تعريفه للإطباق من جاء بعده من علماء العرب حتى وإن لم يذكر بعضهم تعريفه كما هو، وهذا ما يؤكده "عبد العزيز الصيغ "بقوله: « أما أكثر العلماء فهم على تعريف سيبويه ولكن دون الالتزام بعبارته، وإنما تختلف التعابير والمعنى واحد، وهو انطباق اللسان على الحنك الأعلى وحصر الصوت بين اللسان والحنك...»[1]؛ وأما "ابن دريد" فلم يورد تعريف "سيبويه" إذ أرجع الإطباق إلى انحصار النفس انحصارا تاما، وهذا التعريف ينطبق على الشدة أكثر من انطباقه على الإطباق.

[1] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 134.

الانفتاح:

الانفتاح من الصفات التي لها ضد، وضدها هو الإطباق، وقد تناول علماؤنا العرب القدامى هذه الصفة معرفين إياها ذاكرين حروفها، وتطرقوا إليها بعد فراغهم من الحديث عن صفة الإطباق، ومن هؤلاء "سيبويه" و"المبرد" و"ابن جني" وغيرهم، إذ تنشأ هذه الصفة عن انفتاح اللسان عن الحنك الأعلى، وفيما سيأتي تفصيل لآراء بعض العلماء ممن تحدثوا عن الانفتاح.

أ- مصطلح الانفتاح في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" لـــ"الخليل بن أحمد الفراهيدي": «الفتح نقيض الإغلاق، والفتح: افتتاح دار الحرب، والفتح: أن تفتح على من يستقرؤك والفتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، قال تعالى:﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾»[1]؛ و لم يختلف عن هذا ما جاء في "اللسان "عن معنى الفتح إذ قال صاحبه: «والفتح ضد الإغلاق، وكل ما بدأت به فقد استفتحته، وبه سميت الحمد فاتحة الكتاب والله أعلم...، وكل شيء انكشف عنه شيء فقد انفتح عنه»[2].

وقد ورد معنى الفتح في" الصحاح "أيضا :«فتحت الباب فانفتح، وفتحت الأبواب شدد للكثرة فتفتحت هي، وباب فتح، أي واسع...، واستفتحت الشيء وافتتحته والاستفتاح: الاستنصار...، والفتح النصر، والمفتاح: مفتاح الباب وكل مستغلق»[3]؛ فالفتح إذا في المعاجم ضده الغلق والانفتاح: انفتاح الشيء عن شيء آخر وتباعده عنه.

ب- مصطلح الانفتاح عند علماء اللغة القدامى:

لم يغفل القدامى صفة الانفتاح، بل عرفوها وذكروا حروفها، وأول من أورد تعريفا لهذه الصفة هو "سيبويه" لأنه المستعمل الأول لهذا المصطلح، فبعد أن انتهى من حديثه عن حروف الإطباق قال: « فأما

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، عبد الحميد هنداوي وإبراهيم السامرائي، ج3، مادة : [فتح]، ص 299.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج2، مادة : [ت ح ف]، ص 386.

[3] الجوهري: الصحاح، مج1، مادة: [فتح]، ص 389.

المنطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى.»[1]؛ فالانفتاح هو ضد الإطباق وإذا كان الإطباق هو إطباق اللسان على الحنك الأعلى، فإن الانفتاح انفتاح مخرج الحرف من اللسان عن الحنك الأعلى، وحروفه هي ما عدا حروف الإطباق الأربعة وهي خمسة وعشرون حرفا مرتبة كالآتي: الهمزة والهاء والألف، والعين، والحاء، والغين، الخاء، القاف والكاف، والجيم، والشين، والياء، والنون، واللام، والراء، والدال، والتاء، والزاي، والسن، والذال، والثاء والفاء، والباء، والميم، والواو.

إن من جاء من العلماء من بعد "سيبويه" وحتى من عاصروه ذهبوا إلى التعريف نفسه الذي أورده "سبيويه" للانفتاح إذ تتبعوه فيه كما تتبعوه في الإطباق، ومن هؤلاء نذكر"ابن السراج" والذي يقول في الحروف المنفتحة: « المنفتحة: وهي كل ما سوى المطبقة من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك.»[2]؛ فلم يشرح "ابن السراج" قول "سيبويه" أو يعلق عليه، بل نقله كما هو دون أي تغيير، أما " ابن عقيل" فبعد أن فرغ من تعريفه للإطباق والإتيان بحروفه فقال في الحروف المنفتحة: «وما عداها منفتحة لأنها لا ينطبق اللسان بشيء منها على الحنك، والانفتاح ضد الانطباق.»[3]؛ أي ما عدا حروف الإطباق الأربعة هي حروف منفتحة فلم ينطبق فيها اللسان مع الحنك.

وممن عرفوا الانفتاح أيضا "العكبري" والذي قال فيه: «المنفتحة وهي ماعدا المطبقة، سميت بذلك لأن موضعها لا ينطبق مع غيره ولا ينحصر الصوت كانحصاره مع المطبقة.»[4]؛ إذا فالحروف المنفتحة اكتسبت هذه التسمية من انفتاح اللسان عن الحنك، ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الصوت في الانفتاح لا ينحصر وإنما هو جار مع الحرف المنطوق، وليس كما هو الحال مع الإطباق إذ ينحصر الصوت بين اللسان والحنك الأعلى.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 434.

[2] ابن السراج: الأصول في النحو، ج3، ص 404.

[3] ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، تح: محمد كامل بركات، ج4، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص 247.

[4] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص466.

والمعنى السالف الذكر نفسه الوارد في "همع الهوامع" لـــ" السيوطي" إذ يقول في سبب تسميتها بالحروف المنفتحة: «لأنك لا تطبق اللسان بشيء منها على الحنك عند النطق بها، والانفتاح ضد الإطباق.»[1]؛ وهذا التعريف هو نفسه الموجود في كتاب "ابن عصفور" المسمى"الممتع الكبير في التصريف"[2]وذلك بلفظه ومعناه، وهذا بالنسبة لمن عرفوا الانفتاح.

إن هناك طائفة من العلماء لم يرد في كتبهم تعريف للانفتاح سوى أنهم أشاروا إليه أثناء حديثهم عن الإطباق ومنهم "المبرد" الذي اكتفى بالقول فيه: «ومنها المنطبقة والمنفتحة»[3]؛ بعدها عرف الإطباق متطرقا إلى حروفه ودون أي اهتمام منه بالانفتاح، وممن سار على هذه الطريقة أيضا إلى جانب "المبرد" "ابن الدهان": «والمنفتحة ما عدا المطبقة.»[4]؛ وكذلك "السكاكي" والذي لم يزد في الحروف المنفتحة عن قوله: «وإلا كما في سواها سميت منفتحة.»[5].

هذا بالإضافة إلى "الفرخان" في "المستوفى في النحو": «والمطبقة من الحروف هي أربعة الضاد والصاد والطاء والظاء وأن المفتوح ما سواها.»[6]؛ أي ما دون حروف الإطباق، وأما "الأستربادي" فلم يعرفه غير أنه قال: «والمنفتحة بخلافها.»[7]، ولم يزد عن ذلك شيء؛ ولعل سبب عدم اهتمامهم بالانفتاح مثل عنايتهم بالإطباق هو وضوحه فإذا كان الإطباق هو إلصاق اللسان بالحنك الأعلى فإن الانفتاح تجافيه عنه، وهذا بديهي لا يحتاج إلى تفسير مطول ولا إلى شرح مفصل.

أما "ابن دريد" فقد ذكر حروف الإطباق وتعريفه ولكن أغفل الانفتاح، إذ لم يتطرق إليه، فحين فراغه من تعريف الإطباق انتقل مباشرة إلى الشدة[8].

ج- مصطلح الانفتاح عند علماء التجويد والقراءات:

[1] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص297.

[2] ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، ص427.

[3] المبرد: المقتضب، ج1، ص330.

[4] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص160.

[5] السكاكي: مفتاح العلوم، ص12.

[6] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص 613.

[7] رضي الدين الأستربادي: شرح الشافية، ج3، ص 258.

[8] ينظر: ابن دريد: الجمهرة، ج1، ص 46.

لقد اهتم علماء التجويد والقراءات بالإطباق لما له من دور بالغ في النطق الجيد والصحيح لحروف القرآن الكريم ومن هؤلاء "مكي بن أبي طالب القيسي" والذي قال في تعريفه له: «الحروف المنفتحة وهي خمسة وعشرون حرفا وهي ما عدا حروف الإطباق المذكورة، وإنما سميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق بها.»[1]، فحسب "مكي" الانفتاح يختلف عن الإطباق في كون اللسان لا ينطبق في المنفتحة عكس المطبقة، كما أن المنفتحة يجري معها النفس أثناء النطق بها، بينما المطبقة فإن النفس ينحصر فيها ما بين اللسان والحنك الأعلى.

ونرى "المرعشي" في "جهد المقل" لا يختلف عما جاء به " مكي بن أبي طالب القيسي" إذ يذهب إلى أن: « الانفتاح الافتراق...، والانفتاح في الاصطلاح: انفتاح ما بين اللسان والحنك وعدم انحصار الصوت بينهما عند النطق بالحرف كذا ذكر، والمراد بانفتاح ما بين وسط اللسان والحنك سواء انطبق الحنك على أقصى اللسان أو لا وحروفه ما عدا حروف المطبقة، فالانفتاح أعم من الاستفالة لأن كل مستفل منفتح بدون العكس، لأن القاف والخاء والغين المعجمتين منفتحة وليست بمستفلة.»[2]، إذن فالانفتاح كغيره ممن سبقوه وهو وهو انفتاح اللسان عن الحنك ولكنه ذكره بشيء من الدقة حين أشار إلى أن الحروف التي ينطبق فيها أقصى اللسان على الحنك لا تسمى مطبقة لأن الإطباق هو انطباق وسط اللسان مع الحنك، فالجزء المنطبق منه هو وسطه وليس أقصاه فمثلا؛ حرف القاف الجزء المنطبق فيه من اللسان على الحنك هو أقصاه ولهذا لم يعد من حروف الإطباق.

وحال المشتغلين على القرآن الكريم كحال علماء اللغة فهناك منهم من لم يعرف الانفتاح واكتفى بتعريف الإطباق، إلا أنهم أشاروا بعبارات تمكن من يقرأها من أن يستشف تعريفا له وذلك من أمثال "المهدوي" إذ قال في "شرح الهداية": « الطاء والصاد والظاء والضاد سميت منطبقة لأن اللسان ينطبق فيها مع الحنك، وما عدا هذه الأربعة من الحروف فمنفتح.»[3]

[1] مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 123.

[2] المرعشي: جهد المقل، ص 153.

[3] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص 78.

وهذا المعنى نفسه الذي ذهب إليه "ابن أبي مريم "في مصنفه "الموضح" إذ اكتفى من الانفتاح بالقول: «وأما الحروف المنفتحة فهي ماعدا المطبقة.»[1]، وهي كما سبق الذكر خمسة وعشرون حرفا ما عدا أصوات الإنطباق (الصاد، الضاد، الطاء والظاء).

وقد تفرد "عبد الدائم الأزهري" بإيراد أبيات تجمع حروف الانفتاح في أوائل كلماتها: «ومن صفات الحروف الانفتاح، وحروفه خمسة وعشرون حرفا جمعها بعضهم في أوائل كلمات هذه الأبيات فقال:

ثَوْبُ عَيْنٍ غَرَامِي ومَعْنَى تَذَرْ خَلِيلَيَّ لَيْلَتِي رُوحِي بِهَا ورَاحَتِي

أَنْجِــز حُــلًّا ذُو فَرْحَتِــي يَا نُورُ تَــرِّبْ جَنَّتِــي

هَجَرْتُمُــونِي سَــادَتِي شَرِبْتُ كَأْسَ مَنِيَّتِــي

إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا فَزِدْ عَلَيْهَا أَلِفَــا.»[2]

فهذه الحروف الخمسة والعشرون هي كما وردت في أوائل هذه الكلمات: (الثاء، العين، الغين، الواو، الميم، التاء، الخاء، اللام، الراء، الباء، الهمزة، الحاء، الذال، الفاء، الياء، الجيم، الهاء، السين، الشين، الكاف، الميم، الصاد، الزاي، الألف).

[1] ابن أبي مريم: الموضح في علم التجويد، ص 173.

[2] عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، ص 50، 51.

إن "سيبويه" هو الواضع الأول لمصطلح الانفتاح، وهذا ما يؤكده "عبد العزيز الصيغ" «مصطلح الانفتاح ذكره "سيبويه" في كتابه و لم يذكره أحد قبله فهو واضع هذا المصطلح.»[1]، وهذا لا خلاف فيه إذ نلاحظ أن علماء اللغة وحتى علماء التجويد والقراءات على تعريف "سيبويه" للانفتاح وفي حروفه؛ إذ عدوها جميعا ما عدا حروف الإطباق المعروفة وهناك من هؤلاء العلماء من اكتفى بتعريفه للإطباق دون الانفتاح مشيرين بعبارات تدل على أنهما صفتان متضادتان وهذا كاف إذ بإمكاننا أن نعرف الانفتاح انطلاقا من تعريف الإطباق.

[1] عبد العزيز الصيغ : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 138.

الاستعلاء:

الاستعلاء سمة صوتية تتميز بها بعض الحروف العربية وهي من بين الصفات التي عرفها واهتم بها علماءنا العرب القدامى، حيث تكون بارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى فيرتفع الصوت وخلاف الاستعلاء هو الاستفال، أي انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاع الفم.

أ- مصطلح الاستعلاء في المعاجم العربية

ذكر في معجم "العين" لـــ "الخليل" تحت مادة (علا): «العلو لله سبحانه وتعالى عن كل شيء فهو أعلى وأعظم مما يثنى عليه، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والعلو: أصل البناء، ومنه العلاء والعلو، فالعلاء الرفعة، والعلو العظمة والتجبر، يقال: علا ملك في الأرض، أي طغى وتعظم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: 04]، ورجل عالي الكعب: أي شريف... وتقول لكل شيء علا: علا يعلو علوا، وتقول في الرفعة والشرف: علي يعلى علاء»[1]

وجاء في معجم "لسان العرب" لـــ "ابن منظور": «علو كل شيء وعلوه وعلاوته وعاليه، وعاليته: ارفعه...قال ابن السكيت: سفل الدار وعلوها، وسفلها وعلوها، وعلا الشيء علوا فهو علي...ويقال لكل متجبر: قد علا وتعظم والله عز وجل هو العلي المتعالي العالي الأعلى ذو العلا والعلاء والمعالي»[2]؛ فهو يعني العلو والارتفاع كما ورد في التعريفين السابقين.

ب- مصطلح الاستعلاء عند علماء اللغة العرب القدامى

ذكر "سيبويه"مصطلح الاستعلاء تحت باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات بقوله: «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»[3]، ونفس التعريف ذهب إليه "المبرد" في تعريفه لهذا المصطلح

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، مادة: [علا]، ص 224.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة: [علا]، ص 3088، 3089.

[3] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 128، 129.

أو هذه الصفة في مؤلفه المشهور "المقتضب" قائلا : «حروف الاستعلاء، وهي سبعة أحرف: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والقاف، والخاء والعين وذلك أنها حروف اتصلت من اللسان بالحنك الأعلى»[1]؛ من خلال القولين السابقين يتبين أن الاستعلاء هو: أن يستعلى اللسان عند النطق إلى الحنك الأعلى وهي عكس الإمالة عند النطق بها، فحروف الاستعلاء لا تمال.

أما "ابن جني" فيذكر خاصية أخرى في الحروف المستعلية أثناء تعريفه للاستعلاء: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلاءها إطباق... وأما الخاء، والغين، والقاف، فلا إطباق فيها مع استعلائها»[2]؛ ومما يلاحظ على قول "ابن جني" أن الإطباق أخص من الاستعلاء؛ ومعنى هذا أن كل صوت مطبق مستعلي، وليس كل مستعلي مطبق.

وتبعه في ذلك مجموعة من العلماء نذكر منهم "الفرخان"؛ فقد تطرق إلى هذا المصطلح في مؤلفه" المستوفى في النحو" إذ يقول: «الحروف المستعلية، وهي سبعة تنشأ من مخارجها صاعدة إلى الحنك الأعلى أربعة منها فيها مع الاستعلاء الإطباق... وهي الصاد والضاد والطاء والظاء»[3]، وتبعه في ذلك كل من "الزمخشري": «المستعلية الأربعة المطبقة والخاء والغين والقاف... والاستعلاء ارتفاع اللسان إلى الحنك»[4]، وكذلك "ابن يعيش" ذاكرا معنى الاستعلاء في قوله: «فمعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها مع استعلائها إطباق... وثلاثة لا إطباق مع استعلائها وهي الخاء والغين والقاف»[5]، وهذا مذهب "رضي الدين الأستبرادي" فلم يخالفهم هو أيضا.

وسار على نهج سابقيه في تعريفه لهذا المصطلح قائلا: «والمستعلية ما يرتفع بسببها اللسان وهي المطبقة والخاء والغين المعجمتان، والقاف لأنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة أيضا، لكن لا على حد انطباق الحنك

[1] المبرد: المقتضب، ص 267.

[2] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 62.

[3] الفرخان: المستوفى في النحو، ج2، ص 171.

[4] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص 395.

[5] ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص 129.

عليها»[1]؛ فالملاحظ على الأقوال السابقة أن حروف الاستعلاء هي الخاء، والغين، والقاف، مع حروف الإطباق الأربعة وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

ويشرح "حسام سعيد النعيمي" سبب عدهم حروف الإطباق من الحروف المستعلية : «و لم أستطع أن أدرك على وجه الدقة لم ضمت حروف الإطباق خاصة إلى هذه الثلاثة، ولكن يمكن أن نتصور أنهم فعلوا ذلك لأن ارتفاع أقصى اللسان فيها نحو أقصى الحنك وعدم اتصاله بجزء منه لا يكون في إخراج أي حرف آخر، فهي بهذا المعنى من حروف الاستعلاء، و لم تجعل القاف والخاء والغين من حروف الإطباق لأن طرف اللسان لا شأن له في إخراجها كما كان في حروف الإطباق، أي أن هذه الحروف المستعلية لها موضع واحد من اللسان أما حروف الإطباق فلها موضعان»[2]، فتعلليه ذلك أن أقصى اللسان يتصعد إلى أقصى الحنك الأعلى فتكون الحروف المستعلية وهي في نفس الوقت مطبقة.

ج- مصطلح الاستعلاء عند علماء القراءات والتجويد:

إن الاستعلاء في الحروف مصطلح عرفه علماء القراءات والمشتغلين بعلوم القرآن قديما فذكروا حروفه وعللوا تسميته، ونذكر منهم على سبيل المثال "مكي بن أبي طالب" فيقول: «وإنما سميت بالاستعلاء، لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعليا بالريح، مع طائفة من اللسان مع الحنك مع حروف الإطباق المذكورة.... ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف إنما يستعلي الصوت غير منطبق بالحنك»[3]؛ فالملاحظ أن صفة الاستعلاء لها صلة بالإطباق، غير أن الاستعلاء أشمل، لأنه يشمل الأصوات المطبقة وغير المطبقة.

[1] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 262.

[2] حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص 319.

[3] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص124.

ويذكر لنا" أبي جعفر بن خلف الأنصاري" عدد الحروف المستعلية في قوله: «والمستعلية سبعة أحرف وهي: الخاء، والصاد، و الضاد، والطاء والظاء، والغين، والقاف، ويجمعها(ضغط ،قص، خظ)»[1]؛ فهو بذلك يجعلها سبعة أحرف هي نفسها التي وردت عند علماء اللغة ويجمعها في ثلاثة كلمات هي (ضغط قص خظ).

وأوضح ما يكون عليه الاستعلاء نجده عند "الداني" في كتابه " التحديد في الإتقان والتجويد": «والمستعلية سبعة أحرف، يجمعها قولك : ضغط خص قظ، الخاء، والغين، والقاف، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، سميت مستعلية لأن اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك..... إلا أنها على ضربين: منها ما يعلو اللسان به وينطبق، وهي حروف الإطباق الأربعة، ومنها ما يعلو ولا ينطبق، وهي ثلاثة: الغين والخاء والقاف»[2]، وهذا تعريف شامل واف عن الاستعلاء ذكر التعريف وجمع حروفه.

أما "ابن الجزري" فقد تطرّق إلى وصف هذه الصفة قائلا: «ومنها الحروف المستقلة وضدها المستعلية، والاستعلاء من صفات القوة وهي سبعة يجمعها قولك: قظ خص ضغط، وهي حروف التفخيم على الصواب»[3]؛ ومن هنا فإنه وصف صفة الاستعلاء بالقوة، وجعل حروفها مفخمة وليست مرققة.

كما يذكر-"ابن الجزري"-في موضع آخر حروف الاستعلاء، وذلك في منظومته المقدّمة فيقول:

وَبَيْنَ رِخْوٍ والشَّدِيدِ لِنْ عُمَرْ وسَبْعُ عُلْوِ: خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ[4]

وما يهمنا نحن هنا هو الشطر الثاني من البيت حيث يشرحه "عبد الدائم الأزهري" في مؤلفه "الطرازات المعلمة في شرح المقدمة"؛ أي المقدمة الجزرية نسبة إلى ابن الجزري فيقول: «وقوله: وسبع علو خصّ ضغط قظ حصر أي جمع الحروف المستعلية السبعة.... وهي الخاء والصاد والضاد والغين والطاء والقاف والظاء وقوله

[1] أبي جعفر بن خلف الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، ص108.

[2] الداني: التحديد في الإتقان والتجويد،ص106،107.

[3] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص202.

[4] ابن الجزري: متن الجزرية في فن التجويد، ص17.

علو بضم العين وكسرها، والعلو لغة: الارتفاع»[1]؛ فـــ "ابن الجزري" لم يخالف سابقيه في عدد الحروف المستعلية وجعلها سبعة.

وهناك من أضاف حرفي العين والحاء إلى الحروف المستعلية السبعة فذكر"ابن أبي مريم" ذلك:« والحروف المستعلية سبعة: الخاء والغين والقاف والصاد والطاء والضاد والظاء.... وأهل المدينة ألحقوا العين والحاء بالحروف المستعلية، فصارت المستعلية عندهم تسعة»[2]؛ فأهل المدينة جعلوا حروف الاستعلاء تسعة بدلا من سبعة، فهم يصفوا صوتي العين والحاء بصفة الاستعلاء على خلاف غيرهم.

إن صفة الاستعلاء عند علماء العرب القدامى لها صلة بالإطباق و الاستعلاء أشمل، لأنه يشمل الأصوات المطبقة وغير المطبقة، بمعنى أن كل صوت مطبق مستعلي وليس كل مستعل مطبق، وقد ظهر هذا المصطلح عند "سيبويه "وشرحه بمصطلح الإصعاد.

[1] عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلّمة في شرح المقدّمة، ص53.

[2] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ج1، ص174.

الاستفال:

الاستفال مصطلح من المصطلحات الصوتية القديمة عند علماء العرب القدامى، وهو يمثل بالنسبة لهم صفة من صفات بعض الحروف؛ التي تنتج بانخفاض اللسان بالصوت إلى قاع الفم، وضده هو الاستعلاء؛ لأن اللسان يعلو عند النطق بهذه الأصوات إلى الحنك الأعلى، ونجد أن القدماء قد تحدثوا عنه –مصطلح الاستفال– في ثنايا كتبهم تحت عنوان صفات الحروف أو أثناء حديثهم عن الإمالة، فتطرقوا لهذا المصطلح مقابلا لصفة الاستعلاء، وفيما يلي تفصيل لذلك.

أ– مصطلح الاستفال في المعاجم اللغوية القديمة:

قال" الخليل" في معجمه "العين": «وأسفل وأعلى، وسفل وعلو، وتسفل وتعلى، وسافلة وعالية، وسفال وعلاء ، وسفول وعلو نقائض »[1]؛ وهذا ماذهب إليه "ابن دريد "في "جمهرته"فذكر تحت مادة سفل: «السفل ضد العلو، والسفل: ضد العلو...يقال: رجل خسيس من سفلة الناس، أي من رذالهم... وفلان يهبط في سفال، إذا كان يرجع إلى خسران»[2].

و التعريف نفسه ذهب إليه صاحب معجم"لسان العرب": «السفل والسفل والسفول والسفال والسفالة، بالضم: نقيض العلو والعلو والعلو والعلاء والعلاوة، والسفلى: نقيض العليا، والسفل نقيض العلو....وقوله عز وجل:﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، قيل معناه إلى الهرم، وقيل إلى التلف،وقيل رددناه إلى أرذل العمر ،كأنه قال رددناه أسفل من سفل»[3]؛ فالاستفال نقيض الاستعلاء والارتفاع.

ب– مصطلح الاستفال عند علماء اللغة القدامى:

ذكر "سيبويه" مصطلح الاستفال تحت باب الإمالة حيث يقول فيه: «ألا تراهم قالوا: صبقت وصقت، وصويق، لما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفل ثم يصعدون ألسنتهم أرادوا أن يكونوا حال

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [سفل]، ص254.

[2] ابن دريد، جمهرة اللغة، ج2، مادة: [س ف ل]، ص847.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة: [سفل]، ص 2031.

استعلاء وألا يعلموا في الإصعاد بعد التسفل، فأرادوا أن تقع ألسنتهم موقعا واحدا ، وقالوا: قسوت وقست، فلم يحولوا السين لأنهم انحدروا فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل»[1]؛ فاستعمل مصطلح التسفل والانحدار للدلالة على هذا المصطلح وهو عكس الاستعلاء والتصعد.

أما" ابن جني" فيعبر عن هذا المصطلح بتعبير آخر في قوله: «وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض فالمستعلية سبعة وهي: الخاء..... وما عدا هذه الحروف فمنخفض»[2]؛ فالملاحظ على قول" ابن جني" أنه استخدم مصطلح الانخفاض للدلالة على معنى الاستفال، ويشير إلى حروفه أنها ماعدا السبعة المستعلية.

وقد تبعه في هذا المصطلح مجموعة من العلماء نذكر منهم "ابن سنان الخفاجي" في مؤلفه"سر الفصاحة" فيذكره: «ومن الحروف أيضا حروف الاستعلاء وحروف الانخفاض، ومعنى الاستعلاء أن تصعد في الحنك الأعلى،وهي سبعة أحرف....وما سوى ذلك من الحروف منخفض»[3]،كذلك "الزمخشري": «المستعلية الأربعة المطبقة والخاء والغين والقاف والمنخفضة ما عداها، والاستعلاء ارتفاع اللسان إلى الحنك... والانخفاض بخلافه»[4]

وهو مذهب"السكاكي" أيضا في تسمية هذا المصطلح قائلا: «والاستعلاء أن تتصعد لسانك في الحنك الأعلى، والانخفاض بخلاف ذلك»[5]؛ فلم يعرف الانخفاض وإنما ذكره أثناء تعريفه للاستعلاء ويشير إلى تعريفه بعبارة والانخفاض بخلاف ذلك؛ أي تخفض لسانك إلى الأسفل وإلى هذا ذهب "ابن يعيش" في "شرح المفصل" بقوله: «فمعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها مع استعلائها إطباق.... وثلاثة لا إطباق مع استعلائها وهي الخاء والغين والقاف وما عداها فمنخفض»[6]، ووافقهم في ذكر هذا المصطلح

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص130.

[2] ابن جني: سر صناعة، ج1، ص62.

[3] ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة ، ص31.

[4] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص395.

[5] السكاكي: مفتاح العلوم ، ص12.

[6] ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص129.

"الرّضي الأستربادي" ذاكرا هذا المصطلح أثناء تعريفه للاستعلاء: «والمنخفضة ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع، وهي كل ما عدا المستعلية»[1].

وهناك عالم آخر تعرض لهذا المصطلح وهو "ابن عقيل" فيذكره بقوله: «وما عداها منخفضة وبعضهم يقول مستفلة، وذلك لأن اللسان لا يستعلي بها، بل يستفل بها إلى قاع الفم »[2]، و "السيوطي" هو الآخر من الذين ذكروا هذا المصطلح قائلا: «وسميت المستعلية... وضدها: المنخفضة، ويقال المستفلة ، لأن اللسان لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك،بل يتسفل بها إلى قاع الفم عند النطق»[3]

يتبين لنا من خلال التعاريف السابقة أن كل من" ابن سنان الخفاجي" و"الزمخشري" و " السكاكي" و"ابن يعيش"و"رضي الدين الأستربادي" و"ابن عقيل"و"السيوطي"؛ قد تعرضوا لمصطلح الانخفاض بمعنى الاستعلاء، وذكروه:أنه غير الاستعلاء وهو نقيضه، فجاء حديثهم عنه أثناء ذكرهم لصفة الاستعلاء، وضدها هو الاستفال، ويعرفون الأصوات المستفلة بأنها ما عدا المستعلية السبعة التي سبق ذكرها.

وبخلاف هؤلاء جميعا هناك من لم يتبعهم في استعمال هذا المصطلح و لم يسر على نهج" ابن جني" حيث استعمل"العكبري" مصطلح الاستفال مقابلا لصفة الاستعلاء فيقول: «فإن كان حرف الاستعلاء قبل الحرف الذي يليه الألف مكسورا أجازت الإمالة نحو: خفاف... لأن الصوت أخد في التسفل والتحدر»[4]؛ نلاحظ أنه استعمل مصطلحي التسفل والتحدر للدلالة على مصطلح الاستعلاء.

كذلك "ابن الأنباري" استخدم مصطلح الاستفال و لم يستعمل الانخفاض حيث قال: «فإن قيل فما فما بمنع من الإمالة قيل حروف الاستعلاء والإطباق.... فهذه سبعة أحرف تمنع الإمالة، فإن قيل: فلم منعت هذه الأحرف الإمالة؟ قيل: لأن هذه الحروف تستعلي وتتصل بالحنك الأعلى فتجذب الألف إلى الفتح وتمنعه من التسفّل بالإمالة»[5].

---

[1] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص262.

[2] ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، ج4،ص247.

[3] السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص297.

[4] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص455.

[5] ابن الأنباري: الأسرار العربية، ص 202، 203.

ويذكر أيضا مصطلح الانحدار بقوله: «إنما منعت من الإمالة إذا وقعت مكسورة لأنه يؤدي إلى التصعد بعد الانحدار، لأن الإمالة تقتضي الانحدار، وهده الحروف تقتضي التصعّد»[1]؛ يتبين لنا من خلال أقوال "ابن الأنباري" أنه تعرض لمصطلحي الاستفال والانحدار أثناء حديثه عن الإمالة وما يمنعها وسبب منعها.

3- مصطلح الاستفال عند علماء القراءات والتجويد:

عرف "مكي" الاستفال وذكر عدد حروفه قائلا: «الحروف المستفلة وهي اثنان وعشرون حرفا، وهي ماعدا الحروف المستعلية المذكورة، وإنما سميت مستفلة، لأن اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك،كما يستعلي عند النطق بالحروف المستعلية المذكورة، بل يستفل اللسان بها إلى قاع الفم عند النطق بها على هيئة مخارجها»[2]؛ جعل "مكي" عدد الحروف المستفلة اثنان وعشرون حرفا وهي ما دون حروف الاستعلاء، وذكر سبب تسميتها أن اللسان ينخفض ويستفل إلى قاع الفم ولا يستعلي، فهي ضد الاستعلاء وهو يوافق "سيبويه".

وقد تبعه في ذلك "الداني": «والمستفلة ماعدا هذه المستعلية، سميت مستفلة لأن اللسان لا يعلو بها إلى جهة الحنك»[3]؛ وممن ذكروا أيضا هذا المصطلح "المهدوي" في مؤلفه "شرح الهداية" ذاكرا إياه ضمن صفة الاستعلاء:« وأما المستعلية فسبعة أحرف يجمعها قولك: ضغط قظ خص سميت مستعلية لاستعلائها في الحنك وماعداهن من الحروف فمستفل»[4]؛ فالباقية من حروف الضاد والغين والطاء والقاف والظاء والخاء والصاد هي حروف مستفلة.

أما "ابن أبي مريم" فنجده يتبع "ابن جني" في هذا المصطلح فيقول: «معنى الاستعلاء أن يتصعد الصوت في الحنك الأعلى والحروف المستعلية سبعة: الخاء والغين والقاف والصاد والطاء والضاد والظاء ... أما حروف الانخفاض فما عدا الحروف المستعلية »[5]؛ فيذكر مصطلح الانخفاض في معنى الاستفال.

---

[1] ابن الأنباري: الأسرار في العربية، ص 203.

[2] مكي بن أبي طالب: الرعاية، ص 123، 124.

[3] الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، ص 107.

[4] المهدوي: شرح الهداية، ج1، ص 78، 79.

[5] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها: ج1، ص 174.

ومن هنا فالاستفال مصطلح قديم تحدث عنه علماء العرب القدامى أثناء تناولهم صفات الحروف، وقد جعلوا لبعض الصفات أضدادا ومنها صفة الاستفال فضدها هو الاستعلاء، وأغلب العلماء العرب لم يعرفوه وإنما ذكروه ضمن تعريف الاستعلاء بقولهم والاستعلاء... والاستفال ضده أو نقيضه، فاستخدموا كلمة ضد للتعريف بهذا المصطلح، وقد تعددت المصطلحات الدالة عليها فمنهم من ذكر الاستعلاء مثل "سيبويه" ومنهم من ذكر الانخفاض وهو "ابن جني" وتبعه طائفة من العلماء.

القلقلة

القلقلة صفة صوتية تخص مجموعة من الأصوات اللغوية والتي تمتاز بالشدة ورفع الصوت بها، وقد اعتنى القدامى بهذه الصفة من لغويين وخاصة المشتغلين بعلوم القرآن الكريم؛ إذا اعتنوا بها قصد النطق الصحيح بألفاظ القرآن الكريم، ومن هؤلاء العلماء "سيبويه" و"ابن جني" و"المبرد" و"مكي بن أبي طالب" و"المرعشي" وغيرهم، فخصوا بها خمسة أصوات سنأتي على ذكرها في حينها إن شاء الله.

أ- مصطلح القلقلة في المعاجم العربية:

جاء في معجم "الخليل بن أحمد الفراهيدي": «والقَلقَلةُ والتقلقل: قلة الثبوت في المكان، ويقال: مقلاَقٌ وقَلقٌ، والمسمَارُ السَّلسُ يتَقَلْقَلُ في موضعه إذا قَلقَ، وفرسٌ قلقل: جوادٌ سريعٌ. والقلقلة: شدة الصباح والإكثار في الكلام.»[1]، وورد في "لسان العرب" المعنى نفسه فقال صاحبه فيها: «والقلقلة: شدة اضطراب الشيء وتحركه، والقلقلة: شدة الصياح، وذهب أبو إسحاق في قلقل وصلصل وبابه أنه فَعْفَلْ، الليث: القلقلة والتقلقل: قلة الثبوت في المكان.»[2]، والمعنى السابق ذكره في معجم "الخليل" و"معجم"ابن منظور" نجده عند "الجوهري" في "الصحاح": «وقَلْقَلَ أي صَوَّتَ وهو حكاية، وقَلْقَلهُ قلقلة وقِلْقَالًا، أي حركه فتحرك واضطراب.»[3]، فالقلقلة في اللغة على ما جاء في المعاجم هي: شدة اضطراب الشيء وتحركه وعدم الثبات، وهي أيضا تعني شدة رفع الصوت بالكلام.

ب- مصطلح القلقلة عند علماء اللغة القدمى:

درس القدامى صفة القلقلة ضمن صفات الأصوات اللغوية وهي صفة مفردة ليس لها ضد مثل الجهر ضده الهمس، والقلقلة من مصطلحات "سيبويه" إذ عرفها قائلا: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة....، وذلك القاف والجيم والطاء والدال والباء، والدليل على ذلك أنك تقول: الحذْقْ فلا تستطيع أن تقف إلا مع الصُويت: لشدة ضغط الحرف.»[4]، فالقلقلة تنشأ عن ضغط شديد على مخرج الحرف، إذ يصحبها عند النطق بحروفها

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، مادة: [قلل]، ص425.

2 ابن منظور: لسان العرب، مج5، مادة: [قلل]، ص3728.

3 الجوهري: الصحاح، مج5، مادة: [قل]، ص1805.

4 سيبوية: الكتاب،ج4، ص174.

صُوَيْتٌ يسمع عند الوقف عليها بالسكون، وقد أورد "سيبويه" مثالا حاول من خلاله توضيح قلقلة القاف إذ تسمع عند الوقوف عليها صُويتًا صغير مع تحرك اللسان عن موضعه، وهكذا تنشأ صفة القلقلة.

وحروف القلقلة كما حددها "سيبويه" هي: القاف، الجيم، الطاء، الدال والتاء، ويمكن أن نذكر مثالا على كل حرف: قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق:1]، وهذا بالنسبة لقلقلة حرف القاف، أما بالنسبة لحرف الجيم فمثاله قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ [البروج:1]، ومثال حرف الطاء قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ [التحريم:10]، ومثال حرف الدال قوله تعالى:﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج:2]، أما مثال حرف التاء فقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ [العنكبوت:41].

أما "المبرد" فقد عرفها قائلا: «واعلم أن من الحروف حروفا محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقوف على الحرف منها نبرة تتبعه وهي حروف القلقلة، وإذا تفقدت ذلك وجدته، فمنها القاف والكاف، إلا أنها دون القاف، لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف إن وصلت لم يكن، لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر، فحلت بينه وبين الاستقرار.»[1]، فالقلقلة عنده هي قوة الضغط على مخرج الحرف عند الوقوف عليه بالسكون، إذ تسمع له نبرة ناتجة عن اضطراب اللسان، وهذه النبرة سماها "سيبويه" الصويت، وأضاف "المبرد" إلى أصوات القلقلة المعروفة صوت الكاف، وأشد هذه الأحرف قلقلة صوت القاف ،لأن حصر الصوت فيها يكون أشد من غيرها، وهذه الصفة عنده تكون في حال الوقف دون الوصل.

وعرف "ابن جني" القلقلة كالتالي: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي: القاف والجيم والطاء والدال والباء، لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط.»[2]، إذ أن حروف القلقلة عنده هي حروف مشربة مثله مثل "سيبويه" والذي عدها كذلك أيضا، والحفز في هذا التعريف يكون للهواء وذلك عند الوقف مع الضغط على مخرج الحرف فتسمع له قلقلة نتيجة هذا الضغط.

ولم يختلف "الزمخشري" كثيرا عن "ابن جني" إذا قال فيها: «وحروف القلقلة كما في قولك قد طبج، والقلقلة ما تحس به إذا وقفت عليها من شدة الصوت المتصعد من الصدر مع الحفز والضغط.»[3]؛ فهي عنده

1 المبرد:المقتضب، ج1،ص330.

2 ابن جني:سرضاعة الاعراب، ج1،ص63.

3 الزمخشري: المفصل،ص395.

نابجة عن شدة الصوت وحفزه مع الضغط على المخرج، وتكون في الوقف دون الوصل، و لم يذهب "الزمخشري" إلى أن حروف القلقلة هي حروف مشربة مثلما فعل "ابن جني" و" سيبويه".

وقد علق "عبد العزيز الصيغ" على تعريف "الزمخشري" لصفة القلقلة بقوله: «إلا أنه جعل القلقلة صوتا شديدا يحس به الناطق وقد اختص تعريف الزمخشري بالإشارة إلى صفة الجهر التي تجمع أصوات القلقلة، وكذلك إلى الشدة التي جمعها أيضا، فهاتان الصفتان لا تجتمعان إلا في أصوات القلقلة، لذلك فقد عنى الزمخشري بذكرهما في التعريف، وليست عبارة « الصوت المتصعد من الصدر» إلا بديلا عن صفة الجهر، كما أن وصفه القلقلة «بشدة الصوت» إشارة إلى صفة الشدة.»[1]؛ فقوله اختص هنا دليل على أن "الزمخشري" هو أول من أشار إلى اجتماع صفتي الجهر والشدة في أصوات القلقلة، دالا على ذلك بما قاله" الزمخشري" في تعريفه للقلقلة.

أما "السكاكي" فعرفها كما يلي: «وإذا تبع تمام الانحصار حفز وضغط كما في حروف قولك: «قد طبج»، سميت حروف القلقلة.»[2]؛ إذ ينحصر الصوت إذا نطقت بهذه الحروف (القاف، الدال، الطاء، الباء، الميم.)، في المخرج، يليه (والهاء تعود على الانحصار) حفز الصوت وضغطه على مستوى المخرج أيضا فتسمع نتيجة هذا الضغط الشديد صوتا يسمى القلقلة.

ويقترب تعريف" ابن يعيش" للقلقلة من تعريف "الزمخشري" في مواضع وفي أخرى يقترب من تعريف "المبرد" لها: «أما حروف القلقلة فهي خمسة القاف والجيم والطاء والدال والباء ويجمعهما «قد طبج» وهي حروف تخفى في الوقف وتضغط في مواضعها فيسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه إذا شددت ذلك وجدته، فمنها القاف تقول الحقْ، ومنها الكاف إلا أنها دون القاف لأن حصر القاف أشد، وإنما تظهر هذه النبرة في الوقف فإن وصلت لم يكن ذلك الصوت لأنك أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر فحلت بينه وبين الاستقرار.»[3]؛ وهو هنا يجمع بين تعريف "الزمخشري" و"المبرد"، فجعله إياها نابجة عن الضغط في المخرج مع شدة الصوت يتماشى مع تعريف "الزمخشري" لها، فتنتج عن هذا النبرة التي تحدث عنها "المبرد" ثم أكمل "ابن يعيش" التعريف كما هو عند "المبرد" مضيفا حرف الكاف على حروف القلقلة مع أنه لم يذكرها في بادئ الأمر ضمنها، وتختلف هذه الحروف من حيث الشدة، فالقاف أشد حصرا من الكاف، وهذه الحروف بعضها أشد من بعض.

1 عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص154.

2 السكاكي: مفتاح العلوم، ص12.

3 ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص129.

وهناك من العلماء من هم على تعريف "سيبويه" حتى وإن لم يذكروه بلفظه من أمثال"ابن عصفور". «فالمتَقَلْقِلَةُ: القاف والجيم والطاء والدال والباء، وذلك أنها تضغط عن مواضعها وتحفز في الوقف، فلا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت نحو: الحقْ واخرج واهبط، واذهب، وامدد»[1]؛ فالضغط على مخرج الحرف في الوقف يصحبه صوت، ولا يمكن الوقف على حرف القاف والجيم والطاء والدال والباء إلا مع هذا الصوت، وهذا المعنى نفسه نجده عند" ابن عقيل" إذا يقول: «وأحرف القلقلة: قُطْبٌ جُد، وذلك لأنها تنضغط عن موضعها، فلا نستطيع الوقوف عليها إلا بصوت نحو: الحقْ. »[2]، فالقلقلة عند كليهما تكون في الوقف دون الوصل، لأنه في حالة الوصل لا نتمكن من سماع ذلك الصوت.

ومن علماء اللغة من أعرضوا عن ذكر صفة القلقلة ضمن ما ذكروه من الصفات وذلك كـ "ابن السراج" في كتابه "الأصول في النحو" و"ابن الدهان" في مصنفة "الفصول في العربية"[3]، فقال "ابن السراج": «المجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمنحرف والشديد الذي يخرج معه الصوت والمكرر والملينة والهاوي والمطبقة والمنفتحة.»[4]، فلم يتطرق إلى ذكر القلقلة واكتفى بهذه الصفات فقط، وإلى جانبهم نجد "العكبري" في كتابه "اللباب في علل البناء والإعراب"[5] قد أعرض عن ذكر هذه الصفة أيضا.

وذهب "السيوطي" إلى سبب تسميتها بالقلقلة في قوله: «وسميت أحرف القلقلة لأن الصوت يشتد عند الوقف عليها، والقلقلة: شدة الصوت.»[6]، فاكتسبت القلقلة تسميتها من ذلك الصوت الشديد الذي يسمع عند الوقف على حروف قطب جد وهذا بالنسبة لعلماء اللغة ممن عرفوا القلقلة وذكروا حروفها.

ج- مصطلح القلقلة عند علماء التجويد والقراءات:

ومن علماء التجويد والقراءات الذين تطرقوا إلى القلقلة "مكي بن أبي طالب القيسي" ويقول فيها: «حروف القلقلة: ويقال اللقلقةُ: وهي خمسة أحرفٍ يجمعها هجاء قولك «جد بطق» وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن وإرادة إتمام النطق بهن فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل

1 ابن عصفور: الممتع الكبير في التصريف، ص428.

2 ابن العقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، تح:محمد كامل بركات، ج4، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص247.

3 ابن الدهان: الفصول في العربية، ص158.

4 ابن السراج: الأصول في النحو، ص401.

5 العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص466.

6 جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص298.

بهن.»[1]، فالقلقلة عنده ناتجة عن ذلك الصوت الذي ينتج عند الوقف على أحد حروفها ومن قوله هذا يتبين لنا أنها لا تظهر في الوقت فقط بل في الوصل أيضا ولكنها تكون في الوقف أوضح منه في الوصل.

وفي هذه الصفة أيضا قال"مكي بن أبي طالب القيسي": «وقيل: أصل هذه الصفة للقاف، لأنه حرف ضغط عن موضعه فلا يقدر على الوقف عليه إلا مع صوت زائد لشدة ضغطه واستعلائه.»[2]؛ إذ وصف "مكي" هذا الصوت الذي يصحب الوقوف على حروف القلقلة بأنه صوت زائد لأنه ناتج عن شدة الضغط.

أما "المرعشي" صاحب كتاب "جهد المقل" فيقول فيها: «خَصُّوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشدة والجهر، فالشدة تحصر صوت الحرف لشدة ضغطه في المخرج، والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج، فيلتصق المخرج التصاقا محكما، فيقوى الصوت الحادث عند انفتاح المخرج دفعة، وهي حروف خمسة يجمعها قطب جد.»[3]، فالقلقلة عنده لابد أن تجتمع فيها صفتان صفة الجهر وصفة الشدة، فهذه الأخيرة تحصر الصوت والجهر يمنع النفس أن يجري، فيتم إغلاق المخرج وعندما ينفتح تسمع صوتا قويا فذلك هو القلقلة.

وممن صرح من المشتغلين بعلوم القرآن بأن القلقلة تجمع بين صفتي الجهر والهمس "أبو شامة": «وإنما حصل لها ذلك لا تفاق كونها شديدة مجهورة، فالجهر يمنع النفس أن يجري معها والشدة تمنع أن يجري صوتها فلما اجتمع لها هذان الوصفان....، احتاجت إلى التكلف في بيانها»[4]؛ فعندما اجتمعت الشدة مع الجهر في حرف واحد تحتم على الناطق أن يظهر ذلك الصوت القوي.

وهناك منهم من أعاد تعريف "سيبويه" بلفظه ومعناه من أمثال "الداني": «ومن الحروف حروف مشربة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وُقف عليها خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن مواضعه، وهي خمسة أحرف يجمعها قولك: (جد بطق) القاف والجيم والطاء والدال والباء، وتسمى حروف القلقلة، لأنه إذا وُقِفَ عليها لم يستطيع أن يوقف دون الصويت.»[5]؛ إذ نلاحظ أنه نقل تعريف "سيبويه" للقلقلة وحروفها ولم يزد عنه شيئا.

أما "الشاطبي" ذكر حروف القلقلة في "متن الشاطبية" فقال:

كَمَا الأَلِفُ الهَاوِي و(آوِى) لِعِلَّةٍ وفِي قُطْبِ جَدٍّ خَمْس قَلْقَلَةٍ عُلَى[6]

1 مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص124.

2 المصدر نفسه، ص124.

3 المرعشي: جهد المقل، ص149.

4 أبو شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص754.

5 الداني: التحديد، ص109.

6 الشاطبي: متن الشاطبية، ص96.

ونلاحظ أن "المهدوي" في "شرح الهداية"[1] لم يذكر القلقلة ضمن صفات الحروف.

إن من الأمور التي تجدر الإشارة إليها هو سبب عدم ظهور القلقلة في حروف دون أخرى، وقد تحدث عنها "المرعشي" قائلا: «ثم اعلم أن انتفاء القلقلة إما بانتفاء صوت انفتاح المخرج بالكلية، وإما بانتفاء شدة صوت انفتاحه، بأن يكون ذلك الصوت مقرونا بنفس جار»[2]، فالسبب هو إما لانفتاح المخرج، إذ يشترط في القلقلة غلق مخرج الحرف بالكامل حتى يمنع النفس أن يجري معه، أو انتفاء صفة الشدة عن الحرف وذلك بسبب جري الصوت مع الحرف المنطوق، فالحرف المقلقلة إذا لا بد أن تكون شديدة مجهورة.

أما في سبب إخراج جمهور القراء للهمزة من حروف القلقلة فيقول "المرعشي": «ثم اعلم أن الهمزة وإن اجتمع فيها الشدة والجهر، لكن الجمهور أخرجوها من حروف القلقلة كما في بعض الرسائل، ولعل سبب ذلك ما في الرعاية أن الهمزة كالتهوع وكالسعلة، فجرت عادة العلماء بإخراجها بلطافة ورفق وعدم التكلف في ضغط مخرجها لئلا يظهر صوت يشبه التهوع والسلعة.»[3]، فالهمزة إذا ليست ضمن حروف القلقلة، وهذا مما لا خلاف فيه بالرغم من اجتماع صفي الجهر والشدة فيها، وهذا بسبب أن الهمزة تحتاج في إخراجها عدم التكلف أو الضغط الشديد على مخرجها، بينما حرووف القلقلة يشترط فيها التكلف والضغط حتى يسمع ذلك الصوت الزائد، أو الصويت، أو النبرة كما سموه.

إذا ومما سبق "ف"سيبويه" هو صاحب هذا المصطلح، فهو من وضعه وعرفه ذاكر حروفه، وكانت هذه الدراسة حول القلقلة قد فتحت لمن جاء بعده أبواب البحث فيها فأضاف "المبرد" إلى حروف القلقلة التي ذكرها "سيبويه" (القاف، الطاء ، الباء، الجيم، الدال.) حرف الكاف، وسمى "سيبويه" الصوت الذي يصحب الوقف على هذه الحروف الصويت، وعند "المبرد" النبرة، أما عند مكي فهو صوت زائد، ويعد "الزمخشري" أول من أشار بعبارات دالة على أن حروف القلقلة تحتوي على صفي الجهر والشدة، وقد تبين هذا عند علماء التجويد، إذ جعلوه شرطا من شروط الحروف المقلقلة، وتكون القلقلة في الوقف دون الوصل عند علماء اللغة، وأما عند علماء التجويد فتكون فيهما معا ولكنها في الوقف أبين من الوصل.

1 ينظر: المهدوي: شرح الهداية، ص77.

2 المرعشي: جهد المقل، ص150.

3 المصدر نفسه، ص150.

ثالثا-الظواهر الصوتية

1-الإظهار

2-الإدغام

3-الإبدال

4-الإمالة

5-الاختلاس

6-الوقف

7-الروم

8-الإشمام

9-الإسكان

الظواهر الصوتية:

الظواهر الصوتية مصطلح يطلق على مجموعة من التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة من إظهار وإدغام وإبدال و إعلال وإمالة....فهل عَرَفَ القُدامى هذا المصطلح؟ أم أنه مصطلح لم يُعْرف إلا حديثا؟

أ-مصطلح الظواهر الصوتية عند علماء العرب القدامى:

زخرت كتب علمائنا القدامى من لغويين وعلماء القراءات والتجويد بالظواهر الصوتية المختلفة، إلا أنهم لم يعالجوها علاجا مستقلا، بل جاءت مختلطة بغيرها من علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة.... ومن أشهر المؤلفات التي تناولت هذه الظواهر بالدراسة نجد كتاب "العين" لـــ"الخليل" و"الكتاب" لـــ"سيبويه"، حيث أفرد أبوابا لبعض منها كذكره باب الإدغام مثلا حيث قال: «هذا باب الإدغام.»[1]، وكذلك ظاهرة الإمالة فذكرها تحت عنوان: «هذا باب ما تمال فيه الألفات»[2]، وهناك ظواهر أخرى لم يفرد لها أبوابا، وإنما جاءت مختلطة بغيرها و لم يدرجها تحت عنوان مستقل بها، مثل ظاهرة الاختلاس التي تطرق إليها تحت عنوان "هذا باب الإشباع في الجرّ والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي."[3]

ويؤكد هذا "إبراهيم محمد البب" حيث يقول: «من يقرأ كتاب سيبويه يدرك من الصفحات الأولى أن لبسا ما يعتريه ولا سيما الظواهر الصوتيه فيه.... فأحيانا يصرح بالظاهرة الصوتية وأحيانا يتركها على إطلاقها»[4]؛ بمعنى أن سيبويه" لم يُفْرِد لكل ظاهرة صوتية باباً أو جعل لها عنوانا خاصا، بل جاءت مختلطة بغيرها من العناوين أو الأبواب، بالإضافة إلى "المبرد" في كتابه "المقتضب"، و"الزمخشري" في "المفصل في علم العربية"، و "ابن يعيش في "شرح المفصل"، وابن الجزري" في "النشر في القراءات العشر"، وكذلك "مكي بن أبي طالب" في مؤلفه "الرعاية"...

فنجد مثلا "الزمخشري" يذكر ظاهرة الوقف تحت عنوان من أصناف المشترك الوقف، وتندرج تحته مجموعة من الظواهر الأخرى كالإشمام والإسكان والروم [5]، أما "الداني" فنجده يجمع هذه الظواهر قائلا: «اعلموا أن التجويد لا يتمكن والتحقيق لا يتحصل إلا بمعرفة حقيقة النطق بالمتحرك، والمسكن، والمختلس،

1سيبويه: الكتاب، ج4، ص431.

2 المصدر نفسه، ص117.

3 نفسه، ص 202.

4 إبراهيم محمد البب: الظواهر الصوتية عند سيبويه، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، ع 2، 1389ه- 2010م، ص2.

5 ينظر: الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص338.

والمرام، والمشم، والمهموز، والمسهل والمحقق، والمشدد والمخفف، والممدود والمقصور، والمبين والمدغم، والمخفى، والمفتوح والممال»[1]؛ بمعنى أن حسن التجويد لا يتحقق إلا بمعرفة هذه الظواهر الصوتية والتي يُعْمَدُ من خلالها إلى معرفة النطقِ الصحيح لألفاظ القرآن الكريم كما نزلت على "الرسول صلى الله عليه وسلم"، كما تطرق إليها "الحموي" في "القواعد والإشارات" المد، اللين، القصر، الإدغام، الإظهار، البيان، الإخفاء، القلب.. البدل المحض، الإمالة، الروم، الإشمام، الاختلاس، الإشباع[2]

وتبعه في ذكر هذه الظواهر أيضا "ابن الطحان السماتي" بقوله: «المدّ، اللين، المطّ، والقصر، والاعتبار، والتمكين، والإشباع، و الإدغام، والإظهار، والبيان، والإخفاء، والقلب، والتسهيل، والتخفيف، والتثقيل، والتتميمُ، والتشديد، والنقل، والتحقيق والفتح، والفغرُ والإرْسالُ والإمالة والبطح والإضجاع، والتغليظ، والتفخيم، والترقيق، والرّوم، والإشمام والاختلاس»[3]، وهذه كلها ظواهر صوتية موجودة في اللغة العربية واللهجات والقراءات القرآنية.

وبهذا يمكننا القول أن علمائنا القدامى تطرقوا إلى الظواهر الصوتية في ثنايا مؤلفاتهم وعنوا بها عناية شديدة لما لها من أهمية بالغة في قراءة القرآن وتجويده، لكنهم لم يطلقوا عليها اسم أو مصطلح الظواهر الصوتية، فقد غاب هذا المصطلح في الكتب التراثية، وبهذا فهو لم يظهر إلا حديثا مع تطور علم الأصوات.

1 الداني: التحديد، ص95.

2 ينظر: أبي رضا الحموي: القواعد والإشارات في أصول القراءات، تح: عبد الكريم بن محمد بكار، دار القلم، دمشق-سورية، ط1، 1402ه-1686م، ص 42، 53.

3 ابن الطحان السماتي: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة –الإمارات، مكتبة التابعين، عين الشمس- القاهرة، ط1، 2007م، ص 62.

الإظهار:

الإظهار هو مصطلح صوتي، يعبر عن ظاهرة صوتية مثل باقي الظواهر كالإدغام والإبدال...ولكن الإظهار لا يتم كذلك، بل هو إظهار الحروف وبيانها وإخراج كل حرف من مخرجه، والأصل في النطق هو الإظهار ولكن بسبب الاختزال في الجهد العضلي وأسباب أخرى فإننا ندغم ونميل...،وقد تحدث عنه علماؤنا القدامى بدقة كبيرة وفيما يلي تفصيل في ذلك:

أ-مصطلح الإظهار في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" لـ "الخليل" تحت مادة ظهر قوله: «الظهر خلاف البطن من كل شيء...والظهور بدو الشيء الخفي»[1]،وهذا نفسه الذي ذهب إليه "ابن منظور": «الظهر من كل شيء: خلاف البطن، والظهر من الإنسان: من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره...والظاهر من أسماء الله عز وجل وفي التنزيل العزيز:﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾»[2]؛ فالإظهار هو البيان والوضوح عكس الباطن والخفي من الشيء.

ب-مصطلح الإظهار عند علماء اللغة القدامى:

استخدم"سيبويه" مصطلح الإظهار مقابلا لمصطلح الإضمار في قوله:«لأنك قد استغنيت عن إظهاره، وإنما ينبغي لك أن تضمره»[3]، وقد أطلق عليه لفظ آخر يدل عليه أثناء حديثه عن النون الساكنة فيقول: «وتكون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء بينة»[4]؛ فلفظ بينة تدل على البيان والظهور واستخدمه بمعنى الإظهار أي النون الساكنة مع هذه الحروف يكون هناك إظهار لا إدغام ولا إخفاء ولا إقلاب.

كما عرف "ابن جني" هذا المصطلح حين قال: «قد علموا أن إدغام الحرفَ في الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين»[5]؛ فالإدغام يختزل ويقتصد الجهد العضلي من الإظهار،أي إظهار الحروف وبيانها عند النطق بها. أما "الزمخشري" فقد ذكر هو أيضا لفظ البيان للدلالة على هذا المصطلح وذكر ذلك هو أيضا أثناء حديثه عن

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج3، مادة:[ظهر]، ص 80.
[2] ابن منظور: لسان العرب، مج4، مادة:[ظهر]، ص 2764، 2767.
[3] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 62.
[4] المصدر نفسه، ج4، ص454.
[5] ابن جني: الخصائص، ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ص 227.

النون الساكنة فقال: «والنون تدغم في حروف يرملون....ولها أربع أحوال أحدهما الإدغام مع هذه الحروف والثانية البيان مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء»[1]؛ فهذه الحروف الستة لما تكون مع النون الساكنة يكون الإظهار. وسار على نهجه "ابن يعيش" في "شرح المفصل" فقال هو أيضا أثناء حديثه عن النون الساكنة: «النون الساكنة لها أربع أحوال حال تكون فيه مُدْغَمة...وأما الحال الثانية وهو أن تبين ولا تدغم ولا تخفى وذلك مع حروف الحلق الستة وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين كقولك من أبوك ومن هلال...وإنما وجب البيان عند هذه الحروف لتباعدها منها»[2]؛ فالإظهار عنده هو ظاهرة صوتية تتعرض لها مع النون الساكنة إذا كانت قبل حروف الحلق الستة المذكورة، والسبب في إظهارها هو بعد المخرج بين النون وهذه الحروف، فلا يحصل ثقل وجهد في اللسان أو عند النطق بها.

ونجد "الأستراباذي" أيضا يتطرق إلى هذا المصطلح أثناء حديثه عن إدغام المتماثلين: «فإن كان المثلان في أوله فإما أن يكون ماضيا...فالأولى في الماضي الإظهار ويجوز الإدغام...وإن كان مضارعا جاز الإظهار والحذف والإدغام»[3] ؛فتطرق هو الآخر إلى هذا المصطلح مثله مثل باقي المصطلحات الإدغام والحذف.

ج–مصطلح الإظهار عند علماء القراءات والتجويد:

ذكر "مكي" هذا المصطلح تحت باب بيان أحكام النون الساكنة والتنوين فيقول: «اعلم أن للنون الساكنة والتنوين في كلام العرب، وفي القرآن أحكاما كثيرة...الأول أنهما يظهران إذا لقيهما حرف من حروف الحلق...وكذلك إن وقعت النون الساكنة قبل هذه الحروف في كلمة أظهرت أيضا»[4]؛ فالنون الساكنة إذا وقعت قبل حروف الحلق سواء في كلمة أو كلمتين أظهرت، ويذكر سبب الإظهار قائلا: «والعلة في إظهار ذلك عند هذه الحروف أن الغنة والنون بعُد مخرجهما من مخرج حروف الحلق...فلما تباعدت المخارج وتباينت وجب الإظهار الذي هو الأصل ولم يحسن غيره»[5]؛ فالملاحظ من هذا القول أن الإظهار هو الأصل، فالأصل في الكلام أن نظهره.

[1] الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص400.
[2] ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص 144، 145.
[3] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 240.
[4] مكي: الرعاية، ص 262.
[5] المصدر نفسه، ص 263.

أما "الداني" فأفرد في كتابه "التيسير في القراءات السبعة" عنوانا أسماه باب ذكر الإظهار والإدغام للحروف السواكن، فقال: «واختلفوا في الذال من إذ (...) الحرميان وعاصم يظهرون الذال عند ذلك كله»[1]، واستخدمه أيضا عند حديثه عن النون الساكنة فيقول: «واجتمعوا على إدغام النون الساكنة والتنوين في الراء واللام بغير غنة...وأجمعوا أيضا على إظهارها عند حروف الحلق الستة، وهي الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين»[2]؛فمصطلح الإظهار وارد عند "الداني" وقد ذكر حروفه وهي الحروف الحلقية. وكذلك نجد "المرعشي" يتعرض لهذا المصطلح تحت عنوان في النون الساكنة والتنوين قائلا: «ولها أربعة أحوال: الإظهار بلا ظهور غنة وبظهورها...الحال الأول: أنهما يظهران قبل حروف الحلق الستة بلا ظهور غنتهما»[3]؛ وهو مذهب سابقيه الذين تعرضوا لهذا المصطلح أيضا عند حديثهم عن النون الساكنة والتنوين.

بالإضافة إلى هؤلاء نجد "ابن الجزري" يتبعهم هو الآخر في ذكر هذا المصطلح أيضا تحت عنوان باب أحكام النون الساكنة والتنوين فيقول: «وهي أربعة: إظهار، وإدغام، وقلب ،وإخفاء...أما الإظهار فإنه يكون عند ستة أحرف وهي حروف الحلق منها أربعة بلا خلاف وهي: الهمزة، والهاء والعين والحاء...والحرفان الآخران اختلف فيهما وهما: الغين والخاء فقرأ أبو جعفر بالإخفاء عندهما وقرأ الباقون بالإظهار»[4]؛ فحرفي الغين والخاء يذكر "ابن الجزري" أنه هناك خلاف فيهما فهناك من أظهرهما، وهناك من أخفاهما مثل أبو جعفر.

إن مصطلح الإظهار وارد عند علمائنا العرب القدامى، فلم يعرفوه، وإنما ذكروه أثناء حديثهم عن النون الساكنة والتنوين، واختلفت المصطلحات الدالة على هذا المصطلح فنجد مثلا"سيبويه" يذكر لفظ البيان للدلالة على الإظهار وقد تبعه مجموعة من العلماء. وحروف الإظهار حسب علماءنا القدامى ستة وهي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين والخاء وهي حروف الحلق، وذلك لأنها بعيدة من مخرج النون.

[1] الداني: التيسير في القراءات السبعة، ص 41، 42.

[2] المصدر نفسه، ص 45..

[3] المرعشي: جهد المقل، ص 194.

[4] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 22.

الإدغام:

تعد ظاهرة الإدغام في اللغة العربية، من أبرز الظواهر الصوتية التي اهتم بها العلماء قديما، فقد لاحظوا أن تجاور بعض الأصوات اللغوية يؤدي باللفظ إلى الاستثقال والصعوبة في النطق، وبذل مجهود عضلي مما يحتم على المتكلم أن يميل إلى التصرف في ذلك اللفظ حتى يسهل عليه نطقه، فعرفوا الإدغام وحددوا مفهومه ووضعوا له قواعدًا وشروطًا وأقسامًا، وعللوا أسبابه وبينوا وجوبه وجوازه وامتناعه، فالإدغام عملية عضوية نطقية فيها اقتصاد في المجهود.

أ-مصطلح الإدغام في المعاجم اللغوية القديمة:

لقد عرفت المعاجم اللغوية القديمة مصطلح الإدغام فجاء في معجم"العين" لـــ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" بقوله تحت مادة (دغم): «الدَّغْمَةُ: اسم من إدغامك حرفا في حرف وأدغمتُ الفرس اللجام: أدخلته في فيه»[1]، وفي "الجمهرة" لـــ "ابن دريد" : «يقال أدغمت اللجام في الفرس إذا أدخلته فيه، ومنه إدغام الحروف بعضها في بعض»[2]، وعرفه "ابن منظور" في"اللسان" بقوله: «إدخال حرف في حرف يقال: أدغمت الحرف و أدغمته على افتعلته قال بعضهم ومنه اشتقاق الإدغام في الحروف وقيل بل اشتقاق هذا من إدغام الحروف»[3]؛ من هذه التعريفات السابقة يمكن القول أن الإدغام في اللغة هو إدخال الشيء في الشيء ومنه جاء إدغام الحرف في الحرف.

ب- مصطلح الإدغام عند علماء اللغة القدامى:

يقول "الخليل" في مقدمة معجمه: «اعلم أن الراء في: اقشعرَّ واسْبَكَرَّ هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام»[4]؛ فكلمة اقشعرَّ واسبكرَّ أصلهما اقشعرر واسبكرر ولكن أدغمت، فأصبحت حرفا واحدا والدليل على ذلك التشديد فهي تدل على الإدغام.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [دغم]، ص32.

[2] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، مادة: [د غ م]، ص 670.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج2، مادة: [دغم]، ص 1391..

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي،:كتاب العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص 35.

وعرَّف "سيبويه" أيضا مصطلح الإدغام تحت عنوان "هذا باب الإدغام" قائلا: «هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعا واحدا لا يزول عنه...فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواء إذا كانا منفصلين أن تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعدا»[1]، ويذكر هذا المصطلح أيضا في موضع آخر فيقول: «والتضعيف أن يكون آخر الفعل حرفان من موضع واحد وذلك نحو: رددت ووددت واجتررت...فإذا تحرك الحرف الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام...لأنه لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا رفعة واحدة، وذلك قولهم...احمرّ واحمارّ وهو يطمئن»[2]؛ فالإدغام عند"سيبويه"هو التلفظ بحرفين حرفا واحدا، فلما يكون حرفان من موضع واحد، وكان الحرف الآخر متحرك فالعرب يجمعون على إدغامه وجعله حرفا واحدا طلبا للتخفيف.

كما استخدم "المبرد" هذا المصطلح أيضا قائلا: «هذا باب إدغام المثلين...اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني»[3]، وقوله أيضا:«وكذلك العين والحاء إذا أدغمت واحدة منها في الأخرى فقلبت العين حاء جاز...لأن حق الإدغام أن يدغم الأول في الثاني»[4]؛ فـــــــ "المبرّد" استخدم ألفاظ إدغام، مدغم، أدغمت، يدغم للدلالة على ظاهرة الإدغام.

وهذا نفس ما ذهب إليه "ابن عصفور" معرفا إياه: «الإدغام هو رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعا واحدا وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين»[5]؛ فالمقصود به هنا هو أن تنطق بالحرفين حرفا واحدا، ويكون في المثلين، أي الحرفين اللذين لهما نفس المخرج ونفس الصفة والمتقاربين أي متقاربان في المخرج.

وقد بين "ابن عصفور" السبب في إدغام المتماثلين قائلا: «والسبب في ذلك أن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المضعف مرتين، فيكثر العمل على العضو الواحد ...وأيضا الحرفين إذا كانا مثلين فإن اللسان يرجع في النطق بالحرف الثاني إلى موضعه الأول، فلا يتسرح

[1] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 437.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص 530،529.

[3] المبرّد: المقتضب، ص 86.

[4] المصدر نفسه: ص 90.

[5] ابن عصفور الإشبيلي: الممتع الكبير في التصريف، ص 403.

اللسان بالنطق كما يتسرح في الغيرين، بل يكون ذلك شبيها بالمقيد»[1]، والسبب في ذلك يرجع إلى أن هذه الحروف يكون النطق بهما ثقيل وصعب على العضو المكلف بهذه العملية-عملية النطق-

كما بين أيضا سبب إدغام المتقاربين: «وأما المتقاربان فلتقاربيهما أجريا مجرى المثلين لأن فيهما بعض الثقل ألا ترى أنك تعمل العضو وما يليه كما كنت في المثلين تعمل العضو الواحد مرتين، فكأن العمل باق في العضو و لم ينتقل، وأيضا فإنك ترد اللسان إلى ما يقرب من مخرج الحرف الأول، فيكون في ذلك عقلة للسان وعدم تسريح له في وقت النطق بهما، فلما كان فيهما من الثقل هذا القدر فعل بهما ما فُعل بالمثلين من رفع اللسان بالحرفين رفعة واحدة ليخف النطق بهما»[2]، فهو هنا يشبه عملية نطق المتقاربين بالمتماثلين، فهي تقريبا نفس العملية لأن العضو لم ينتقل بعيدا بل قريب من ذلك فكأنه لم يحرك اللسان أصلا.

و "العكبري" يقول في مصنفه"اللباب": «الإدغام وصلك حرفا ساكنا بحرف مثله من موضعه من غير فاصل بينهما بحركة ولا وقف، فتصيرهما بالتداخل كحرف وحد، ترفع لسانك بهما رفعة واحدة وتشدده، وهو مقدر بحرفين الأول منهما ساكن»[3]، وهو ما ذهب إليه "أبي حيان الأندلسي": «الإدغام هو الإدخال واصطلاحا: رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة، والوضع بهما موضعا واحدا، إذا التقى المثلان في كلمة، والأول ساكن»[4]، فالمقصود بالإدغام هو أن تنطق بحرفين حرفا وحدا ويكون الأول ساكن وهو مذهب "سيبويه".

بالإضافة إلى "رضي الدين الأستربادي" الذي ذكر هو كذلك هذا المصطلح فيقول: «الإدغام :أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل، ويكون في المثلين والمتقاربين فالمثلان واجب عند سكون الأول»[5]، فمن شروط الإدغام عنده أن يكون الحرف الأول ساكن والثاني متحرك وأن يكون من نفس المخرج المخرج أو متقاربين ولا يفصل بينهما فاصل.

ج-مصطلح الإدغام عند علماء التجويد والقراءات:

[1] ابن عصفور الإشبيلي: الممتع الكبير في التصريف، ص 403.

[2] المصدر نفسه، ص 403.

[3] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص 469.

[4] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1418ه، 1998م، ص337.

[5] رضي الدين الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 234.

ونجد علماء التجويد والقراءات قد تبعوا علماء اللغة في استخدام مصطلح الإدغام لهذه الظاهرة الصوتية فـــــــــــــــ"ابن مجاهد" في كتابه"السبعة في القراءات" يعرفه بقوله: «والإدغام تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه في مخارج اللسان كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه، وهو عند الخليل، إذا أظهر مثل إعادة الحديث مرتين أو كخطو المقيد»[1]، فإذا لم ندغم فيكون مثل الذي يريد أن يمشي وهو مقيد فيحاول أن يمشي لكن لا يستطيع، وكالذي يكرر الكلام مرتين فهناك بشاعة في ذلك.

أما حديثه عن إدغام المتماثلين فكان كما يلي: «واعلم أن الحرف إذا كان ساكنا ولقيه مثله متحركا لم يكن إلا إدغام الأول في الثاني لا يجوز إلا ذلك مثل قوله:﴿يدرككم الموت﴾[النساء 78] و﴿إذ ذهب﴾[الأنبياء 87] و﴿اضرب بعصاك﴾[الأعراف 160] وما أشبه ذلك»[2]؛ فكلمة يُدْرِكُكُم تقرأ (يُدْركُّم) وهو إدغام متماثل في كلمة واحدة (إذ ذهب) فتقرأ (إذّهَبَ)، وكذلك (اضرب بعصاك) تُقرأ (اضْرِبّعَصاك)، فكل من حرفي الكاف وحرفي الذال وحرفي الباء تقرأ حرفا واحدا مشددا

وفيما يخص"أبو عمرو المازني" فقد تحدث عن مصطلح الإدغام الكبير حيث يقول معرفا إياه: «الإدغام عامة: هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا، وهو نوعان إدغام كبير وآخر صغير، ويلحق بالصغير أحكام النون الساكنة والتنوين، والإدغام الكبير ما كان أول الحرفين متحركا فيه سواء كانا مثلين أو جنسين متقاربين»[3]، فقد قسم الإدغام إلى قسمين كبير وصغير، فالإدغام الكبير هو ما كان الحرف الأول متحركا وليس ساكنا، ويكون في المتماثل والمتجانس والمتقارب.

أما عن تعريف الحرفين المتماثلين فيقول: «إدغام المثلين: ويراد بهما الحرفان إذا اتفقا مخرجا وصفة»[4]، مثل الباء والباء، الدال والدال، وقد وضع لهما شروطا-أي شروط الحرفين المتماثلين:«له مجموعة شروط هي: أن يلتقي المثلان خطا، فلا يدغم في نحو(أنا نذير) (...)وأن يكون من كلمتين فإن التقيا في كلمة فهو لا يدغم إلا في حرفين (مناسككم) في سورة البقرة (...)وألا يكون الحرف الأول من المدغمين المتماثلين تاء ضمير المتكلم أو خطابا فلا يدغم، نحو(كنت ترابا)فأنت تسمع...وألا يكون الحرف الأول مشددا، فلا يدغم

[1] ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ص 125.

[2] المصدر نفسه، ص 125.

[3] المازني: الإدغام الكبير، تح: عبد الكريم محمد حسين، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت،ص21،22.

[4] المصدر نفسه، ص 22.

نحو(مسَّ سقر) (رب بما)، وألا يكون الحرف الأول منونا، فلا يدغم نحو قوله(غفور رحيم)(سميع عليم)»[1]؛ فهذه الشروط يجب أن تكون لإدغام الحرفين المتماثلين، أي المتحدين في الصفة والمخرج، وكذلك تطرق إلى تعريف المتجانسين والمتقاربين: «المتجانسان ما اتفقا مخرجا واختلفا صفة[وأما] المتقاربان ما تقاربا مخرجا أو صفة»[2].

ولا ننسى "الشاطبي" الذي أفرد أبياتا شعرية في منظومته الشهيرة "الشاطبية" فنجده يخصص أبوابا لظاهرة الإدغام منها باب الإظهار والإدغام، وباب اتفاقهم في إدغام إذ و قد وتاء التأنيث وهل وبل فيذكر مثلا تحت أحكام النون الساكنة والتنوين:

وكُلُّهُمْ التَّنْوِينَ والنُّونَ أَدْغَمُوا بِلَا غَنَّةٍ فِي اللاَّمِ والرَّا لِيَجْمُلَا

وكُلٌّ بِيَنْمُو أَدْغَمُوا مَعَ غُنَّةٍ وفي الوَاوِ واليَا وبِهَا خَلْفٌ تَلَا[3]

فكل القراء أدغموا النون الساكنة والتنوين مع حرفي اللام والراء بلا غنة، أي إدغام تام وليس ناقص بغنة، وكذلك أدغموا النون الساكنة والتنوين مع حروف الياء والنون والميم والواو المجموعة في كلمة(ينمو) ولكن بغنة أي إدغام ناقص وليس تام.

وخصص "ابن الجزري" في كتابه "النشر" بابا للإدغام أسماه باب اختلافهم في الإدغام الكبير قائلا: «الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشدّدا وينقسم إلى كبير وصغير:فالكبير ما كان الأول من الحرفين فيه متحركا، سواء كانا متماثلين، أم جنسين أم متقاربين...والصغير هو الذي يكون الأول منهما ساكنا...وكل منهما ينقسم إلى جائز وواجب وممتنع كما هو مفصل عند علماء العربية»[4]؛ فعرف "ابن الجزري" الإدغام، وذكر أقسامه.

إن مصطلح الإدغام هو مصطلح صوتي، يعبر عن ظاهرة منتشرة في اللهجات العربية القديمة، وفي القراءات القرآنية، وأول من عرف هذا المصطلح هو"الخليل بن أحمد الفراهيدي"، ويكون بالنطق بحرفين حرفا

[1] المازني: الإدغام الكبير، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 24.

[3] الشاطبي: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، ص 24.

[4] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص 274، 275.

واحدا مشدّدا، وقد عرفه القدماء وذكروا أنواعه وأقسامه وسببه وموانعه، كما ألفوا أبياتا شعرية عن هذه الظاهرة.

الإبدال:

يعد الإبدال ظاهرة من بين الظاهر الصوتية، التي تناولها القدماء بالدراسة والتحليل والتعليل، واستخدموا هذا المصطلح للدلالة على الأصوات التي يمكنها أن تبدل بأصوات أخرى، وقد عبروا عنه-أي مصطلح الإبدال-بألفاظ مختلفة وفيما يلي بيان في ذلك.

أ-مصطلح الإبدال عند علماء المعاجم:

جاء في معجم"العين" لـــ "لخليل بن أحمد الفراهيدي"تحت مادة بدل: «البَدَل: خلف من الشيء، والتبديل: التغيير، واستبدلت ثوبا مكان ثوب»[1]، وفي "جمهرة اللغة": «بَدَلُ الشيء: غيره وكذلك بَديلة»[2]، أما صاحب "اللسان" فيقول: «وأبدل الشيء من الشيء وبَدله: تخذه منه بَدلًا، وأبدلت الشيء بغيره وبدّله الله من الخوف أمنا، وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل، واستبدل الشيء بغيره وتبدّله به إذا أخذه مكانه، والمبادلة: التبادل، والأصل في التبديل تغير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء تالله...وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾...أبو العباس ثعلب: يقال أبدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه»[3]، فهو تغير شيء مكان شيء آخر.

ب-مصطلح الإبدال عند علماء اللغة القدامى:

ذكر"سيبويه" هذا المصطلح إثر حديثه عن الهمزة فقال في كتابه تحت عنوان هذا باب الهمز:«اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق والتخفيف والبدل»[4]، ويقول أيضا: «واعلم أنّ كل همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنك تبدل مكانها ياء في التخفيف، وذلك قولك في المئر، مير، وفي يريد أن يقرئك يقريك»[5]، فـــــــــــــ"سيبويه "استخدم لفظي البدل وتبدل للدلالة على مصطلح الإبدال وهذه ظاهرة الصوتية.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي:كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج1، مادة: [بدل]، ص122.

[2] ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، مادة: [ب د ل]، ص 300.

[3] ابن منظور:لسان العرب، مج1، مادة: [بدل]، ص 231.

[4] سيبويه: الكتاب، ج3، ص 541.

[5] المصدر نفسه، ص 543.

وقد أفرد "سيبويه" لهذا المصطلح بابا حيث يقول فيه: «هذا باب حروف البدل...فالهمزة تبدل من الياء والواو...والألف تكون بدلا من الياء والواو...وأما الهاء فتكون بدلا من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف...وقد أبدلت من الهمزة في...هرحت الفرس، تريد أرحت»[1]، فالملاحظ أنه استخدم ألفاظ أخرى وهي بدلا وأبدلت للدلالة على هذا المصطلح ويؤكد هذا"إبراهيم عبود السامرائي": «إن استخدام مصطلح الإبدال ومشتقاته بهذه الكثرة في كتاب سيبويه يدل على استقرار هذا المصطلح في عهد سيبويه ووضوح مفهومه.»[2]

بالإضافة إلى باب آخر سماه: «باب ما تقلب فيه السين صادا في بعض اللغات تقلبها القاف إذ كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو: صُقتُ، وصَبَقتُ...فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد ...فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مُصطَبَر»[3]، فمصطلح القلب استخدم هنا بمعنى الإبدال.

كما تبعه "المبرد" في ذلك فقد أفرد هو أيضا باب أسماه: «هذا باب حروف البدل وهي أحد عشر حرفا، منها ثمانية من حروف الزوائد...وثلاثة من غيرها...فمن حروف البدل حروف المد والين المصوتة وهي الألف والواو والياء، فالألف تكون بدلا من كل واحدة منهما»[4]؛ فنلاحظ أنه استعمل مصطلح الإبدال و لم يعرّفه، وجعل حروفه أحد عشر حرفا، كما تحدث عنه في موضع آخر وبمصطلح آخر فيقول: «هذا باب ما تقلب فيه السين صادا...وإنما تقلب للتقريب مما بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قُلِبَت معه ليكون تناولها من وجه واحد...وذلك قولك: سطر، و صطر، و سقر وصقر، وسلخت، وصلخت»[5]؛ فاستخدم مصطلح القلب هنا للدلالة على مصطلح الإبدال، وهو بهذا يتبع"سيبويه".

أما "ابن جني" فقد تطرق إلى هذا المصطلح أثناء حديثه عن الحروف وصفاتها فيقول في حرف الجيم: «الجيم حرف مجهور ويكون في الكلام على ضربين:أصلا وبدلا، فإذا كان أصلا وقع فاء، وعينا ولاما...وإذا كانت بدلا فمن الياء لا غير قرأت على أبي علي...أنشدني رجل من أهل البادية وقرأتها عليه في الكتاب

[1] سيبويه: الكتاب،ج3، ص237، 238.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير، عمان، الأردن، ط1، 1432ه ـــــــــــــــ2011م، ص 263.

[3] سيبويه، الكتاب، ج4، ص 479، 480.

[4] المبرّد: المقتضب، ص 24.

[5] المصدر نفسه، ص 99.

عَمي عُوَيْفُ وأَبُو عَلِجٍّ المُطْعِمَانِ اللحْمَ بالعَشِجِّ

وبالغَدَاةِ فِلَقَ البَرْنَجِّ تُقْلَعُ بالوَدِّ والصيصَجِّ

يريد: أبو عليّ، وبالعشيِّ والبرنيّ، وبالصيصة وهي قرن البقرة»[1]؛ فإذا أردنا أن نبدل حرف الجيم، فإبداله يكون بحرف الباء فقط لا غير، وبهذا نلاحظ أن"ابن جني" تطرق هو أيضا لهذا المصطلح.

وقد عرفه "ابن يعيش" في مؤلفه "شرح المفصل" تحت عنوان "ومن أصناف المشترك إبدال الحروف" قائلا: «البدل أن تقيم حرفا مقام حرف إما ضرورة وإما صنعة واستحسانا وربما فرقوا بين البدل والعوض...والبدل على ضربين بدل هو إقامة حرف مقام حرف غيره نحو تاء وتخمة وتكأة وبدل هو قلب الحرف نفسه إلى لفظ غيره على معنى إحالته إليه وهذا إنما يكون في حروف العلة التي هي الواو والياء والألف وفي الهمزة أيضا لمقاربتها إياها وكثرة تغيرها وذلك نحو قام أصله قوم فالألف واو في الأصل»[2]؛ فتطرق إلى تعريف البدل بأنه وضع صوت مكان صوت آخر وقد قسمه إلى قسمين.

وهو مذهب "الأستربادي" في "شرح الشافية" فيقول: «الإبدال جعل حرف مكان حرف آخر»[3]، فقد عرفه وهو بهذا تتبع "سيبويه" وهذا ما يؤكده"إبراهيم عبود السامرائي": «الإبدال على المنهج الذي وضعه سيبويه مع زيادة في ضبط المفهوم وتنظيم المادة المدروسة وخاصة عند رضي الدين الأستربادي في شرحه شافية ابن الحاجب وقد استخدم أثناء شرحه لظاهرة الإبدال لفظ الإبدال ومشتقاته كما استخدم لفظ القلب ومشتقاته للدلالة على مفهوم الإبدال الذي استقر عند سابقيه»[4]؛ فنلاحظ من هذا القول أن "الأستربادي" اتبع "سيبويه" في استخدام هذا المصطلح، ومصطلح القلب أيضا، لكنه زاد وأضاف أشياء أخرى مثل تعريفه له.

ج–مصطلح الإبدال عند علماء القراءات والتجويد:

استعمل "ابن مجاهد" عدة مصطلحات للدلالة على مصطلح الإبدال فنجده مثلا يقول: «وكان الفراء يحكي عن حمزة:(الزراط)بالزاي خالصة، ويحكى ذلك في الصاد الساكنة فقط، فإذا تحركت لم يقلبه زايا»[5]،

[1] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 175، 176.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، ج10، ص 7.

[3] رضي الدين الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 233.

[4] إبراهيم عبود السامرائي: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، ص 269، 270.

[5] المرجع نفسه، ص 269، 270.

ويقول أيضا في معرض كلامه عن قلب السين إلى الصاد: «والسين الأصل والكتاب بالصاد، وإنما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء، لأن الطاء لها تصعد في الحنك، وهي مطبقة والسين مهموسة، وهي من حروف الصفير، فثقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضا ومستعليا في كلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصاد، لأنها مؤاخية للطاء في الإطباق ومناسبة للسين في الصفير ليعمل اللسان فيهما متصعدا في الحنك عملا واحدا»[1]؛ فلفظي يقلبها وقلبوا يعنيان ما استخدمه سابقوه في معنى الإبدال.

واستخدم "مكي" في كتابه" الكشف عن وجوه القراءات السبع" مصطلح الإبدال: «النون الساكنة والتنوين يتقلبا ميما إذا لقيتهما باء، نحو قولك ﴿أَنْ بُورِكَ﴾[النمل:8].. ولا شديد في هذا إنما هو بدل لا إدغام فيه، لكن الغنة التي كانت في النون باقية لأن الحرف الذي أبدلت من النون حرف فيه غنة أيضا، وهو الميم الساكنة، فلا بد من إظهار الغنة في البدل...أبدلت منها حرفا مؤاخيا لها في الغنة...ولكنهم أبذلوا مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم»[2]؛ فالألفاظ : أبدلت، البدل، أبدلوا استخدمها "مكي" للدلالة على مصطلح الإبدال.

أما "الداني" فهو أيضا تطرق لهذا المصطلح في مؤلفه "التيسير في القراءات السبع" حيث ذكر تحت عنوان "باب الهمزتين المتلاصقتين في كلمة": «اعلم أنهما إذا اتفقتا بالفتح نحو"أنذرتهم" و"أنتم أعلم" و"أسجد" وشبهه فإن الحرميين وأبا عمرو وهشاما يسهلون الثانية منهما وورش يبدلها ألفا»[3]، فورش يبدل الهمزة الثانية ألفا، ومنه نستنتج أنه تكلم عن ظاهرة الإبدال.

كما استقر مصطلح الإبدال أيضا عند "ابن الجزري" فيذكر في كتابه "النشر في القراءات العشر" تحت باب في الهمز المفرد قوله: «واختص الأزرق عن ورش بإبدال الهمزة ياء في (لئلا) في البقرة والنساء والحديد...أن تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح...اختلف عن الأزرق عن ورش في كيفية تسهيلها فروى عنه بعضهم إبدالها ألفا خالصة وإذا أبدلها مد لالتقاء الساكنين مدا مشبعا»[4]، فـــــ "ابن الجزري" أيضا تطرق لهذا المصطلح وهذه الظاهرة.

---

[1] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص 31، 32.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، ص 270، 271.

[3] الداني:التيسير في القراءات السبع، ص 31،32 ..

[4] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج1، ص 397، 398.

ويؤكد "إبراهيم عبود السامرائي" أن هذا المصطلح استقر عند علماء التجويد والقراءات بقوله:«أما علماء التجويد والقراءات القرآنية فقد تابعوا علماء العربية في استخدام الألفاظ الدالة على ظاهرة الإبدال بالمفهوم الذي عندهم، فقد استخدم بعضهم لفظ القلب ومشتقاته للدلالة على ظاهرة الإبدال»[1].

إن مصطلح الإبدال من المصطلحات الدالة على ظاهرة صوتية، وهي إبدال حرف مكان حرف آخر، فقد تناوله القدامى في ثنايا كتبهم بالدرس والتعليل، وقد أطلقوا عليه تسميات نذكر مثلا لفظ القلب الذي استخدمه "سيبويه" وسار على نهجه كثير من العلماء.

[1] إبراهيم عبود السامرائي: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، ص 270، 271.

الإمالة:

الإمالة هي ظاهرة من الظواهر الصوتية المعروفة في اللغة العربية، وفي علم القراءات، وهي متفشية في كثير من اللهجات، فقد تعرض لها جل علماء العرب القدامى بتعريفاتهم وتنظيراتهم لها، وأعطوا أمثلة عنها إذ أشاروا إليها بأنها إمالة الألف نحو الباء والفتحة نحو الكسرة وفيما يلي تفصيل لذلك:

أ-مصطلح الإمالة في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" تحت مادة ميل: «المَيْلُ: مصدر مال يميل، وهو مائل، والميل: مصدر الأميل، ميل يميل ميلا وهو أميل»[1]، أما صاحب "لسان العرب" فقال: «الميل: العدول إلى الشيء والإقبال عليه، وكذلك الميلان، ومال الشيء يميل ميلا وممالا وميلا وتميالا»[2]، فهي الانحناء والانحراف عن المستقيم وباتجاه شيء آخر.

ذكر "الرسول صلى الله عليه وسلم "مصطلح الإمالة يقول "جلال الدين السيوطي": «عن صفوان بن عسال: أنه سمع رسول الله عليه وسلم يقرأ: ﴿يَا يَحْيَ﴾ [مريم:12] فقيل له: يا رسول الله تميل، وليس هي لغة قريش!! فقال:هي لغة الأخوال بني سعد»[3]؛ ندرك من القول السابق أن "الرسول صلى الله عليه وسلم" عرف الإمالة، وكان يطبق هذه الظاهرة الصوتية في قراءته، كما نسبها إلى "بني سعد"، وبهذا يكون المصطلح ظهر عند القارئ الأول للقرآن الكريم وهو "النبي صلى الله عليه وسلم".

ب-مصطلح الإمالة عند علماء اللغة القدامى:

ذكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي" مصطلح الإمالة فذكر ذلك "سيبويه": «وقال الخليل لو سميت رجلا بها وامرأة جازت فيها الإمالة»[4]، وذكر أيضا: «فزعم الخليل أن إجناح الألف أخف عليهم، يعني الإمالة»[5]؛ فمصطلح الإمالة من مصطلحات "الخليل" ذكره أثناء حديثه عن إمالة الألف وذكر سببها وهو للتخفيف، وقد تبعه في ذلك "سيبويه" فنجده يخصص لها بابا في كتابه تحت عنوان هذا باب ما تمال فيه الألفات حيث يقول:

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، ج4، مادة: [ميل]، ص 117.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج 6، مادة: [ميل]، ص 4309.

[3] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 585.

[4] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 135.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص 278.

«فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك في قولك: عابد، وعالم ومساجد ومفاتيح»[1]؛ فيجب أن تميل الألف إذا كان وراءها مباشرة حرف مكسور.

ويذكر أيضا سبب الإمالة: «وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها: أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي...إنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة»[2]، وهذا ما علَّق عليه "عبد العزيز الصيغ" بقوله: «فالإمالة ظاهرة صوتية، تعليلها عند سيبويه هو الاقتصاد في الجهد العضلي...وقوله مشابها بين الإمالة والإدغام»[3]؛ فالإدغام والإمالة ظاهرتان صوتيتان متشابهتان في الغرض منهما، وهو الاختزال في الجهد العضلي المبدول عند النطق.

وسار على نهج "الخليل" أيضا "المبرّد" فقد ذكر هو أيضا بابا للإمالة وعرفها بقوله: «وهو أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلة تدعو إليه...فمما يمال ما كان ألفه زائدة في فاعل، وذلك نحو قولك: رجل عابد، وعالم، وسالم، فإنما أملت الألف للكسرة اللازمة لما بعدها»[4]؛ فقد استعمل لفظ تنحو للدلالة على الإمالة وهي أن تميل بالألف اتجاه الياء إذا كان بعده حرف مكسور.

أما "ابن يعيش" فيقول عن الإمالة: «اعلم أن الإمالة مصدر أَمَلتُه أُمِيلُه إمالة والميل الانحراف عن القصد يقال منه مال الشيء ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء وكذلك الإمالة في العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة وبحسب بعده تكون خفتها»[5]؛ فالملاحظ على قول "ابن يعيش" أنه استخدم لفظ عدول وجنوح للدلالة على إمالة الألف من موضعه ومكانه إلى الياء فيتغير مخرجه ويصبح بين الألف المخفمة وبين مخرج الياء.

وأما عن حديثه عن أصل الإمالة فيقول: «والتفخيم هو الأصل والإمالة طارئة والذي يدل أن التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفخم وأيضا فإن التفخيم لا يحتاج إلى سبب والإمالة

[1] سيبويه: الكتاب، ج3، ص 117.
[2] المصدر نفسه، ص 117.
[3] عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 255.
[4] المبرد: المقتضب،ج2، ص 266.
[5] ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 53، 54.

تحتاج إلى سبب، والإمالة لغة بني تميم»[1]، فالتفخيم هو الأصل والإمالة فرع منه فكل مفخم ممال والعكس ليس صحيحا، والإمالة لها تكون بحجة وقد ذكر أنها لغة ولهجة "بني تميم".

ولم يخرج عن هذا "الأستراباذي": «الإمالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، ونسبها قصد المناسبة لكسرة أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة ياء مفتوحة، وللفواصل أو لإمالة قبلها على وجه...وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدهم حرصا عليها بنو تميم»[2]، فيشير إلى أنها الميل بالفتحة نحو الكسرة، ولها سبب أيضا، ويؤكد أنها لغة "بني تميم" لا أهل الحجاز وأن ليس كل العرب يميلون.

ويضيف "ابن الدهان" في مؤلفه "الفصول في العربية" دواعي الإمالة بقوله: «ولها دواع ست: الأولى أن تميلها لياء قبلها، نحو شَيْبَان وأَعَيَان أو بعدها: نحو آي ونبايع أو الكسرة، قبلها أو بعدها، نحو: شِمال وعالم، أو تنقلب عن ياء، نحو: ناب أو تشبه المنقلب، نحو: حُبلى، وما زاد على الثلاثة فصاعدا يُمال، انقلب عن الياء أو لم ينقلب، أو لأن ما قبل الألف قد يكسر في حال، نحو: خاف، أو إمالة لإمالة نحو: رأيتُ عمادا والفتحة كالألف نحو: النذر في الجر، وجعلوا تاء التأنيث بمنزلة الياء نحو: ضربة»[3].

كما ذكر تحت عنوان "موانع الإمالة": «الحروف التي تمنع الإمالة هي المستعلية، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء، إذا كُن قبل الألف مفتوحة أو مضمومة نحو: قاعدٍ وصاعدٍ وضامنٍ...وكذلك إن كنّ بعد الألف مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة، نحو: حاصل، وتعاقب، وفاقع فإن كن قبل الألف بحرف مكسورة لم تمنع الإمالة نحو: صِعِاب وقِفِاف»[4]؛ فحروف الاستعلاء إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وكان وراءها ألف، لا تجوز الإمالة فيها، وكذلك إذا كانت مكسورة أو مضمومة أو مفتوحة وقبلها ألف أيضا لا تجوز، لكن إذا كانت هذه الحروف-الاستعلاء ـــــــــ مكسورة وكان ما بعدها ألف جازت الإمالة، كما يذكر أنها لغة "بني تميم " في قوله: «الإمالة لغة بني تميم»[5]، وهو بهذا يتبع سابقيه في هذا الرأي.

[1] ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص 54.
[2] الأستربادي: شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص 04.
[3] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص 104.
[4] المصدر نفسه، ص 105.
[5] نفسه، ص 105.

ويستخدم هذا المصطلح أيضا "السيوطي" فيعرفها قائلا: «الإمالة هي أن تنحى الصوت جوازا بالألف»[1]، ويذكر أيضا: حكم الإمالة: «ثم الإمالة جائزة لا واجبة بالنظر إلى لسان العرب، لأن العرب مختلفون في ذلك، فمنهم من أمال وهم: تميم، وأسد، وقيس، ويمامة، أهل نجد، ومنهم من لم يمل إلا في مواضع قليلة وهم: أهل الحجاز»[2]؛ فحكم الإمالة هو الجواز وليس الوجوب لأنه هناك من يميل وهناك من لا يمل مثل "أهل الحجاز".

أما "جلال الدين السيوطي" فيتطرق هو الآخر إلى فائدتها وغرضها في الكلام فيقول: «وأما فائدتها فسهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل»[3]؛ فلما ينحدر اللسان تكون الإمالة، وهو أسهل من أن يرتفع فتكون هناك سهولة في نطق الكلمات والألفاظ.

ج- مصطلح الإمالة عند علماء القراءات والتجويد:

استخدم "ابن مجاهد" لفظ يميل للدلالة على الإمالة فقال في حديثه عن قراءة "نافع": «كان نافع لا ميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة مثل ﴿مِنَ النَّارِ﴾[البقرة:167] و﴿مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: 26] بل كان في ذلك كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح أقرب...وأما الكسائي فروى عنه أبو الحارث أنه لم يمل من ذلك شيئا إلا إذا تكررت الراء في موضع الخفض مثل: الأَشرار»[4]، فـــ "نافع" و " الكسائي" كانا لا يميلان الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة، وأما إذا تكررت الراء وكانت مجرورة فإن "الكسائي" يميلها.

وهذا المصطلح برز أيضا عند "مكي بن أبي طالب" فقال: «اعلم أن أصل الكلام كله الفتح والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلة، والدليل على ذلك أن جميع الكلام، الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخله إلا في بعضه، في بعض اللغات لعلة، فالأصل ما عم وهو الفتح، واعلم أن معنى الإمالة هو تقريب الألف نحو الياء والفتحة التي قبلها نحو الكسرة»[5]؛ فالفتح هو الأصل والإمالة فرع منه، وتكون في بعض اللغات هكذا عبر عنها "مكي" في قوله.

---

[1] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص 183.

[2] المصدر نفسه، ص 183، 184.

[3] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 591.

[4] ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، ص 147، 148.

[5] مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص 168.

أما عن أقسام الإمالة فيذكرها "ابن الجزري": «فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضا إلى قسمين إمالة شديدة وإمالة متوسطة وكلاهما جائز في القراءة جاز في لغة العرب»[1]؛ ومن القراء أيضا الذين لم يقرأوا بالإمالة يقول "صبري المتولي": «وينبغي أن يعلم أن القراء الكوفيين والبصريين هم الذين اختاروا الإمالة مذهبا باستثناء حفص عن عاصم الذي لم يقرأ بالإمالة»[2]؛ فـــ "حفص عن عاصم" لم يقرأ بالإمالة وهي ليست واجبة عليه أن يقرأ بها فهي عنده اختيارية

فالإمالة مصطلح صوتي قديم، ظهر عند أول قارئ للقرآن وهو "الرسول صلى الله عليه وسلم"، وهي ظاهرة منتشرة في اللهجات القديمة، وأول من ذكر الإمالة أيضا عند علماء اللغة القدامى هو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتبعه جل العلماء من بعده.

[1] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 30.

[2] صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، ص158.

الاختلاس:

الاختلاس ظاهرة صوتية نطقية وردت في الكتب التراثية سواء أكانت كتب اللغة، أو كتب القراءات والتجويد، فكيف عرفه علماؤنا العرب قديما؟ وهل هناك مصطلحات أخرى دللوا بها على هذا المصطلح، كما ورد أيضا في هذه المؤلفات أن هناك فرقا بين الروم والاختلاس، فما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟

أ-الاختلاس في المعاجم العربية:

جاء في معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي": «الخَلس والاختلاس: أخذ الشيء مكابرة: النُّهزة والاختلاس أوحاها وأخصها»[1]، وورد مصطلح الاختلاس أيضا في "لسان العرب" بالمعنى نفسه:«الخلس: الأخذ في نهزة ومخاتلة، خَلَسَهُ يَخلُسُه إياه فهو خالس وخلاّس...الجوهري: خلست الشيء واختلسته إذا استلبته، والتخالس: التسالب، والاختلاس كالخليس»[2]، وذُكر الاختلاس في معجم"الصحاح" بمعنى الاستلاب: «خلست الشيء واختلست الشيء وتخلسته، إذا استلبته والتخالس التسالب، والاسم الخُلسة بالضم، يقال: الفرصة خُلسة»[3]؛ فالاختلاس في اللغة يعني أخذ الشيء عنوة.

ب-الاختلاس عند علماء العرب القدامى:

تناول علماؤنا العرب القدامى مصطلح الاختلاس بالدراسة في ثنايا كتبهم، وأول من أورد تعريفا له هو "سيبويه" وذلك كالتالي: «وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك، يسرعون اللفظ»[4]، فهو الإسراع في النطق بالحركة حتى تكاد تختفي مثل اختلاس حركة حرف الراء في يضربها، واختلاس حركة حرف الميم في مأمنك، وهو عكس الإشباع الذي يكون بنطق الحركة كاملة.

ولم يخص "سيبويه" الاختلاس بباب وحده وإنما ذكره في "باب الإشباع في الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هي" والاختلاس عنده لا يكون في النصب والسبب كما قال: «ولا يكون هذا في النصب لأن

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج1، مادة: [خلس]، ص 431.
[2] ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة: [خلس]، ص 1226.
[3] الجوهري: الصحاح، مج3، مادة: [خلس]،ص 923.
[4] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 200.

الفتح أخف عليهم»[1]؛ فهو لا يكون في النصب لأن الفتحة حركة خفيفة فلا حاجة إلى اختلاسها، إذ يكون في الضمة والكسرة، وذلك لثقلهما على اللسان ولهذا يختلسان للتخفيف.

أما "المبرّد" فقد ذكر"الاختلاس" في باب "الإدغام" وذلك أثناء حديثه عما يدغم في المقاربة وما يجوز منه وما يمتنع حيث قال: «والإخفاء في وزن المتحرك، إلا أنه خفض صوت، وإنما يحكمها المشافهة نحو قولك: أراك مُتَعَقِّفًا إنما هو كالاختلاس»[2]؛ فالاختلاس يشبه الإخفاء إلى حد ما كونك لا تنطق بالحركة كاملة وإنما تسرع بها حتى تكاد تختفي، ويصف"ابن جني" الاختلاس بالحركة الضعيفة: «فأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة الهمزة بين بين غيرها من الحروف التي يراد اختلاس حركتها تخفيفا، فليست حركة مشمة شيئا من غيرها من الحركتين وإنما أُضعِف اعتمادها»[3]؛ والسبب في وصفه للاختلاس بالحركة الضعيفة هو أنه يؤتى بالحركة غير كاملة.

وقد ذهب "الفرخان" إلى أن هناك من العلماء من جعل الاختلاس بمعنى الإخفاء: «إلا أنهم اختلسوا الفتح العارض في مواضع، إشعارا بأنه ليس بأصل ودلالة على نقصه في مواضع، إذ هو يسمى الاختلاس والإخفاء، فمنهم من يجعلهما مترادفين على معنى واحد غير منقسم، ومنهم من قسم الخروج عن الحركة إلى السكون إلى قسمين، سماهما الاختلاس والإخفاء»[4]؛ وما قوله :إذ يسمى الاختلاس والإخفاء إلا دليل على أنه من يجلوهما بمعنى واحد وهناك من العلماء من فرق بينهما لكل واحد معناه، بعد هذا شرع في ذكر الأمثلة عن الاختلاس والإخفاء والذين يقابلهما الإشباع كما قال.

ومن هذه الأمثلة والتي جاءت في كتابه: المفتوح المختلس فيه الفتح الهاء، كما في قوله تعالى:﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي﴾[يونس: 35]، ومن المضموم الذي اختلست ضمته الراء في قوله عز من قائل:﴿يَنْصُرْكُمُ﴾[آل عمران: 160]، ومن المكسور الذي اختلست الكسرة فيه الراء، في قوله عز وجل:﴿أَرِنَا﴾[البقرة: 67]، ثم أشار إلى أن الاختلاس والإخفاء أكثر ما يكون في البناء والروم والإشمام أحسن ما يكونان في الإعراب[5].

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 200.
[2] المبرّد: المقتضب، ج1، ص 56.
[3] ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص 56.
[4] الفرخان: المستوفى النحو، ج2، ص 190.
[5] ينظر:المصدر نفسه، ج2، ص 190،192.

ج- مصطلح الاختلاس عند علماء القراءات والتجويد:

ومن علماء القراءات ممن عرفوا الاختلاس "الداني" في كتابه "التحديد" فقال فيه: «وأما المختلس حركته من الحروف فحقه أن يسرع اللفظ به إسراعا يظن السامع أن الحركة قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة إلا أنها تمطط ولا ترسل بها، فخفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها»[1]، ولم يختلف"الداني" عما ذكره"سيبويه" إلا أنه بين أكثر، إذ يذكر أن هذه الحركة في حقيقتها تكون تامة، فاختلاس الحركة عنده يكون بتسريع اللفظ بها بحيث لا يشعر السامع بهذه الحركة من قوة السرعة في النطق.

وهذا المعنى أيضا للاختلاس نجده في كتاب "التمهيد في علم التجويد لـــــ "ابن الجزري " والذي قال فيه: «وأما الاختلاس فهو عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعا يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن»[2]، وهذا القول في تعريف الاختلاس نجده عنده في كتاب "مرشد القارئ" لـــــ "ابن الطحان السماتي": «والاختلاس: عبارة عن الإسراع بالحركة يحكم السامع به أن الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن»[3]؛ فإن اختلفت العبارات في تعريف الاختلاس قليلا أو كثيرا فإن المعنى واحد، وهو كما حدده صاحبه الأول "سيبويه" الإسراع بالحركة.

أما "الحموي"في كتابه "القواعد والإشارات" فقد ذكر مصطلحا آخر مرادفا لمصطلح الاختلاس: «الاختلاس وهو الإسراع بالحركة ليحكم السامع بذهابها وهي كاملة الوزن والصفة...،الاختطاف وهو بمعناه»[4]؛ فهذا المصطلح إذا هو الاختطاف، ويذهب "ابن الجزري" في كتابه "النشر في القراءات العشر" أن هناك من يجعل الاختلاس والإخفاء بمعنى واحد فقال: «والاختلاس والإخفاء عندهم واحد ولذلك عبروا بكل منهما عن الآخر»[5]، وقد ذكره "المهدوي" في "شرح الهداية" بمعنى الإخفاء: «فأما من روى الاختلاس فمعناه: فمعناه: إخفاء الحركة أيضا استخفاف»، فسبب اللجوء إلى اختلاس الحركة هو التخفيف.

---

[1] الداني: التحديد، ص 95،96.

[2] ابن الجزري: التمهيد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـــ ـــــــــ2001م، ص 73.

[3] ابن الطحان السماتي: مرشد القارئ، ص 75.

[4] الحموي: القواعد والإشارات في أصول القراءات، ص52.

[5] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج2، ص 226.

قال "أبو شامة" في الاختلاس: «قال أبو علي الفارسي: وهذا الاختلاس وإذا كان الصوت فيه أضعف من التمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلس حركته برنة المتحرك»[1]، إذا حتى وإن نطقت و أخفيت الحركة في النطق فاختلسها فهي تبقى في الحقيقة على حالها أي متحركة.

ويكون الاختلاس في الحركات الثلاث وهذا ما قاله "المرعشي" في "جهد المقل": «والاختلاس يكون في الحركات الثلاث»[2]، أي في المفتوح والمجرور والمرفوع، وهذا عكس ما رأيناه في الروم الذي يكون في المجرور والمرفوع، وبخلاف الإشمام أيضا الذي يكون فقط في المرفوع.

لقد ذكر علماء التجويد والقراءات الفرق بين الاختلاس والروم وهو كما جاء في كتاب"المنح الفكرية" لـــــ"القاري" فيقول في الفرق بينهما: «الروم أخص من حيث أنه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقل من الذاهب والاختلاس أعم لكونه يتناول الحركات الثلاث كما في ﴿لَا يَهْدِي﴾[يونس:35]،و﴿نعِمَّا﴾[النساء: 58]و﴿وَيَأْمُرُكُمْ﴾[البقرة:67]، عند بعض القراء في الأمثلة الثلاث ولا يختص بالآخر لأنه محل الوقف، والثابت من الحركة أكبر من الذاهب وذلك أن يأتي بثلثيها، وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب القراءة»[3]، ويمكن تلخيص هذه الفروقات فيما يلي: الروم يكون في الوقف والاختلاس في الوصل، الحركة في الروم يكون الثابت منها أقل من الذاهب وفي الاختلاس العكس، والروم يكون في الرفع والجر والاختلاس في النصب في النصب والرفع والجر.

أما عن وجه الاتفاق بين الروم والاختلاس فقال: «اعلم أن الروم والاختلاس يشتركان في التبعيض»[4]؛ بمعنى تبعيض الحركة أي الإتيان ببعضها فقط وليست بها كلية، ولا يختلف المشتغلون بعلوم القرآن في أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما فهذه الأوجه السالفة الذكر نجدها عند "المرعشي": «الروم والاختلاس يشتركان في تبعيض الحركة إلا أن الثابت في الروم أقلها وفي الاختلاس ثلثها، وهذا لا يضبط إلا بالمشافهة، والروم يخص بالوقف بالآخر والاختلاس بالوصل، والروم لا يكون في الفتح عند القراء والاختلاس يكون في الحركات

[1] أبو شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص 326.
[2] المرعشي: جهد المقل، ص 278.
[3] ملا علي القاري: المنح الفكرية، ص 317،318.
[4] المصدر نفسه، ص 317.

الثلاث»[1]؛ فهذه الأوجه لا خلاف فيها ويحدد "المرعشي" أن الذاهب من الحركة في الاختلاس هو الثلث منها، ولا يمكن تحديد هذا إلا عن طريق مشافهة أهل الاختصاص في هذا المجال.

إن "سيبويه" هو صاحب مصطلح الاختلاس إذ هو عنده مقابل لمصطلح الإشباع، وهناك من جعل الاختلاس والإخفاء بمعنى واحد مثل "الفرخان" لأن كليهما إخفاء للحركة، وهناك من ذكر مصطلحا آخر للاختلاس وهو الاختطاف، أما عن تعريف الاختلاس فلا خلاف فيه إذ هو الإسراع بالحركة حتى يظن السامع بذهابها.

[1] المرعشي: جهد المقل، ص 278.

الوقف

اعتنى علماؤنا العرب القدامى بظاهرة الوقف عنابية شديدة وخاصة علماء التجويد والقراءات، إذ اهتموا ببيان كيفية الوقف على آيات كتاب الله عز وجل، فعرّفوا الوقف مبينين أنواعه وأقسامه المختلفة ومن هؤلاء العلماء "الداني" و"القرطبي" و"ابن الجزري" وغيرهم، ومن هنا يمكن التساؤل كيف عرفوا الوقف؟ وما هي أنواعه وأقسامه؟

أ-مصطلح الوقف في المعاجم العربية:

ورد في معجم "العين" لـ "الخليل" تحت مادة (وقف): «الوقف مصدر قولك: وَقَفْتُ الدّابّة وَوَقَفْتُ الكلمةَ وقفا، وهذا مجاوز، فإذا كان لازما قلت: وَقَفْتُ وقوفاً، فإذا وقَّفتَ الرَّجُلَ على كلمة قُلتَ: وقَّفته توقيفا...، والوَقْفُ: المسْك يجعل للأيدي، عَاجًا كان أو قَرْنًا مثل السوار، والجميع: الوُقُوف. »[1]، وجاء في "لسان العرب" لـ "ابن منظور": « الوقوف خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقْفًا ووُقوفًا، فهو واقِفٌ، والجمعُ وُقْفٌ ووُقُوفٌ، ويقال: وَقَفتِ الدابَّة تقف وقوفًا.» [2]،وقد قال "ابن فارس" في معجمه "مقاييس اللغة": « الواو والقاف والفاء: أصلٌ واحدٌ يدل على تمكثٍ في شيء ثم يقاس عليه. ومنه وَقَفْتُ أَقِفُ وقوفا. وَوَقَفتُ وقْفي.»[3]، ومنه فالوقف إذا ضد الحركة وهو الثبوت في المكان.

ب- مصطلح الوقف عند علماء اللغة القدامى:

تناول علماؤنا القدامى الوقف بالدراسة نظرا لأهمية الوقف على أواخر الكلم، والتي تتم بكيفيات عدة، وقد تحدث "سيبويه" (ت: 280هـ) عن الوقف مشيرا إلى أنواعه المختلفة وذلك تحت باب الوقف في أواخر الكلم، وقد قال فيه: «هذا باب الوقف في آخر الكلم المتحركة في الوصل التي لا تلحقها زيادة في الوقف، فأما المرفوع والمضموم فإنه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج4، مادة: [وقف]، ص393.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة: [وقف]، ص4898.

[3] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج6، مادة: [وقف]، ص135.

تروم التحريك وبالتضعيف.»[1]؛ فالوقف هو أن تقف على آخر الكلمة المتحركة وذلك إما بالإشمام أو بالإسكان أو بالروم* أو بالتضعيف، ثم شرع في تعريف كل من الأنواع الأربعة.

وقد قال في التضعيف: «وأما التضعيف فقولك: هذا خالدْش، وهو يجعلْش، وهذا فرجْش حدثنا بذلك الخليل عن العرب، ومن ثم قالتْ العرب في الشعر وفي القوافي سَبْسَبًّا يريد: السَّبسَبَ.»[2]؛ فالتضعيف هو أن تقف على آخر الكلمة بالتشديد، ثم ذكر نوعا آخر من الوقف وقد خصه بباب وحده فقال: «هذا باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهي الياءات وذلك قولك: هذا قاضْ، وهذا غَازْ.»[3]؛ والأصل في هذه الأمثلة: هذا قاضي، وهذا غازِي، فَحُذِفت الياء ثم سكن الحرف الذي قبلها، وهذا النوع من الوقف تختص به الأسماء المنتهية بالياء، إذ لا يوقف عليها إلا بهذا الوجه.

ونجد عالما آخر لم يختلف كثيرا عن "سيبويه" في الوقف وأنواعه وهو "الزبيدي" في كتابه "الواضح" تحت باب الوقف على أواخر الأسماء والأفعال المتحركة فقال: «اعلم أنك تقف على أربعة أوجه. إن جزمت فقلت: هذا خالدْ، وجاءني عامرْ، وإن شئت أشمت والإشمام أن تضم شفتيك بالرفع دون أن تنطق به، وإن شئت أشرت إلى التحريك دون أن تتمه فقلت: هذا خالدُ، وإن شئت شددت آخر الحرف فقلت: هذا خالدُّ، فإن كان ما قبل آخر الحرف ساكنا لم يُجِز ذلك التشديد كقولك: هذا عمرُو.»[4]؛ فأمّا قوله: إن شئت جزمت يدل على الإسكان، وقوله: وإن شئت أشرت إلى التحريك دون أن تتِمَّهُ فهو دلالة على الروم؛ لأن الروم هو الإتيان ببعض الحركة فلا تتمها في النطق، وأما التشديد فهو الذي اصطلح عليه "سيبويه" بالتضعيف بمعنى أن تقف على آخر الكلمة بالتشديد، بالإضافة إلى الإشمام وبذلك يكون للوقف عنده أربع حالات كما هو موضح، إلا أنه لم يذكر الحذف ضمن هذه الأنواع.

وقد ذكر "ابن الدهان" (ت: 569هـ) أن الوقف مقابل الابتداء فقال: «الابتداء لا يكون إلا بمتحرك والوقف لا يكون إلا على ساكن، فإنْ وَقَفْتَ على المرفوع والمجرور الصحيح المنون، حذفت حركة التنوين، وإن وقفت على المنصوب المنون أبدلت من التنوين ألفا تقول: هذا بكره ومررت ببكره ورأيت بكْرَا، ويجوز في الرفع إذا

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص168.

* الإسكان والروم والإشمام سيأتي بيانهم في كل مقالة على إحدى كأهم أنواع الوقف.

[2] المصدر نفسه، ص169.

[3] نفسه، ص183.

[4] الزبيدي: الواضح، ص303،302.

كان سكن ما قبل حرف الإعراب ولم يكن معتلا، النقل إن كان له نظير والإشمام والروم والإبدال من التنوين بالجر كالرفع إلا في الإشمام.»[1]؛ فالابتداء عنده لا يكون إلا بمتحرك كما أن الوقف لا يكون إلا على ساكن، وهذا ليس عنده فقط بل عند سائر علماء العرب، وأنواع الوقف عنده هي: الإسكان والنقل والإشمام والروم، إلا أنه لم يذكر ضمن هذه الأنواع الوقف بالتشديد، بل ذكر الوقف بالنقل وهو بمعنى نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الذي قبله.

أما "ابن الأنباري" (ت577هـ) فقد جعل للوقف خمسة أوجه فقال: «إن قال قائل: على كم وجها يكون الوقف؟ قيل: على خمسة أوجه: السكون وهو حذف التنوين، والإشمام وهو أن تضم شفتيك من غير صوت...، والروم وهو أن تشير إلى الحركة بصوت ضعيف...، والتشديد وهو أن تُشدّد الحرف الأخير نحو: عمرَّ، وهذا خالدَّ، والإتباع وهو أن تحرك ما قبل الحرف الأخير إذا كان ساكنا حركة الحرف الأخير في الرفع والجر نحو: هذا بَكُرْ، ومررت ببَكرْ.»[2]؛ وهذه الأوجه الخمسة هي: الإسكان والإشمام والروم والتشديد و الإتباع، وهذا النوع سماه "ابن الدهان" بالنقل لأنك وكما سبق القول تنقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف الساكن قبله إذ يشترط فيه أن يكون ما قبل الحرف الأخير ساكنا لا متحركاً.

أما "ابن الحاجب" فإنه يعرف الوقف بقوله: «الوقف: قطع الكلمة عما بعدها وفيه وجوه مختلفة في الحُسنِ والمحل، فالإسكان المجرد في المتحرك والروم في المتحرك وهو أن تأتي بالحركة خفية وهو في المفتوح قليل والإشمام في المضموم.»[3]، وشرح "رضي الدين الأستراباذي" قول "ابن الحاجب" في تعريفه للوقف: «أقول: قوله «قطع الكلمة عما بعدها» أي: أن تسكت على آخرها قاصدا لذلك مختارا، لجعلها آخر الكلام، سواء أكان بعدها كلمة أو كانت آخر الكلام.»[4]؛ بمعنى أنك قد تقف قبل انتهاء الكلام أو في آخره، إذ ليس شرطا أن يكون الوقف دائما عند انتهاء الكلام، وقوله: قاصدا لذلك يدل على أنه قصد من ذلك الوقف الاستراحة وقوله: مختارا؛ أي باختياره وليس مجبرا على الوقف فإن شاء أكمل الكلام وإن شاء توقف.

[1] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص87.

[2] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص412.

[3] رضي الدين الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص271.

[4] المصدر نفسه، ص271.

وممن عرّفوا الوقف أيضا "أبو حيان الأندلسي" (ت735هـ) في كتابه "ارتشاف الضرب من لسان العرب" وذلك بقوله: «الوقف قطع النطق عند إخراج اللفظة، وهو اختياري...، وغالبا ما تلزمه تغيرات إما في الحركة بحذف وهو السكون، أو بروم أو بإشمام...»[1]؛ فالوقف عنده لا يختلف عن معنى الوقف عند كل من "ابن الحاجب" و "الأستراباذي" فهو أن تقف على كلمة فينقطع النطق بها عما بعدها سواءً أكانت آخر ما يقال أم أنه لا يزال هناك كلام بعدها، وذلك بوجه من وجوه الوقف المعروفة وأشهرها الإسكان والروم والإشمام، والإسكان أكثرها استعمالا.

ج- مصطلح الوقف عند علماء القراءات والتجويد:

إن المشتغلين بالقرآن وعلومه قد أولوا عناية بالغة بظاهرة الوقف لما لها من أهمية كبيرة في كيفية الوقف على آيات القرآن الكريم، فهذا "الداني" يقول فيه: «اعلموا أن التجويد لا يتحصل لقراء القرآن إلا بمعرفة الوقف ومواضع القطع على الكلم، وما يتجنب من ذلك لبشاعته وقبحه،(.....)، فالوقف في كتاب الله عز وجل على أربعة أضرب: تام وكاف وحسن وقبيح.»[2]؛ فالوقف له أهمية كبيرة إذ لا يتحصل التجويد إلا بحسن معرفة القارئ لما يجوز أن يُوقف عليه وما لا يجوز فيه لما يؤدي إلى إحداث خلل في معاني الآيات، ولذلك جعل له القراء أقساما وهي الوقف التام والكافي والحسن والقبيح.

وقد شرح "الداني" هذه الأقسام في كتابه "التحديد" فقال في معنى الوقف الكافي: «هو الذي يُحْسِنُ الوقف عليه أيضا والابتداء بما بعده إلا أن الذي بعده متعلق به، وذلك نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [4: 23]، والابتداء بما بعده في الآية كلها.»[3]؛ فيجوز فيه أن تبدأ مباشرة بالكلمة التي تأتي بعد موضع الوقف دون الرجوع إليه مع أن كلاهما مرتبط ببعضه؛ وفي الوقف الحسن قال: «والحسنُ هو الذي يُحسن الوقف عليه ولا يُحْسَنُ الابتداء بما بعده، وذلك نحو الوقف على ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [1: 2]، و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [1: 3] وشبهه، وهو حسن لأن المراد مفهوم، والابتداء بما بعده قبيح لأنه مجرور ويسمى هذا الضرب صالحا

[1] أبو حيان الأندلسي: إرتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1418هـ-1998م، ص798.

[2] الداني: التحديد، ص174.

[3] المصدر نفسه، ص174.

أيضا.»[1]؛ وبهذا يمكننا في الوقف الحسن أن نقف عند الآية دون أن يُحسن الابتداء بما بعدها، وقد جعلوه حسنا لتمام المعنى وبذلك حَسُن الوقف على الآية لتمام معناها.

وأما التام فقال فيه: «فالتام هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده ولا ما بعده به....، وأكثر ما يكون في رؤوس الآي.»[2]؛ فالوقف التام إذا يكون في رؤوس الآي لاستقلال كل آية عن الأخرى، وأما الوقف القبيح فقد قال فيه: «والقراء ينهون عن الوقف على هذا الضرب وينكرونه، ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه وعلى ما أشبهه من الوقف القبيح والبَشيعِ أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده.»[3]؛ فهذا القسم من الوقف ممنوع بين القراء، ولكنه مستحب إذا اضطُر القارئ لذلك لانقطاع نفسه ولكن لا يبتدئ مباشرة بما بعده وإنما يعود إلى موضوع الوقف فيبتدئ به ثم يكمل قراءته.

أما "ابن الجزري" يذكر هذه الأقسام في كتابه "التمهيد" فيقول: «اعلم أن علماءنا اختلفوا في أقسام الوقف، والمختار منه بيان أربعة أقسام: تام مختار، وكافٍ جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك.»[4]؛ فهذه الأقسام الأربعة هي المشهورة بين علماء القراءة وقد عرفه "القرطبي" (ت:461هـ) من غير أن يذكر هذه الأقسام وذلك في كتابه "الموضح في التجويد" فقال في تعريفه للوقف: «إن الوقف ضد الوصل وموضع الراحة، ولأن معنى الوقف أن يوقف عن الحركة.»[5]؛ بمعنى أنك تقف على الآية وذلك للراحة بأن تسكن آخر الكلمة، قد قسمه إلى الوقف بالإسكان وبالروم وبالإشمام.

وقد عرفه "الأشموني" في كتابه "منار الهدى في بيان الوقف والابتدا" بقوله: «وهو لغة الكف عن الفعل والقول، واصطلاحا قطع آخر الكلمة زمنا ما، أو هو قطع الكلمة عما بعدها.»[6]؛ أي الوقف على الكلمة مدة من الزمن وللاستراحة كما سبق القول وذلك بقطعها عما بعدها من الكلم، ونجد "القاري" يورد تعريفا له فيقول: «قال ابن المصنف: سمي في الاصطلاح وفقا لأنه وقف عن الحركة أي تركها.»[7] ؛ فإذا كان الوقف عند "الأشموني"

---

[1] الداني: التحديد، ص174.

[2] المصدر نفسه، 174.

[3] نفسه، 175.

[4] ابن الجزري: التمهيد في علم التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، ص177.

[5] القرطبي: الموضح في التجويد، ص206.

[6] الأشموني: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1393هـ-1973م، ص8.

[7] ملا علي القاري: المنح الفكرية، ص245.

قطع الكلمة عما بعدها فإنه عند "القاري" وقف عن الحركة، ومن هذين التعريفين يمكن القول أن الوقف هو: قطع الكلمة عما بعدها مع حذف حركتها فتقف عليها إما بالإسكان وهو الأشهر والأكثر استعمالا لخفته وإما بروم أو بإشمام.

ويذكر "القاري" كيفيات الوقف ويمكن أن نفصل فيها وذلك كالآتي: الوقف الاختياري: وهو أن يقصد لذاته من غير عروض سبب في جهاته؛ أي من دون أن يكون هناك سبب ما يُحتِّم على القارئ الوقف، والثاني: وهو الوقف الاضطراري: وهو ما يعرض بسبب ضيق النفس أو نسيان لما بعده من كلمات، والثالث: الاختباري: وهو ما يمنحه الأستاذ بقوله: كيف تقف على هذا بعينه؟ لعلم مهاراته في وجوه القراءة،[1] فالأول تقف عليه اختيارا وأما الثاني فأنت مضطر إليه بسبب عارض وأما الاختباري فيمنح من طرف الأستاذ ليختبر مدى علم الطالب ومعرفته بالوقف.

إن الوقف عند القراء أبْيَن منه عند علماء اللغة، وذلك لعنايتهم بكيفية الوقف على آيات القرآن الكريم وما يجوز فيها وما يستحسن وما يقبح، ويكون الوقف غالبا بالسكون .وأنواع الوقف هي الإسكان والروم والإشمام والتضعيف وإن كان فيها اختلاف؛ فهناك من يضيف الحذف والنقل، وأول من تحدث عن الوقف وأنواعه "سيبويه" أما علماء التجويد فقد أضافوا على هذه الأنواع أقساما له وهي أربعة: الوقف التام والحسن والكافي والقبيح وهي الأشهر، وهناك من جعل له أقساما أخرى وهي الوقف الاختياري والاضطراري والاختباري.

[1]- ينظر: ملا علي القاري: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ص263، 264.

الروم

يكون الوقف على آخر الكلمة بحالات كثيرة، ومن هذه الحالات الروم، وهو ظاهرة صوتية معروفة بين علماء العرب القدامى وخاصة علماء التجويد والقراءات، وذلك لما لها من دور مهم في الوقف على آيات القرآن الكريم، فما هو الروم على حسب ما جاء في مؤلفات القدامى؟ وإذا كان الروم حالة من حالات الوقف فالإشمام أيضا هو وجه آخر من وجوهه، فما هو الفرق بينهما؟

أ-مصطلح الروم في المعاجم العربية:

عرف "الخليل بن أحمد الفراهيدي" مصطلح الروم في معجمه "العين" كالتالي: «الروم: طلب الشيء والمرام المطلب، ورام، يروم روما.»[1]،كما عرفه "الجوهري" في معجم "الصحاح" بالمعنى نفسه: «رميت الشيء أرومه روما، إذا طلبته، وروم الحركة الذي ذكره سيبويه، هي حركة مختلسة مخفاة لضرب من التخفيف.»[2]، وهذا لا يختلف عما جاء في "لسان العرب" لـــــــــ " ابن منظور": «رام الشيء يرُومهُ رَومًا ومَرَامًا: طلبه، ومنه روم الحركة في الوقف على المرفوع والمجرور.»[3]؛ فالروم في اللغة على حسب ما جاء في هذه المعاجم هو الطلب فإذا رُمْتَ الشيء فأنت تطلبه، ولم يَكْتَفِ علماء المعاجم بتعريفه لغة فقط بل عرفوا أيضا روم الحركة وسيأتي بيانه فيما يلي:

ب-مصطلح الروم عند علماء العرب القدامى:

إن من الذين اعتنوا بظاهرة الروم الصوتية العالم اللغوي المعروف بإنجازاته الصوتية "سيبويه" وعرفه كالآتي: «وأما الذين راموا الحركة فإنهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه إسكان على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال، وذلك أراد الذين أشموا؛ إلا أن هؤلاء أشد توكيدا»[4]؛ فروم الحركة إذا هو أن تخرج الكلمة من حال السكون إلى الحركة، ولكن لا تنطق

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [روم]، ص164.

[2] الجوهري: الصحاح، مج5، مادة: [روم]، ص1938.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة: [روم]، ص1782.

[4] سيبويه: الكتاب، ج4، ص168.

بها كاملة وإنما تأتي ببعضها فقط، وكما جعل للإشمام علامة يُعرف بها فللروم علامة أيضا: «ولروم الحركة خط بين يدي الحرف.»[1]؛ إذا فالخط هو علامة الروم.

وأعطى أمثلة عن الروم فقال: «وأما الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا: هذا عُمَرْ، وهذا أحمدْ، كأنه يريد رفع لسانه.»[2]؛ فلا تقف على «عمرْ» و«أحمدْ» بسكون خالص في حالة الروم بل تلفظ بحركة ضعيفة وهي حركة الحرف الموقوف عليه، ويكون الروم عند "سيبويه" في الحركات الثلاث النصب والرفع والجر.

أما "الزمخشري" فقد عرف الروم مَحَدِّدًا علامته كما هي عند "سيبويه" فقال فيه: «الروم هو أن تروم التحريك والتَّضْعِيف، ولها في الخط علامات فللإسكان الخاء....، وللروم خط.»[3]، وقال فيه أنه يقع في: «المجرور والمرفوع والمنصوب غير المنون والمنون يبدل من تنوينه ألفا في المنصوب كقولك: رَأَيْتُ فَرَجًا وزيدًا وكساءً وقاضيا.»[4]؛ بمعنى أنه يكون في الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة.)، ويشترط في المفتوح المنون أن يحذف التنوين ثم يبدل ألفا فنقول: فَرجَا وزَيْدَا وكساءَ.

وعرفه "ابن عقيل" تعريفا أوضح من التعريفين السابقين: «والروم إخفاء الصوت بالحركة، قاله المضف وقريب منه قول غيره تَضْعِيفُ الصوت بالحركة فتكون حال الحرف متوسطة بين الحركة والسكون...، فيكون في الحركات كلها.»[5] ؛ أي أنه في الروم يؤتى بحركة ضعيفة لا هي بالساكنة ولا بالحركة الكاملة فهي بين بين ويكون في المنصوب والمجرور والمضموم، وهذا المعنى أيضا نجده عند "جلال الدين السيوطي" في كتابه "همع الهوامع" فيقول فيه: «هو ضعف الصوت بالحركة من غير سكون، فتكون حالة متوسطة بين الحركة والسكون، وتكون في الحركات كلها، في المرفوع كان منونا أو غير منون وهو كجزء من الضمة، وفي المنصوب غير المنون، وفي المفتوح وفي المجرور بالكسرة...، ويحتاج في المنصوب إلى رياضة لخفة الفتحة وتناول اللسان لها بسرعة.»[6]؛ ويصف الروم هنا بأنه حركة ضعيفة لأنها متوسطة بين الحركة والسكون، وكما سبق القول أنه تكون في الحركات الثلاث، إلا أنه في الفتحة يحتاج إلى تدريب بسبب خفتها على اللسان.

---

[1] المصدر نفسه، ص169.

[2] سيبويه: الكتاب، ج4، ص169.

[3] الزمخشري: المفصل، ص338.

[4] المصدر نفسه، ص338.

[5] ابن عقيل: المساعد، ج4، ص313.

[6] جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص207.

ولا يختلف كل من "ابن عقيل" و"جلال الدين السيوطي" في تعريفهم للروم من تعريف "ابن السراج" الذي قال: «وروم الحركة صوت ضعيف ناقص، فكأنك تروم ذلك ولا تتمه.»[1]؛ وسبب ضعف الحركة في الروم هو أنه لا ينطق بها كاملة تامة وإنما هي ناقصة كونها لا يُؤْتَى بها كلها، وهذا التعريف للروم يقترب من تعريف "ابن يعيش" له: «وأما الروم فصوت ضعيف كأنك تروم الحركة ولا تتمها وتختلسها اختلاسا، وذلك مما يدركه الأعمى والبصير، لأن فيه صوتا يكاد الحرف يكون به متحركا.»[2]؛ ومعنى أنك تختلسها أن تسرع في النطق بالحركة، والروم ولكونه صوتا وليس إيماءٌ بالشفتين كما هو الحال في الإشمام فيدركه العمى والبصير، عكس الإشمام الذي يدركه البصير دون الأعمى؛ لأنه يحتاج في ذلك إلى البصر لا إلى السمع.

ويشرح "العكبري" وضعية الشفتين في الروم فيقول: «وأما الروم فهو أن يضم شفتيه في الرفع بعض الضم، ويكسر في الجر بعض الكسر فيضعف الصوت بها، وهذا يدركه السمع، ويسمى: روما لأن الروم الإرادة، فكأنه أراد الحركة تامة و لم يأت بها وبقي على إرادتها.»[3]؛ فحالة الشفتين عنده هي التي تعمل على إضعاف الصوت ففي الضم تضم الشفتين قليلا، وفي الجر تكسرهما فيضعف الصوت عند ذلك، وهو ليس كمن سبق ذكرهم من العلماء في إجازتهم للروم في الجر والنصب والرفع، إنما يجيزه في حالتي الرفع والجر.

ج- مصطلح الروم عند علماء التجويد والقراءات:

نجد علماء التجويد والقراءات قد تناولوا الروم لما له من أهمية في تجويد القرآن الكريم، فهذا "الداني" قال فيه: «وأما المرام حركته من الحروف عند الوقف أو في حال الوصل فحقه أن يُضَعَّفَ الصوت بحركة أي حركةٍ كانت، ولا يتم النطق بها، فيذهب بذلك معظمها ويُسمع لها صويتٌ خفي، يدركه الأعمى بحاسة سمعه وهو مع ذلك في الوزن محرَّك.»[4]، فالروم عنده يكون في الحالتين الوصل والوقف، وسمى "الداني" صوت الروم الضعيف بالصويت وهو تصغير للصوت للدلالة على الإتيان ببعض الحركة والتي بها يُضْعَفُ الصوت، وقوله في أي حركة كانت دليل على أنه يجيزه في النصب والجر والرفع.

[1] ابن السراج: الأصول في النحو، ج2، ص372.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، ج3، ص67.

[3] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص198.

[4] الداني: التحديد، ص96.

ويقول "المرعشي" في الروم: «الروم إتيان ببعض الحركة بصوت خفي وكأنه يَضْعُفُ صوتها لقصر زمانها فيسمعها القريب المصغي، دون البعيد والقريب غير المصغي»[1]؛ إذ يشترط في إدراك الروم حسن الإصغاء والاستماع كونها تمتاز أثناء رومها بالخفاء والضعف ولذلك لا يسمعها البعيد وحتى القريب الشارد الذهن، وهذا ما ذهب إليه "عبد الدائم الأزهري": «الروم هو الإتيان ببعض الحركة، فقيل ثلثها وقيل غيرُ ذلك وقيل: الحركة لا تتبعض والصحيح أنها تتبعض، فكذا عرفه الناظم بأنه الإتيان ببعض الحركة وقد ضعفت لقصر زمانها، وعرفه غيره بأنه صوت غير تام يسمعه القريب المصغي دون البعيد فإنه لا يسمعه غالبا»[2]، ومن قوله هذا يتبين أن هناك من نفى التبعيض عن الحركة ولكنها عنده تقبل ذلك.

ولا يناقض ما جاء به "عبد الدائم الأزهري" ما أورده "السيوطي" في "الإتقان في علوم القرآن" عن الروم: «وأما الروم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها...، ويختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور؛ بخلاف المفتوح لأن الفتحة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها.»[3]؛ وحتى إن اختلفت ألفاظ القراء للدلالة على أن الحركة في الروم غير تامة فإن مقصودها واضح وهو عدم التلفظ بالحركة كاملة، والسبب في إخراجهم المفتوح من الروم لخفة الفتحة وبهذا فهي لا تقبل التبعيض.

ويذكر "المهدوي" نقطة اختلاف القراء والنحويين في الروم فبدأ بتعريفه أولا ثم أشار إلى هذه النقطة: «فمعنى الروم إضعاف الصوت بالحركة وذهاب معظمها، والنطق ببعضها فهو يسمع ويستوي فيه الأعمى والبصير وهو يقع في المرفوع والمخفوض عند القراء، ويقع في المفتوح عند النحويين.»[4]؛ أي أن هذا الفرق بينهما هو أن النحويين يجعلون الروم في المفتوح والمجرور والمرفوع، أما القراء فقد جعلوه في المجرور والمرفوع دون المفتوح، والسبب كما وسبق الإشارة إليه خفة الفتحة.

أما "أبو شامة" فإنه يشير إلى أن الكوفيين يذهبون مذهبا آخر في الروم: «الكوفيون يلقبون ما سميناه روما إشماما وما سميناه إشماما روما»[5]؛ فالروم عندهم إذا هو الإشارة بالشفتين إلى الضمة، والإشمام الإتيان

[1] المرعشي: جهد المقل، ص277.

[2] عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، ص151.

[3] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مج1، ص249.

[4] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص70،71.

[5] أبو شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص267.

ببعض الحركة، وبهذا فهم يختلفون عمن سبق ذكرهم من العلماء والذين يرون العكس، ولا يختلف "أبو شامة" عن باقي القراء في الروم إلى أنه يكون في حالتي الرفع والجر فهما يقبلان التبعيض لثقلهما، أما الفتحة فهي لا تقبل ذلك لخفتها وسهولة نطقها على اللسان، فإذا خرج بعضها خرج سائرها، فهذا مذهب جميع القراء بخلاف علماء اللغة.

ولا يختلف "ابن أبي مريم" عما سبق ذكره من تعريفات الروم: «الروم هو أن تتبع الحرف بعد إسكانه صوتا ضعيفا يسمع فهو كحركة ضعيفة من غير إشباع، وفيه حظٌ للأعمى لأنه مدرك بحاسة السمع، وعلامة الروم في الكتابة خظٌ بين يدي الحرف (–)، وأرادوا بهذا الخط المدة، لأن الروم صوت فهو أزيد من التَّهَيُؤ للصوت، ولذلك زادوا على النقطة حتى جعلوها خطًا»[1]؛ فبعد أن تسكن الحرف تأتي ببعض حركته، وجعلوا علامته خطًا بين يدي الحرف، فهم يشيرون به إلى مدة الحركة لأن الروم ليس مجرد إشارة بالشفتين إنا هو صوت ولذلك دلّوا عليه بالخط، أما الإشمام فعلامته النقطة لأنه مجرد تهيئة للشفتين بضمهما إشارة إلى الضمة من غير صوت.

إن "سيبويه"هو أول من أشار إلى هذه الظاهرة ألا وهي ظاهرة الروم،كما أنه هناك اختلاف بين الروم والإشمام ومما سبق نستطيع أن نستشف هذه الفروقات وهي كالآتي: الروم يستوي فيه الأعمى والبصير فهو يسمع ويُرى، أما **الإشمام** فهو للبصير دون العمى، إذ لاحظ للسمع فيه، والروم هو صوت يسمع بينما الإشمام فهو إيماء بالشفتين للضمة، والروم يكون في الرفع والجر عند القراء وفي النصب أيضا عند علماء اللغة، والإشمام يكون في الرفع فقط، والروم صويت والإشمام إيماء بالشفتين، والروم حركة ضعيفة اكتسبت هذا الضعف من كونها بين بين؛ فهي بين الحركة والسكون، وذهب علماء اللغة إلى جوازه في الحركات الثلاث غير أن "العكبري" ذهب جوازه في حالتي الرفع والجر فقط لثقلهما، أما المفتوح فلا روم فيه بسبب خفة الفتحة على اللسان وهو رأي القراء أيضا.

[1] ابن أبي مريم: الموضح في وجود القراءات وعللها، ج2، ص216.

الإشمام

الإشمام ظاهرة صوتية معروفة لدى العرب، وتعد الشفتان آلة له فبهما تتبين هذه الظاهرة، و لم تخلُ كتب علماء اللغة والتجويد والقراءات من هذه الظاهرة، ويعد حاله من حالات الوقف المعروفة، وقد درسوه دراسة وافية وأشاروا إلى أنه ترى بالعين لا صوت فيها، إذ هو مجرد إيماء بالشفتين للدلالة على وجوده في الكلمة.

أ-مصطلح الإشمام في المعاجم:

ورد في معجم "العين" لـــــ "الخليل بن احمد الفراهيدي": «(...)وفي قولك شامت العدو، يعني الدنو من العدو حتى يروك وتراهم، والشَّمَمُ: الدنو اسم منه، نقول شَامَمْنَاهم، والإشمام: أن تشم الحرف الساكن حرفا، كقولك في الضمة، هذا العَمَل، وتَسْكُتَ فتجد في فيك شماما للاَّم لم يبلغ أن يكون واوا، ولا تحريكا يعتد به، ولكن من ضمة خفيفة، ويجوز ذلك في الفتح والكسر أيضا»[1].

وجاء في "معجم الصحاح" لـــــ "الجوهري": «شممت الشيء أَشُمُّهُ شَمًّا وشَمِيمًا، وشَمَمْتُ بالفتح أشُمُّ لُغَةٌ....، والشّمَمُ: ارتفاعٌ في قصبة الأنف مع استواءِ أعلاه، ورجلٌ أَشَمُّ أي طويل الرأس بين الشمم فيهما، أبو عمرو، أَشَمَّ الرجل يُشِمُّ إشماما وهو أن يمر رافعا رأسه...، وإشمام الحرف أن تشمه الضمة أو الكسرة وهو أقل من روم الحركة، لأنه لا يسمع وإنما يتبين بحركة الشفة.»[2]، لم يكتف علماء المعاجم بالتطرق للتعريف اللغوي والذي يعني الاقتراب أو الارتفاع الذي في أعلى الأنف إذ عرفوه اصطلاحا أيضا والذي هو إشمام الحرف.

ب- مصطلح الإشمام عند علماء العرب القدامى:

لقد تناول علماء العرب القدامى هذه الظاهرة بالدراسة، وأول من ذكر هذا المصطلح هو "الخليل بن احمد الفراهيدي" وذلك في معجمه "العين"، وهذا عكس ما قال به البعض أنه لـــــــــ "سيبويه"، وسبق وأشرنا إلى تعريف "الخليل" للإشمام إذ قال فيه: «والإشمام أن تشم الحرف الساكن حرفا، كقولك في الضمة، هذا العَمَل، وتسكت، فتجد في فيك إشماما للام لم يبلغ أن يكون واوا، ولا تحريكا يعيد به ولكن شمة من ضمة خفيفة، ويجوز ذلك في الكسر والفتح أيضا.»[3]، فهو إيماء بالفم (الشفتين)، فقوله في المثال: هذا العَمَلُ فأنت

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [شمم]، ص357.

[2] الجوهري: الصحاح، ج3، مادة: [شمم]، ص1961.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، عبد الحميد هنداوي، ج2، مادة: [شمم]، ص357.

إذا أردت إشمام اللام فإنك لا تنطق بالضمة وإنما تشير إليها بشفتيك فقط، ويذهب إلى أن الإشمام يكون في الكسر والفتح أيضا، وليس في حالة الضم فقط.

أما تلميذه "سيبويه" فإنه شرح وبسط أكثر في موضوع الإشمام فقال فيه: «فأما الذين أشموا فأرادوا أن يفرقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل، وبين ما يلزمه الإسكان على كل حال»[1]؛ بمعنى أنهم أرادوا أن يبينوا ما يجب فيه الوصل في الكلام، فما يجوز أن تقف عليه بالسكون، ويكون الإشمام في الوقف لا الوصل، ثم أشار إلى الحالات التي يلزمها الإشمام: «وإنما كان في الرفع لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك، لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن، ألا ترى أنك لو قلت هذا مَعْنْف أشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تُشمم، فأنت قد تقدر أن تضع لسانك موضع الحرف قبل أن تُزْجِيهِ الصوت ثم تضم شفتيك»[2]؛ فالإشمام إذا هو أن تضم شفتيك عند الوقف على الكلمة المرفوعة بالضمة وكأنك في مقام النطق بحرف الواو، ولكن إشارة فقط ودون صوت، فتضع لسانك على مخرج الحرف ثم تشير بشفتيك إلى الضمة.

والإشمام وبما أنه إيماء بالشفتين إلى الضم فهو يرى بالعين ولا يسمع لأنه ليس بصوت ويكون في الرفع فقط عند "سيبويه" وليس كما ذكر "الخليل" أنه يكون في الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة)، وجعل "سيبويه" علامةً لمعرفة الإشمام وهي كما حددها: «وللإشمام نقطة»[3]، ثم أورد أمثلة عنه: «فللإشمام قولك: هذا خالدْ، وهذا فرجْ، وهو يجعلْ»[4]؛ فعندما تُشِمُّ (الدال والجيم واللام) فإنك تشير إلى ذلك بضم شفتيك.

أما العلماء ممن جاؤوا بعد "الخليل" و"سيبويه"، فإنهم على تعريف هذا الأخير له، فهذا "الزمخشري" يعرفه كالآتي: «والإشمام وهم ضم الشفتين بعد الإسكان(...)، والإشمام مختص بالمرفوع.»[5]؛ وهذا بالضبط ما ذكره "الأشموني" في "شرح الألفية": «والإشمام هو ضم الشفتين بعد الإسكان في المرفوع والمضموم، للإشارة إلى الحركة من غير صوت، والغرض به الفرق بين الساكن والمسكن في الوقف وعلامته نقطة قدام الحرف

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص169.

[2] المصدر نفسه، ص169.

[3] نفسه، ص169.

[4] نفسه، ص169.

[5] الزمخشري: المفصل، ص338.

هكذا (...)»[1]؛ إذا فأنت تشير إلى الضمة من غير أن تصدر صوتا، فتضم شفتيك وفقط كما وسبق القول وتختص هذه الظاهرة بالمرفوع المنتهي بضمة دون المنصوب والمجرور، والغرض منه هو أن تبين الفرق بين ما هو ساكن في الأصل وبين ما سكنته عمدا للوقف.

ويذكر "ابن السراج" سبب اختصاص الإشمام بالمرفوع دون المنصوب والمجرور بقوله: «فالإشمام لا يكون إلا في المرفوع خاصة، لأنك تقدر أن تضع لسانك في أي موضع شئت ثم تضم شفتيك، وإشمامك للرفع إنما هو للرؤية وليس بصوت يسمع، فإذا قلت «هَذَا مَعْنُ» فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تُشِم وإنما هو أن تضم شفتيك بغير تصويت.»[2]؛ فالسبب إذا في اختصاصه بالمرفوع هو أنك إذا أردت الإشمام في الوقف وضعت لسانك في مخرج الحرف، ثم ضممت شفتيك لتدل عليه من غير إحداث صوت.

ونجد "ابن يعيش" في كتابه "شرح المفصل" يبين أكثر في الهيئة التي تكون عليها الشفتان في الإشمام: «وأما الإشمام فهو تهيئة العضو للنطق بالضم من غير تصويت، وذلك بأن تضم شفتيك بعد الإسكان وتدع بينهما بعض الانفراج منه النفس، فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أننا أردنا بضمهما الحركة فهو شيء يخص العين دون الأذن، وذلك إنما يدركه البصير دون لأنه ليس بصوت يسمع، وإنما هو بمنزله تحريك العضو من جسدك»[3]؛ فالشفتين لا تكونان مضمومتين على الآخِرِ حتى يُمْنَعَ النَّفسُ من أن يجري خلالهما، وإنما تضمهما مع ترك فراغ بينهما لِيَمُرّ النَفس من خلاله حتى يراهما المخاطب، فيعلم أننا أردنا بذلك الإشمام.

ثم أشار إلى سبب عدم جواز الإشمام في المنصوب والمجرور وهو أن: «الكسرة من مخرج الياء ومخرج الياء داخل الفم من ظهر اللسان إلى ما حاذاه من الحنك من غير إطباق بانفراج الحنك عن ظهر اللسان، ولأجل تلك الفجوة لاَنَ صَوْتُها وذلك أمر باطن لا يظهر للعيان، وكذلك الفتح لأنه من اللف واللف من الحلق فما للإشمام إليها من سبيل.»[4]؛ فسبب عدم إشمامه الكسرة هو أنها من الياء والياء صوت لين فلا تحتاج إلى إشمامها، أما الفتحة فلأنها من الألف والألف حلقية لا عمل للشفتين فيها إذا فلا يمكن إشمامها، لأن الإشمام إنما يكون بالشفتين.

[1] الأشموني: شرح الأشموني على الألفية، ج3، ص752.

[2] ابن السراج، الأصول في النحو، ج2، ص372.

[3] ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص67.

[4] المصدر نفسه، ص67.

وقال أيضا أن الكوفيين ذهبوا إلى «جواز الإشمام في المجرور قالوا لأن الكسرة تكسر الشفتين كما أن الضمة تضُمُّهُمَا»[1]؛ وحجتهم في ذلك أن الكسرة تعمل على كسر الشفتين، إذا فهما تعملان فيها عملهما في المضموم، فيمكن للناطق أن يشير بشفتيه إلى الكسرة، وذلك بكسرهما.

أما "ابن الدهان" فقد ذكر مصطلح الإشمام ولكن من غير أن يورد تعريفا له[2]، بينما عرفه "جلال الدين السيوطي" بأنه: «الإشارة إلى الحركة دون صوت، فهو لا يدرك إلا بالرؤية وليس للسمع فيه حظ، ولذلك لا يدركه الأعمى ويدركه بالتعلم بأن يضم شفتيه إذا وقف على الحرف...، وذكر النحويون أن الإشمام مختص بالضمة، سواءً كانت إعرابا أم بناءً قالوا: ولا يكون في المنصوب والمجرور لأن الفتحة من الحلق والكسرة من وسط الفم، ولا تمكن الإشارة لوضعهما فالإشمام في النصب والجر لأنه لا آلة لهُ»[3]؛ فهو إذا على تعريف "سيبويه" للإشمام، إذ تشير إلى الضمة بشفتيك بأن تضمهما، ولهذا السبب لا يمكن للأعمى أن يدركه، ولكنه يمكن أن يتعلمه وذلك بالتدرب، أما عن سبب عدم وقوعه في المجرور والمنصوب هو أنه وكما سبق القول أن الياء من داخل الفم، والألف من الحلق فلا سبيل إلى إشماهمها.

ولا يختلف "العكبري" عمن سبق ذكرهم في تعريف الإشمام: «وأما الإشمام فهو أن يشير بشفتيه إلى الضم دون الكسر والفتح، وهذا يدرك بالبصر دون السمع، ويسمى روما عند قوم»[4]؛ فالإشمام إذا عند بعض العلماء يسمى الروم، ومما تجدر الإشارة إليه أن الروم هو غير الإشمام، أما بالنسبة لتعريفه للإشمام فهو كما حدده "سيبويه"، وممن سار على نهجه أيضا "ابن عقيل" في "المساعد على تسهيل الفوائد": «أو أشير إليها دون صوت، إن كانت ضمة وهو الإشمام ولا يدركه العمى، لأنه ليس للسمع حظ فيه، وإنما يعرفه بالتعليم فيقال: أن تضم شفتيك إذا وقفت.» [5] ؛ فلاحظ للصوت في الإشمام لأنه مجرد إشارة بالشفتين إلى حركة الضمة ولذلك لا يدركه الأعمى، وهذا التعريف أيضا نجده عند "أبي حيان الأندلسي": «ويجوز في المضموم الإشمام وهو الإشارة بضم الشفتين إلى الحركة المحذوفة من غير صوت» [6] .

وقد ذكر "الفرخان" أن للإشمام خمسة أنواع وهي كالتالي:

---

[1]- ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص67.

[2]- ينظر: ابن الدهان: الفصول في العربية، ص87.

[3]- جلال الدين السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص208.

[4]- العكبري: اللباب، ص197.

[5]- ابن عقيل: المساعد على تسهيل الفوائد، ج4، ص313.

[6]- أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج1، ص808، 809.

الأول: إشمام الحرف حرفا آخر لكن شرط أن يكون متقاربين في المخرج، والثاني: إشمام الحركة الحركة وهذا لا يكون إلا بين الضمة والكسرة، والثالث: إشمام السكون إشماما يظهر إلى اللفظ (وهذا يصدق على الروم أكثر لأنه يُسْمَع له صوت في الوقف)، والرابع: إشمام السكون الحركة إشماما لا يظهر إلى اللفظ بل يكون إشارة شفوية؛ وهذا هو الإشمام الذي سبق وأن أوردنا تعريفاته عند القدامى، والخامس: وهو الذي يؤخذ فيه من الحركة إلى السكون، ويكون في الحركة وعلى زنتها[1].

ج- مصطلح الإشمام عند علماء القراءات والتجويد:

أما بالنسبة للمشتغلين "بالقرآن الكريم وعلومه" فقد ذهبوا جميعا مذهب "سيبويه" في "الإشمام" فهذا "المرعشي" في "جهد المقل" ينقل تعريف صاحب "المنح الفكرية" "على القاري" لهُ فيقول: «وقال: الإشمام: أن تضم شفتيك بُعَيْدَ الإسكان إشارة إلى الضم، وتترك بينهما بعض الانفراج ليخرج النفس غيراهما المخاطب مضمومتين، فيعلم انك أردت بضمهما الإشارة إلى حركة الآخِر قبل الوقف، فهو شيء يخص بإدراكه العين دون الأذن، إذ هو ليس بصوت يسمع، وإنما هو تحريك عضو فلا يدركه الأعمى»[2]؛ وهذا ما أشار إليه سابقوه، فالإشمام هو ضم الشفتين بعد الإسكان، إذ هو مجرد إشارة وليس بصوت.

وبعد حديثه عن تعريف الإشمام ذكر الحالات التي تُمْنَعُ فيها هذه الظاهرة وهي ثلاث حالات على ما جاء في كتابه: الأولى: أنه لا يكون في هاء التأنيث والمراد بها الهاء المبدلة من تاء التأنيث في الوقف فمثلا نقف على قوله تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة:1]، فأبدلت التاء هاءً في الوقف. والثانية: انه لا يكون في ميم الجمع، مثال قوله تعالى: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:7]، والثالثة: الحركة العارضة لالتقاء الساكنين مثل قوله تعالى: ﴿وعَصَوا الرَّسُوْل﴾ [النساء: 42]، فاجتماع الساكنين وهذا الكلام لا وجود له في اللغة العربية.[3]

وعرف "جلال الدين السيوطي" الإشمام في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بقوله: «وأما الإشمام: فهو عبارة الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، وقيل أن تجعل شفتيك على صورتها، وكلامها واحد، ويختص بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء، إذا كانت لازمة، وأما العارضة وميم الجمع عند من ضمَّ وهاء التأنيث فلا روم في ذلك ولا إشمام»[4]؛ فهو على تعريف "سيبويه" له كان بالمعنى دون اللفظ، ثم أشار إلى

[1] ينظر: الفرحان: المستوفى في النحو، ج2، ص185.

[2] المرعشي: جهد المقل، ص279.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص279.

[4] جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مج1، ص197.

الحالات التي يمنع فيها الإشمام والروم كذلك، وقد سبق الإشارة إليها فيما سبق وهي الحركة العارضة وهاء التأنيث وميم الجمع.

إن من سبق ذكرهم من عرفوا الإشمام وذكروا مَوانعه أشاروا إلى انه يكون في حالة الوقف، أما "الداني" فقد أشار إلى أنه يكون في الحالتين: «وأما المشم من الحروف في حال الوصل أو الوقف، فحقه أن يُخْلَصَ سكون الحرف ثم يُوصى بالعضو، وهما الشفتان إلى حركته ليدل بذلك عليها من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهيئةٌ بالعضو لا غير لِيُعْلَمَ بالتهيئة أنه يراد المهيَّأ له، ولا يعرف ذلك العمى، لأنه لرؤيته العين، ويختص به الحركات الرفع والضم لا غير.»[1]؛ فالإشمام يكون عنده في الحالتين الوصل والوقف، وهذا عكس السابقين الذين جعلوه في الوقف فقط دون الوصل، وإذا أردت الإشمام فيجب أولا أن تظهر السكون ثم تشير بشفتيك إلى حركة الحرف والتي هي الضمة.

وما ذكرناه عند "الداني" في الإشمام ليس ببعيد عما قال به "ابن أبي مريم" في " الموضح في وجوه القراءات وعللها"، غير أنه أورد نقطة مهمة عن الإشمام عند الكوفيين حين قال: «وذهب الكوفيون ومن تابعهم إلى أن الإشمام هو صوت، وهو الذي يُسْمَع، لأنه عندهم بعضُ حركة، والروم هو الذي لا يُسْمَعُ، لأنه روم الحركة من غير تفوه به.»[2]؛ فهم بهذا يجعلون الإشمام رومًا والروم إشماما ويعطون لكل واحدٍ تعريف الآخر، وكان المشهور بين علماء العرب القدامى هو أن الإشمام حركة وليس بصوت يسمع.

ويورد "المهدوي" في كتابه "شرح لهداية" تعريفا للإشمام وذلك بحسب تعريف "سيبويه" له، أورد سببا لعدم وقوع الإشمام في الفتح والجر قائلا: «ولم يجز وقوعه في المفتوح والمكسور، لأنه لا يمكن أن يكون الإنسان ضاما شفتيه فاتحهما في حال واحدة، وكذلك لا يجتمع له ضم الشفتين وكسرهما في حال واحدة.»[3]؛ ولهذا السبب منع في المفتوح و المكسور لما في ذلك من تشويه للخلقة، إذ لا يمكن تحقيق ذلك.

فالإشمام إذا من مصطلحات "الخليل" وليس من مصطلحات "سيبويه" وإن كان هناك اختلاف بين تعريفهما فتعريف "سيبويه" أوضح، وتتبعه فيه من جاء بعده من علماء اللغة والمشتغلين بعلوم القرآن الكريم، فالإشمام عندهم هو إيماء بالشفتين إلى حركة الضمة، ويكون فيها فقط بخلاف الفتحة والكسرة، وهو حادث حال الوقف عند أغلب العلماء، أما "الداني" فجعله في حال الوصل أيضا، ويمنع في حالات هي: الهاء المنقلبة

[1] الداني: التحديد، ص96.

[2] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص216.

[3] المهدوي: شرح الهداية، ج2، ص71.

عن تاء التأنيث الموقوف عليها وميم الجمع والسكون العارض وذلك بسبب منع التقاء الساكنين في العربية، قد ذهب الكوفيون إلى تسمية الإشمام بالروم.

الإسكان

يعد الإسكان من بين أنواع الوقف التي تناولتها مؤلفات علماء العرب القدامى بالدراسة، إذ عرّفوه متوقفين عند الغرض منه، وممن تطرقوا إليه من علماء اللغة "سيبويه" و "الزمخشري" و"ابن يعيش" وغيرهم، ومن علماء التجويد والقراءات: "الداني" و"ابن الجزري" و"ابن أبي مريم"...الخ، وقد اعتنى هؤلاء العلماء بالإسكان لكونه من أهم أنواع الوقف، فما هو الإسكان على حسب ما ورد في مصنفات هؤلاء؟ وما هو الغرض منه؟ وهل هناك مصطلحات أخرى أطلقوها للدلالة عليه؟

أ-مصطلح الإسكان في المعاجم العربية:

ورد مصطلح السكون في معجم "الخليل بن أحمد الفراهيدي" تحت مادة (سكن): «السكونُ ذَهابُ الحركةِ. سَكَنَ، أي سَكَتَ، سَكَنَت الريحُ، سَكَنَ المطرُ، وسكنَ الغَضَبُ، والسَّكنُ: المنزِلُ.»[1]، وجاء في "القاموس المحيط" لـــــــ"الفيروز آبادي": «سَكَنَ سُكونًا: قَرَّ، وسكّنتهُ تَسْكينًا.»[2]؛ فالسكون هنا الوقوف في المكان.

وجاء في "لسان العرب" لـــــ "ابن منظور": «السُّكون ضِدُّ الحركةِ، وسكن الشيءُ يسْكُنُ سُكُونًا إذا ذَهبتْ حركته، وأَسْكَنهُ هو، وسكّنهُ غيره تسكينا، وكل ما هَدَأ فقد سكَنَ، كالريح والحرّ والبرد، ونحو ذلك، سَكَن الرَّجُلُ: سَكَتَ، وقيل: سكن في معنى سكت.»[3]؛ فالسكون في اللغة العربية التوقف عن الحركة ويعني كذلك السكوت والهدوء.

ب- مصطلح الإسكان عند علماء اللغة القدامى:

اعتنى القدامى بالوقف وأنواعه ويعد الإسكان نوعا له وقد أشار "الخليل" إلى مصطلح الإسكان في مؤلفه "العين" ولكن أطلق عليه مصطلحا آخر فقال: «العُنُق، معروف، يُخَفَّفُ ويُثَقلُ.»[4]؛ وهذا المصطلح هو التخفيف، فإذا أردنا التثقيل فإننا نأتي بالحركة(الفتحة أو الضمة أو الكسرة) وإذا أردنا التخفيف أتينا بالسكون (العُنُقْ).

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي،ج2، مادة : [سكن]ن ص261.

[2] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج4، مادة: [سكن]، ص231.

[3] ابن منظور: لسان العرب، مج3، مادة: [سكن]، ص2052.

[4] الخليل أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج1، ص179.

أما تلميذه "سيبويه" (ت: 180ه) فذكر مصطلح الإسكان حيث قال: «أما الذي أُجرى الإسكان والجزم فقولك: مَخْلَدْ، وخَالِدْ، وهو يجعلْ.»، وجعل "سيبويه" للإسكان علامة يعرف بها: «ولِلذِي أَجْرَى مَجْرَى الجزم والإسكان الخاء.»[1]؛ فالإسكان إذًا هو أَنْ تَقِفَ على آخر الكلمةِ بالسكونِ وعَلَامَتُهُ هي «الخاء» ووضعت هذه العلامة لمعرفة الإسكان من الروم (–) والإشمام (.)، وبهذا يعد "سيبويه" أول من ذكر مصطلح الإسكان.

بينما نجد "الزمخشري" (ت538ه) يطلق عليه اسم الإسكان الصريح في قوله: «ومن أضاف المشترك في الوقف، تشترك فيه الأضربُ الثلاثةُ وفيه أربع لغاتٍ الإسكانُ الصريحُ.»[2]؛ فالإسكان إذا هو ضرب من أضرب الوقف وهو صريح لوضوحه، وذكره "ابن الدهان" في باب الوقف و لم يسمه بهذا الاصطلاح وإنما أشار إليه حين قال: « الابتداء لا يكون إلا بمتحرك، والوقف لا يكون إلا على ساكن.»[3]؛ وهذا الإسكان إذ يُوقف على آخر الكلمة بالسكون.

وقال "ابن عقيل" في مصنفه "المساعد": «فإذا وقفت على زيدْ، أو مررتُ بزيد، قلت: زَيْدْ، بالتسكين، وكذا بنتْ وأختْ، تقف عليهما بسكون التاء (وهو الأصل): أي التسكين، هو الأصل في الوقف، وذلك لأن الوقف موضع استراحة، وأخف الأحوال السكون.»[4]؛ بمعنى أنك تقف على أواخر الكلم بالسكون للاستراحة، لأن الوقف بالسكون أخفُّ على اللسانِ من الوقفِ بالرومِ أو بالإشمامِ، وسمى "ابن عقيل" هذا المصطلح بالتسكين وهو نفسه الإسكان أو الإسكان المحض.

عرف "ابن الأنباري" السكون بقوله: «السكون وهو حذف الحركة والتنوين.»[5]، ثم يشرع في شرح كلامه هذا بقوله: «أما السكون فلأن راحة المتكلم ينبغي أن تكون عند الفراغِ من الكلمةِ، والوقف عليها، والراحةُ في السكون لا في الحركة.»[6]؛ ومعنى هذا الكلام أن تحذف حركة الكلمة الموقوف عليها (الفتحة والكسرة والضمة) وتبدلها بالسكون.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص169.

[2] الزمخشري: المفصل، ص338.

[3] ابن الدهان: الفصول في العربية، ص87.

[4] ابن عقيل: المساعد، ج4، ص312.

[5] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص412.

[6] المصدر نفسه، ص412.

بينما التنوين فأبدلوا منه في النصب ألفا أما الجر والرفع فإنه يُوقَفُ عليها بالسكون وقد ذكر سبب ذلك: «فإن قيل فلم أبدلوا من التنوين ألفا في حال النصب و لم يبدلوا من التنوين واوا في حال الرفع ولا ياءً في حال الجر؟ قيل: لوجهين: أحدهما إنما أبدلوا من التنوين ألفا في حال النصب لخفة الفتحة، بخلاف الرفع والجر فإن الضمة والكسرة ثقيلتان، والوجه الثاني: أنهم لو أبدلوا من التنوين واوا في حال الرفع لكان ذلك يؤدي إلى أن يكون اسم متمكن في آخره واو قبلها ضمة، ولو أبدلوا من التنوين باء في حالة الجر لكان ذلك يؤدي إلى أن تلتبس بياء المتكلم.»[1]؛ أما السبب الأول فهو واضح وذلك كون الفتحة خفيفة، وثقل الضمة والكسرة، مثال قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمَا﴾ [النساء: 17] حيث يوقف على «حكيما» بحذف التنوين وإضافة الألف، والثاني في حال إبدال التنوين في الرفع واوا فإنه بالاسم الممكن، وإبدال التنوين في الجرِّ ياءً يختلف بباء المتكلم. مثل قولنا: «دارٍ» فلو أبدلناها ستكون: «دَارِي» ولهذا مُنِعَ منها.

كما عرّف "العكبري" في "اللباب" مصطلح الإسكان: «وأجودها الإسكان في الرفع والجر والنصب غير المنون...، [لأن] الوقف يكون للاستراحة فيناسب الإسكان لخفته.»[2]؛ أي أن أجود أنواع الوقف وأحسنها هو الإسكان، وذلك لسهولة الوقف به وخفته على اللسان، أما "السكاكي" (ت: 626ه) فقد أطلق عليه مصطلح الإسكان الصريح: «والإسكان الصريح وهو على نوعين: إسكان بإشمام...، وبغير إشمام.»[3]؛ ويختلف "السكاكي" هنا عن غيره في اعتبار أن الإسكان يكون بالإشمام وبغير إشمام، إذ عدّ الإشمام الذي هو من بين أنواع الوقف والإسكان أيضا من بين أنواعه. -وهذا هو الأصل عند العلماء-نوعا من أنواع الإسكان الصريح وليس نوعا من أنواع الوقف المعروفة.

وعرف "ابن يعيش" الإسكان كالتالي: «فالسكون هو الأصل والأغلب الأكثر لأنه سلب الحركة وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة.»[4]؛ بمعنى أن السكون هو الأكثر استعمالا، إذ غالبا ما تقف العرب بالسكون بالسكون على آخر الكلم طلبًا للاستراحة لأنها تتحقق به، وقد اصطلح عليه بالسكون، أما "الأستربادي" (ت686ه) في "شرح شافية ابن الحاجب" فقال فيه: «قوله: فالإسكان المجرد أي: الإسكان المحض بلا روم ولا إشمام ولا تضعيف، والإسكان في الوقف أكثر كلامهم من الروم والإشمام والتضعيف والنقل.» [5]؛ حيث ذكر

[1] ابن الأنباري: أسرار العربية، ص413.

[2] العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، ص196.

[3] السكاكي: مفتاح العلوم، ص71.

[4] ابن يعيش: شرح المفصل، ج9، ص67.

[5] الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ج2، ص272.

"الأستراباذي" أن "ابن الحاجب" سماه الإسكان المجرد وشرحه "الأستراباذي" بأنه نفسه الإسكان المحض وهو الأكثر استعمالا عند العرب من غيره من أنواع الوقف.

وممن ذكروا الإسكان أيضا من علماء اللغة "أبو حيان الأندلسي" (ت735ه) فقال: «المتحرك الموقوف عليه، ولم يكن هاء تأنيث يجوز فيه الإسكان وهو الأصل.»[1]؛ وسبق الإشارة إلى أن الأصل في الوقف على أواخر الكلم ما لم يكن هذا الموقوف عليه هاء تأنيث كما في قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة:1].

وتحدث عن الإسكان "السيوطي" في "همع الهوامع" وسماه السكون فقال: «السكون هو الوقف على المتحرك، وذكروا أنه لما كان الأصل لشيئين: أحدهما أن الحرف الموقوف عليه مضاد للحرف المبتدأ به لأن الوقف هو الانتهاء، والانتهاء مضاد للابتداء فينبغي أن يكون صفته مضادة لصفته، والابتداء لا يكون إلا بمتحرك فيكون هذا ساكنا، والآخر أن الوقف عليه أخف الأحوال، وهو السكون.»[2]؛ إذا فالعرب تلجأ إلى السكون لسببين: الأول: أنها دائما تبتدئ بمتحرك ومنه فلا بد أن تنتهي بمضاد له وهو السكون، فلا تقف إلا على ساكن، والثاني: أنهم وقفوا على أواخر الكلم بالسكون لأنه أخف حالات الوقف وأيسرها في النطق.

ج- مصطلح الإسكان عند علماء القراءات والتجويد:

لم تخلُ كتب علماء التجويد والقراءات من الحديث عن الإسكان حيث ذكره "الداني" في كتابه "التيسير في القراءات السبع" وذلك في باب الوقف على أواخر الكلم فقال: «اعلم أن من عادة القراء أن يقفوا على أواخر الكلم المتحركات في الوصل بالسكون لا غير لأنه الأصل.»[3]؛ وسبق وأشار علماء اللغة إلى هذه النقطة في كون الوقف بالسكون هو الأصل، وهو أحسن أنواع الوقف المعروفة وذلك لخفته، وتطرق "ابن أبي مريم" (ت565ه) إلى الإسكان وقد سماه السكون فقال: «السكون نحو: هذا خَالدْ وفَرجْ، وعلامته خاء فوق الحرف المسكن أرادوا به الإبانة عن أنه خُفِّفَ، وربما عملوا دائرة صغيرة أرادوا بها أن الحركات تدور على هذا الحرف وإنما تدور عليه الحركات الثلاث إذا كان ساكنا.»[4]؛ فعلامة الإسكان هي الخاء وهذه العلامة أول من وضعها هو "سيبويه" وتبعه في ذلك من جاء بعده، ومنهم من جعل علامته هي الدائرة الصغيرة المعروفة الموضوعة فوق الحرف الساكن للدلالة على انه سُكِّن وهو في الأصل متحرك بإحدى الحركات.

[1] أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، ج1، ص808.

[2] السيوطي: همع الهوامع، ج6، ص207.

[3] الداني: التيسير في القراءات السبع، ص58، 59.

[4] ابن أبي مريم: الموضح في وجوه القراءات وعللها، ص143.

وأشار "أبو شامة" (ت665ه) إلى سبب لجوء العرب إلى التسكين بقوله: «لغة العرب ألا يوقف على متحرك، فالأصل أن يكون الوقف بالإسكان لهذا ولأنه أخفُّ.»[1]؛ إذْ أنه من عادة العرب أن يقفوا دائما على كل متحرك بحذف التحريك وإسكان الحرف كونه أخفّ من النطق، وعرّف "ابن الجزري" (ت833ه) الإسكان بقوله: «فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون؛ فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث وذلك لغة أكثر العرب، وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء.»[2]؛ فالسكون إذا هو أن تجرد أخر الكلمة من الحركات الثلاث (الفتحة، الضمة، الكسرة) وتبدله بالسكون في حال الوقف.

بينما أطلق "ملا علي القاري" على هذا المصطلح مُسَمَّى الإسكان المحض: «أولها: الإسكان المحض، وهو الأصل لأن الغرض من الوقف هو الاستراحة، وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة.»[3]؛ فقوله: الإسكان المحض دلالة على أنه لا يكون في الأصل ساكنا لأنه سكون عارض يزول بمجرد تحريكه ويوقف بالسكون لأنه الأسهل في تحصيل الراحة للمتكلم.

وخلاصة القول في مصطلح الإسكان أن "الخليل" هو أول من أشار إلى هذا المصطلح من علماء اللغة، ولكن باصطلاح دال عليه وهو التخفيف، وبينما "سيبويه" فهو أول من أطلق عليه اصطلاح الإسكان، ومن جاء بعده هناك من سماه الإسكان أو التسكين أو الوقف بالسكون أو السكون المحض أو السكون المجرد، وإن اختلفت هذه الصيغ فإن المراد منها واحد وهو الوقف على أواخر الكلم بالسكون وهذا المعنى متفق عليه بين علماء اللغة وعلماء القراءات ،إذ لا خلاف فيه، والوقف بالسكون هو الأكثر استعمالا من بين أنواع الوقف وذلك لخفته على اللسان ولأن العرب لا تقف إلا على الساكن.

[1] أبو شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، ص266.

[2] ابن الجرزي: النشر في القراءات العشر، ج2، ص121.

[3] ملا علي القاري: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ص316.

الخاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية الشيقة والشاقة في الآن نفسه تخلص الدراسة إلى مجموعة من النتائج تخص المصطلحات الصوتية المتناولة في هذه الدراسة والتي نجملها فيما يلي:

- إن علماء العرب القدامى هم أول من تحدثوا عن أعضاء النطق ولكنهم لم يذكروه كمصطلح وإنما أطلقوا عليها اصطلاحات أخرى كآلة المنطق وآلة الصوت وغيرها،كما اختص بعضهم .بمعرفة عضو من الأعضاء معرفة حارت لها أذهان المحدثين كابن سينا والذي يعد أول من عَرَف الحنجرة وأجزاءها وتبعه في ذلك "الفرخان" فهو كان على علم بما توصل إليه "ابن سينا" في هذا المجال.

- يعود الفضل في اكتشاف أعضاء النطق، ودورها في إنتاج الأصوات اللغوية يعود إلى "الخليل" من خلال مقدمة "العين" و"سيبويه" من خلال كتابه "الكتاب"،ثم إن أعضاء النطق من الحلق واللسان واللهاة والحنك والأسنان والشفتان والخيشوم هي الأعضاء المعروفة لدى كل علماء العرب القدامى، باستثناء الجوف الذي أعرض الكثير من العلماء عن ذكره، إلا أن هناك منهم من عده المخرج الأول وجعلوه مخرجا مقدرا لا محققا.

-إن كل عضو من أعضاء النطق يحتوي على مجموعة من المخارج، فالحلق مثلا لها عدة مخارج ،وقد اختلف العرب القدامى في أقسامها وفي ترتيب حروفها وفي عدد هذه الحروف، فمنهم من جعل لها حيزين، ومنهم من جعلها ثلاثة أحياز، وهناك من لم يسميها بهذا الاسم فقال ما دون اللهاة دلالة عليها وهو "الفرخان".

- صفات الأصوات هي خاصية موجودة في الحروف العربية لتمييز الحروف عن بعضها البعض فمنها ما لها ضد: كالهمس وضده الجهر، الرخاوة وضدها الشدة، الاستفال وضده الاستعلاء، الإطباق وضده الانفتاح، كما توجد مجموعة من الصفات ليس لها أضداد وهي صفات مفردة مثل صفة القلقة، وقد اختلفت الألفاظ الدالة على مصطلحات صفات الأصوات عند علماء العرب القدامى فنذكر مثلا: مصطلح صفات الأصوات بالذات فهناك من سماه أجناس الحروف وهناك من قال أصناف الحروف....إلخ، ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح صفات الأصوات لم يرد ذكره عند القدامى، بالإضافة إلى مصطلح الشدة فهناك من قال به وهناك من أطلق عليه مصطلح الصلبة، ومصطلح الاستفال هناك من سماه الانخفاض من أمثال "ابن جني".

- الإدغام والإظهار والإمالة والإبدال والاختلاس والوقف والروم والإشمام والإسكان مجموعة من الظواهر الصوتية التي لم يغفلها أغلبية العرب القدامى من علماء اللغة وعلماء التجويد والقراءات، وزخرت كتبهم بها

فمنها ما أُفرد لها أبوابا مثل الإمالة ومنها ما ذكرت ضمن حديثهم عن مواضيع أخرى مثلا ظاهرة الاختلاس ذكرت عند "سيبويه" في باب إشباع الحركة.

- إن مصطلح الظواهر الصوتية لم يرد ذكره في الكتب التراثية فقد ذكرت الظواهر الصوتية إلا أنها لم تجمع تحت عنوان واحد بهذا المسمى، فهو مصطلح لم يظهر إلا حديثا، كما أن علماء اللغة كانوا سباقين إلى وضع المصطلح الصوتي وتبعهم في ذلك علماء التجويد والقراءات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية ورش**

1- المصادر:

1- الأستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن النحوي): شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور حسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1402هـ- 1982م.

2-الأشموني (أحمد بن محمد بن عبد الكريم): شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى المنهج السالك إلى ألفية إبن مالك، تح: محمد محي الدين- عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان،ط1، 1375هـ- 1995م.

3- ـــــ: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1393هـ- 1973م.

4-ابن الأنباري(عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله): أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ -1997م.

5-أبو بكر الزبيدي الإشبيلي: الواضح، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، عمان-الأردن، ط2، 2011م.

6-ابن البناء (أبو علي الحسن أحمد): بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان- الأردن، ط1، 1421هـ- 2001م.

7-الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن): العمد، تح: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط3، 1995م.

8-ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد): التمهيد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ -2001م.

9- ـــــ طيبة النشر في القراءات العشر، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة-السعودية.

10- ـــــ متن الجزرية في فن التجويد، تح: أيمن رشدي سويد، مكتبة اقرأ، قسنطينة-الجزائر، ط2، 1433 هـ، 2012م.

11-ـــــ النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

12-أبو جعفر أحمد بن علي الأنصاري: الإقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيد، دار المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1999م.

13-جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

14- ـــ:همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العالي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1400هـ- 1980م.

15-ابن جني (أبو الفتح عثمان): الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية،مصر.

16- ـــ: سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق-سورية،1995م.

17- الجوهري (إسماعيل بن حماد): تاج اللغة وصحاح العربية، تح: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، 1990م.

18- الحموي (أبو رضا): القواعد والإشارات في أصول القراءات، تح: عبد الكريم بن محمد بكار، دار القلم، دمشق-سورية، ط1، 1402هـ-1686م.

19- أبو حيان الأندلسي: إرتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط1، 1418هـ-1998م.

20- ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون ، تح:خليل شحاذة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان،1421هـ-2000م.

21- الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

22- ـــ كتاب العين،تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، الجمهورية العراقية.

23- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): الإدغام الكبير، تح: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة-مصر،ط1، 1424هـ-2003م.

24- ـــ التحديد في الإتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان،عمان-الأردن، ط1، 1421هـ-2000م .

25- ـــ التيسير في القراءات السبع، تح: أوتورتزل، دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان، ط2، 1404هـ-1984م.

26- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن): جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان،ط1، 1987م.

27-ابن الدهان (الإمام أبو محمد سعيد بن المبارك): الفصول في العربية، تح: فائز فارس،دار الأمل، اربد-الأردن، ط1، 1009هـ- 1988م.

28-الرازي (فخر الدين): مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان.

29-ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، القاهرة-مصر.

30-الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، ج6، تح: علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، 1392هـ- 1972م.

31- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر): المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط2.

32- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل): الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة.

33- السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم ، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان،ط2، 1407هـ-1987م

34- ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد):سر الفصاحة، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،ط1، 1402هـ-1982م.

35- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط2، 1416هـ-1996م.

36- ابن سيدة (علي بن إسماعيل): المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الستار أحمد فراج، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مصر، ط1، 1377هـ- 1985م.

37- السيرافي (أبو سعيد): ما ذكره الكوفيون من الإدغام، تح: صبيح التميمي، دار البيان العربي، جدة-السعودية، ط1405،1هـ-1985م.

38- ابن سينا (أبو علي الحسين بن علي): رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق-سوريا.

39- ـــ القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1420،1هـ-1999م.

40- الشاطبي (القاسم بن فِيُرَ بن خلف بن أحمد): متن الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، تح: محمد تميم مصطفى الزعبي، مطبعة الغوثاني، دمشق-سورية، ط5، 1431هـ-

41- أبوشامة الدمشقي (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم): إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

42- ابن الطحان السماتي: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، تح: حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الشارقة –الإمارات، مكتبة التابعين، عين الشمس- القاهرة، ط1، 2007م.

43- عبد الدائم الأزهري: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، تح: عبد الرحمان بدر، دار الصحابة للتراث بطنطا، 2005م.

44- ابن عصفور الإشبيلي: المقرب، تح: أحمد عبد الستار الجوادي وعبد الله جبوري، ط1، 1392هـ-1972م.

45- ــ الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1996م.

46- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين): اللباب في علل البناء والإعراب، ج2، تح: عبد الإله بنهان، دار الفكر، دمشق-سورية، ط1، 1995م.

47- ابن عقيل (بهاء الدين): المساعد على تسهيل الفوائد، تح:محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

48- ابن فارس (أبو الحسين أحمد):مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، دمشق-سورية، 1399هـ-1979م.

49- الفرخان (كمال الدين أبو سعيد علي بن مسعود بن محمد بن الحكم): المستوفى في النحو، تح: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة-مصر،1407هـ-1987م.

50- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط2، 1426هـ- 2005م.

51- أبو القاسم المؤدّب: دقائق التصريف، تح: حاتم صالح الضامن، دار الشام، دمشق- سورية، ط1،2004م.

52- القرطبي (عبد الوهاب بن محمد): الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان-الأردن.

53- المازني (أبو عمر بن العلاء): الإدغام الكبير، تح: عبد الكريم محمد حسين، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت.

54- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة-مصر، 1415هـ-1994م.

55- ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر.

56- المرعشي (محمد بن أبي بكر): جهد المقل، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان-الأردن، ط2، 1429هـ، 2008م.

57- ابن أبي مريم (الإمام نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي): الموضح في وجوه القراءات وعللها، تح: عمر حمدان الكبيسي، جماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، جدة –السعودية، ط1، 1414هـ-1993م.

58- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان-الأردن، ط2، 1417هـ-1996م.

59- ــ الكشف عن وجوه القراءات وعللها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط5، 1418هـ- 1997م.

60- ملّا علي القاري: المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح، أسامة عطايا، دار الغوثاني، دمشق – سورية، ط2، 2012م.

61- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم): لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر.

62- المهدوي (أبو العباس أحمد بن عمار): شرح الهداية، تح: حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، 1411هـ.

63- ابن يعيش (موفق الدين يعيش ابن علي): شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

64- الهمذاني (أبو العلاء الحسن بن أحمد): التمهيد في معرفة التجويد،تح:جمال الدين محمد شرق،دار الصحابة.

2- المراجع:

1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر.

2- إبراهيم عبود السامرائي: المصطلحات الصوتية بين القدماء والمحدثين، دار جرير، عمان- الأردن، ط1، 1432هـ -2011م.

3- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، 1994م.

4- حسام سعيد النعيمي: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، 1980م.

5- خميس عبد الله التميمي: الأصوات اللغوية في كتاب المستوفى في النحو للفرغاني،منتدى المعارف.

6- سمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية رؤية عضوية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2003م.

7- صبري المتولي: دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1.

8- عبد البديع النيرابي: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج والقراءات، دار الغوثاني، دمشق- سوريا، ط1، 1427هـ- 2006م.

9- عبد العزيز الصيغ: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 2000م.

10- غالب فاضل المطلبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد -العراق.

11- غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان- الأردن، ط2، 1428هـ- 2007م.

12- محمد الصالح الضالع: علوم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، 2002م.

13- عبد الفتاح عبد الغني القاضي: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، مكتبة السوادي، جدة- السعودية، ط5، 1420هـ-1999م.

3- المجلات:

1- مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، ع 2، 1389هـ- 2010م.

2- مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، ع58، 1432هـ-2010م.

الفهرس

الفهرس

المصطلحات	الصفحة
مقدمة	أ-ج
أولا: أعضاء النطق	4- 7
1- الحنجرة	8- 14
2- الحلق	15- 22
3- اللسان	23- 29
4- اللهاة	30- 32
5- الحنك	33- 36
6- الأسنان	37- 40
7- الشفتان	41- 45
8- الأنف (الخيشوم)	46- 50
9- الجوف	51- 55
ثانيا: صفات الأصوات	56- 60
1- الجهر	61- 64
2- الهمس	65- 69
3- الشدة	70- 73
4- الرخاوة	74- 78
5- الإطباق	79- 84
6- الانفتاح	85- 89
7- الاستعلاء	90- 94
8- الاستفال	95- 99
9- القلقلة	100- 105
ثالثا: الظواهر الصوتية	106- 107
1- الإظهار	108- 110

2- الإدغام	115 -111
3- الإبدال	120 -116
4- الإمالة	125 -121
5- الاختلاس	130 -126
6- الوقف	136 -131
7- الروم	141 -137
8- الإشمام	148 -142
9- الإسكان	153 -149
الخاتمة	155 -154
قائمة المصادر والمراجع	162 -156